

التدبر القُرآنـــــــي



سامي التميمي

التّدبر القُرآني

سامي التميمي

المقدمة

الحمد لله على ما انعم وله الشكر على ما ألهم والحمد لله كما هو اهله والصلاة والسلام على سيد العرب والعجم محمد (صلى الله عليه واله) وعلى اهل بيته أصحاب الطهارة والكرم.

وبعد لا شك ان القرآن يمتاز بخصائص لا تعد ولا تحصى ومن تلك الخصائص والمزايا العظيمة انه متنوع المعارف والعلوم بخلاف المعارف الاخرى التي تختص في مجال معين ومحدود بينما القرآن فيه الحكم والأحكام والقصص والأمثال والمواعظ والأخلاق والبلاغة والتبيان يزيد المتدبر كل حين بإذن ربه بلطائف جديدة ونكات مفيدة ربما قد وقف عند تلك الآيات والمفردات كرات ومرات ولم يسعف بهذه البركات لأنه لم يقف عليها بتدبر وإمعان قال تعالى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾[1] وقال ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [2]

فليس جزافا بأن حثنا الله تعالى في كتابه المجيد الى التدبر فيه لان فيه الكنوز واللطائف في مختلف المعارف ولا تنال تلك الفوائد والموائد إلا بالتدبر والإمعان في آيات القرآن.

ولا يفهم من التدبر ان يجتهد المرء في العقائد والاحكام حسب هواه، او يبتدع من خياله ووهمه اراء وفق عصبيته ومبتغاه، انما لكل باب علم اهله ورحم الله من عرف قدر نفسه ولم يتجاوز حده.

انما نعني بالتدبر في القرآن النظر في بلاغته في الكلام، وحكمته في الأحكام، وكاهتمامه بالمرأة والأيتام ونهيه عن الفواحش والآثام، والإمعان في أدب

---

[1] النساء: ٨٢

[2] سورة محمد: ٢٤

القرآن، وأخلاق وآداب الأنبياء حتى يتأسى ويتأدب الإنسان وغير ذلك من الغايات والأهداف.

وان التدبر لكي يكون مثمرا يحتاج الى معرفة جملة من المفردات والعبارات والإشارات، وجمع الآيات التي تناولت نفس الموضوعات او بعض الألفاظ والمفردات في بوتقة البحث حتى يخرج بحلية جميلة ومفيدة.

ولعل من وجوه الحكمة من تناثر شطر من تلك الدرر ولآلئ من ذات الموضوعات في سور متفرقة من القرآن حتى يغور أولو الألباب ويتدبروا فيها بإمعان ويوظفوا ما لديهم من القدرات المعرفية فينالون بذلك فوائد جمة في الأحكام والقصص والآثار، وناهيك عن تحصيل الاجر والثواب.

وهذا ما سنحاول السير عليه في هذا الكتاب من التدبر في آيات الكتاب نستعرض جملة من المباحث والمطالب ووقفات تدبرية في الآيات نذكر فيها شطرا من الآداب وبعضا من معاني المفردات والالفاظ، ومن الله التسديد والصواب.

الغاية من التأليف

وان الذي دعانا الى الكتابة هذه المواضيع والبحوث اقتصار الكثير على القراءة والحفظ والتجويد بينما الذين يتدبرون القرآن هم النزر القليل، مع ان الفضل الكبير والثواب الجزيل والارتقاء في درجات ومنازلة الآخرة يعتمد على التدبر والنظر.

فينبغي لطالب العلم والمعرفة ان لا يقتنع بالأدنى إنما يسعى لنيل الارقى والأسمى وخاصة مع توفر الكثير من قنوات المعرفة، وهي ميسرة وفي متناول الجميع ولا تكلف الجهد الكثير.

بالأمس كان طلاب العلم ينفرون في شتى أصقاع الأرض ويواجهون مختلف المخاطر ويتحملون بُعد الديار والأوطان لتحصيل العلم والمعرفة أما اليوم فسبل المعرفة مفتوحة أبوابها على مصراعيها وتصل الى كل دار من دون مشقة وعناء

ولكن للأسف نحن من نغلق الأبواب في وجهها وندير لها ظهورنا ونزهد بها ونؤثر التفاهات عليها ونقنع أنفسنا بالأدنين بينما فوتنا الخير الكثير﴿ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ﴾[1]

فالقراءة الكثيرة والمتنوعة والواعية وخاصة التدبر في كتاب الله تضيف كماً هائلا من الثقافة والمعرفة، وتعطي القابلية في الوقوف على حقائق الأمور، والكشف عن المغمور، وتجعل للقارئ حصانة من اللوابس والشبهات ومن السفسطة والمفتريات.

لكن الذي يحز بالنفس ويدمي الفؤاد من تغيّر بوصلة الناس تجاه القراءة واقتناء الكتاب، فبالأمس القريب كان القارئ والمتعلم يعمل لكي يشتري من قوت عمله كتابا يستنير به من الظلمات! او يبيع اغراضه الثمينة لأجل يقتني بعضا من الكتيبات! بينما اليوم العزوف عن القراءة هو السائد في أوساط المجتمعات! وإن الكتاب أصبح أزهد شيء في المشتريات!

ومن المؤلم ان تباع السندويش والقهوة في معرض الكُتّاب أكثر بكثير مما تُشترى الكتب!! لأنهم يتلذذون بالطعام، ولا يتلذذون بالمرام ومدارك الأفهام، فيا حسرة على العباد!!

أتذكر في يوم من الأيام كنت زائرا لإحدى المؤسسات الدينية وقد ترك ذووها عند باب المؤسسة مجموعة من الصناديق المليئة بالكتب وفي شتى حقول المعرفة ولم يطالبوا ان يدفع في ازائها اي مقابل عسى ان يأتي من يأخذ منها فيقرأ ويتعلم، وبقيت أغلبها في مكانها لا يعبأ بها فقلت في نفسي كم صرف أصحابها من أعمارهم من أجل الكتابة والتأليف؟ وكم تعرضوا من التحديات

[1] البقرة: ٦١

والصعوبات لأجل انارة الطريق ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ۗ إِنمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ] (١)

فالأمة التي لا تقرأ هي امة ميتة وخاوية وضعيفة، وتكون أكثر الأمم استضعافاً واستحماراً من قِبل الفاسدين، ولقمة سائغة للطامعين، والعوبة بيد المستكبرين.

والأمة الجاهلة هي التي تعين على قتل نفسها بنفسها، وتتبطح للأعداء خاضعة ذليلة لا تحرك ساكنا في نهب خيراتها، وسحق كرامتها، وبث الفتن بين شعوبها.

فالفرد الجاهل أكثر عرضة للسقوط في فخ الاعداء، وأسرع طوعا وتصديقا لهم وانسياقاً إليهم، حيث تنطوي عليه الأكاذيب، ويخدعه اللسان المعسول، والكلام المنمق المسحور.

فليس اعتباطا أيها العزيز افضلية مداد العلماء على دماء الشهداء، والعالم أفضل من ألف عابد وألف زاهد، وغير ذلك من درجات التفضيل لوجود البصيرة والوعي في العالم وبالتالي لا تهجم عليه اللوابس، ولا يخدعه مكر الماكرين.

سامي التميمي

---

(١) سورة الزمر: اية ٩



المبحث الأول: الآداب الأخلاقية في القران

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: ادب واخلاق الأنبياء

المطلب الثاني: الادب مع الوالدين

المطلب الثالث: الادب مع اليتامى

المطلب الرابع: الادب مع الزوجة

المطلب الخامس: الادب مع المطلقة

المطلب السادس: الادب في الدعوة الى اللّٰه

المطلب الأول: جملة من آداب واخلاق الأنبياء

يذكر لنا القرآن الكريم أدق التفاصيل من قصص الانبياء والاولياء لكي نتأسى بأخلاقهم وآدابهم ونعمل بما كانوا يعملون ونترك ما كانوا يجتنبون.

وهذا السرد القرآني الدقيق والجميل يعد من ابرز واسمى مصاديق الرحمة الالهية علينا قال تعالى﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1]

فنذكر جملة من آداب واخلاق الانبياء:

أدب نبي الله إبراهيم عليه السلام مع ضيوفه

حسن الضيافة

قال تعالى(﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [2] وقوله عز وجل ﴿ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾[٢٦] ﴿ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾[3]

يمكن الوقوف على الأدب الإبراهيمي من خلال النظر الى جملة من المفردات القرآنية (لبثَ ، فراغَ، بعجلٍ ، ، حنيذ، سمين ، فقّربه).

لبثَ: فهذه المفردة القرآنية تشير الى عجلة وسرعة نبي الله الخليل في إعداد الطعام إلى ضيوفه من دون تراخي وتأخير لأن الضيف غالبا ما يقدم من سفر فهو يشعر بالتعب والإرهاق والجوع فلا ينبغي التأخير والتأجيل بل الإسراع والتعجيل.

---

[1] يوسف: ١١١

[2] سورة هود: ٦٩

[3] الذاريات: ٢٧

فراغَ: وتشير هذه المفردة ان إبراهيم الخليل قد أستعمل أسلوب الخفاء في إعداد الطعام والشواء خشية معارضة الضيوف من تكلفة الضيافة وابعادهم عن الاحراج والحياء.

بعجلٍ: وقد ذبح ابراهيم الخليل عجلا وهو ولد البقر وقد جمع اجود الطعام مع كثرته فإن من أدب الضيافة الإكثار من تقديم الطعام من دون تحديده بعدد الضيوف اكراما لهم وتعظيما لشانهم، وفي نفس الوقت لا يعد هذا الأسلوب من الإسراف مع وجود التدبير.

فقرّبه: وكذلك قرب الخليل الطعام الى ضيوفه لرفع الحياء عنهم واكراما إليهم وانساً بهم.

حنيذ: هو اللحم المشوي فقد جهد ابراهيم الخليل في شواء العجل ليكون من اطيب الطعام لضيوفه.

سمين: وقد اختار عجلا سمينا الكثير اللحم وقدمه بين أيديهم وهو بهذا الكرم قد اجتنب الهَزلى من العجول.

اذن هذه المفردات القرآنية توضح ادب ابراهيم الخليل مع ضيوفه وقد اصبحت هذه الآداب والأخلاق من أدب حسن الضيافة.

فلا عجب من خلق وكرم الضيافة لنبي الله ابراهيم الخليل مع ضيوفه حيث استقبلهم بكل حفاوة واكرام، وقدم لهم اجود الطعام، لكن العجب كل العجب ما صرح به القرآن في القرية التي مرّ عليها موسى والخضر عليهما السلام وطلبا الطعام والاستضافة فأبوا اهلها ذلك ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا) [1]

فليس من شيم الرجل ان يغلق الباب في وجه ضيفه او يقصر في ضيافته واكرامه او يبخل في مائدته وحلاوة لسانه وبشارة وجهه.

---

[1] الكهف: ٧٧

مع نبي الله لوط عليه السلام

الدفاع عن الضيف

قال تعالى﴿ قَالَ إِنَّ هَؤُلاءِ ضَيْفِي فَلا تَفْضَحُونِ﴾[١] وقوله تعالى (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾[٢]

ومن أدب نبي الله لوط عليه السلام مع ضيوفه أنه تصدى لقومه الذين جاؤوا اليه يهرعون أي مسرعين عندما علموا بقدوم الضيوف الى بيته لغرض الفاحشة وقد حرص لوط على كتم أمرهم عن قومه لكن الخيانة خرجت من زوجته فافتضح أمرهم وشاع سرهم.

أن لوط عليه السلام كان يقدر مكانة الضيف ويدرك عظيم حرمته ووجوب الذب والدفاع عنه بكل ما أوتي لذا اتمنى لو يمتلك قوة لمواجهة من اراد بضيوفه سوءاً ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[٣]

لان في انتهاك حرمة ضيوفه في بيته يعد فضيحة كبيرة واساءة عظيمة في حقه فلذا قال (فَلا تَفْضَحُونِ﴾ (وَلا تُخْزُونِ).

إذن يخط لنا لوط عليه السلام ادبا وخلقا رفيعا في لزوم الدفاع عن حرم الضيف مهما كلفنا ذلك من عسر وشدة.

مع نبي الله يوسف عليه السلام

خُلُق العفو

قلما يتصف المرء بخلق العفو والمسامحة بمن قصر في حقه او ظلمه في بعض اموره وشؤونه مع وجود آيات كثيرة تحث المؤمن بالعفو بل تدعوه أن يكون العفو مقرونا في شخصيته وحياته وأخلاقه وليس العفو مسالة عابرة او مرحلة مؤقتة ومحددة في ظرف معين أو في مكان وزمان محدد انما العفو يصاحبه

---

[١] سورة الحجر: ٦٨

[٢] هود: ٧٨

[٣] سورة هود: ٨٠

في اخلاقه وسيرته مع الناس ومن الآيات المرغبة في ذلك قوله تعالى ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ﴾[1] اي خذ العفو شعارا وسجية في تعاملك مع الآخرين قال تعالى ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ المحْسِنِينَ﴾[2] وقال تعالى﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [3]

ومع شرفية العفو وأهميته في الحياة الإنسان لكن هناك آدابا للعفو ينبغي التحلي بها وقد قص علينا القرآن الكريم من كلام وخلق نبي الله يوسف مع إخوته الأدب الرفيع مع ان اخوته قد ظلموه وآذاه.

وذلك عندما حصحص الحق واعترفوا بجريمتهم وخطأهم لما رأوا يوسف على دكة الملك وعزيز مصر وقد كشف النقاب عن شخصيته المباركة التي كانت خافية عنهم فلا مجال للهروب من الحقيقة والاعتراف بالخطيئة فقالوا ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لخَاطِئِينَ﴾[4].

ان يوسف الصديق لم يكتف بالعفو عن اخوته مع القدرة على معاقبتهم وكانوا يستحقون ذلك انما تجاوز عن مسالة العفو والمسامحة فقال ﴿ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[5]

ولا تثريب بمعنى لا ملامة عليكم ولا عتاب ولا تعيير ولا توبيخ بل يغفر الله لكم لأنه ارحم الراحمين.

---

[1] الأعراف: ١٩٩
[2] آل عمران: ١٣٤
[3] التغابن: ١٤
[4] يوسف: ٩١
[5] يوسف: ٩٢

أراد يوسف الصديق أن يزيل عن اخوته كل أشكال الخجل والقلق والخوف ويظهر كل انواع الود والعطف.

فأي قلب كان يتمتع به يوسف؟ واي ايمان كان يحمل بحيث لم تزعزعه الشدائد وقساوة السنين ان يبحث عن مبررات لساعة الانتقام، فهيهات هيهات أن يتزلزل أو يتضعع إيمانه.

فمع كثرة الجراحات والآلام، وغربة الأوطان، ومطامير وعذابات السجون وكيد النساء وفراق أبيه يعقوب كل ذلك كان بسبب حسد وكيد إخوته فلما حان وقت القصاص واخذ الحق منهم واذا به يعلنها صراحة بقوله (لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ).

فهذا اليوم عند الصديق ليس يوم قصاص وانتقام وتصفية حسابات إنما هي ساعة العفو وغير مشفوع بالعتاب والتوبيخ والجراحات.

هكذا يقص علينا القران هذا الادب الرفيع حتى يكون منهجا وسلوكا في حياة الامة وشعاراً للصالحين.

أدب نبي الله موسى عليه السلام

التواضع للعالم

قال تعالى﴿ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ ممَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [1]

من المعلوم أن نبي الله موسى عليه السلام يعد من انبياء اولي العزم وقد اصطفاه الله بكلامه وكان رسولا مخلصا وجيها.

مع هذه الأوسمة الكثيرة والعظيمة والمقامات الكبيرة والمسؤوليات الجسيمة نراه يتواضع بكل إجلال للخضر عليه السلام حينما علم بإحاطته بالعلوم اللدُنية والغيبية التي آتاه الله إياها وكانت خافية على موسى الكليم فالتمس منه الموافقة بالاتباع والتعليم.

[1] الكهف: ٦٦

ومن اللطيف ان موسى الكليم لم يرد فقط المتابعة العالم لأنه حريص على وقته الثمين انما شرط عليه ان يعلمه من علمه الغيبي الذي يرشد الى الصلاح والخير وحتى يزداد يقينا وايمانا (وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [1].

فالإنسان مهما امتلك من مزايا ومعرفة وخبرة في مجالات عديدة واختصاصات فريدة لكن عندما يجهل في مجالات اخرى ينبغي التواضع لأصحابها والاعتراف بجهله والسعي في نيلها قال تعالى ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[2]

فان المكابرة على العلم والعالم ليس من ديدن العاقل ولا من سمات الطالب الراغب في نيل المقاصد وتحصيل المراتب العالية والمقامات السامية انما المكابرة داء عضال يصيب الجهال فيمنعهم من تحصيل الكمال.

موسى الكليم الشهم المبادر

ومن اخلاق موسى عليه السلام يخاطب ابنتي شعيب لما رآهما عند ماء مدين في معزل من الرعاء (تَذُودَانِ)أي تمنعان أنعامهما من الماء لا تسقيان إنما تنتظران انتهاء وخروج الرعاة بعد سقي مواشيهم (قالَ ما خَطْبُكُما) [3]

وهو سؤال طبيعي يجول في كل انسان سوي وضمير كل حي ينبض بالإنسانية ونفس تتحلى بالمروة والشهامة وقلب رحيم لا يرضى بالحيف والضيم حينما يرى امرأتين مع المواشي عند السقاية لكنهما لا تقتربان منها ولا تسقيان فإنه سوف يسارع بالسؤال لكي يستوضح الحال (قالَ ما خَطْبُكُما) فتجيبان بكل حياء وإجلال (قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ). [4]

---

[1] طه: ١١٤

[2] يوسف: ٧٦

[3] القصص: ٢٣

[4] القصص: ٢٣

وبسبب انانية وغلظة الرعاء لم يفسحوا المجال لهاتين المرأتين الضعيفتين بالسقاية فما كان منهما الا الاعتزال وعدم مزاحمة الرجال صيانة للعفة وزيادة في الاحتشام وحفظا لكرامة النفس من الإذلال.

وان ورودهما كأمرتين للسقاية لم يكن منهما بطرا واختيار انما حاجة واضطرار لكبر ابيهما وفقدان الأخ المعين (وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ). [1]

ومن اللطيف ان موسى عليه السلام لم يكتف بالمشاهدة او بالسؤال او اعتراه التراخي والجفاء بعد معرفة الحال إنما بادر بكل قوة وارتجال يبتغي بذلك مرضاة ربه المتعال (فَسَقَى لَهُمَا). [2]

فهذا درس قرآني كبير ينبغي اخذه بعين الاعتبار من هذه القصة الواقعية (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى) [3]

وذلك بأن يمتلك المؤمن نظرة ثاقبة لما يدور حوله وما تقع عليه عيناه من الحوادث الملفتة والمريبة ابتغاء إعانة الضعفاء وقضاء حوائج الفقراء.

فليس من المروءة غضّ الطرف واتخاذ الموقف المتفرج واللامبالاة عند احتياج الاخرين النجدة والمساعدة، او تجاهل الضعيف او المكابرة والانانية كما فعل الرعاة.

ومن الملفت ان موسى عليه السلام لم ينتظر من المرأتين المبادرة في طلب السقاية منه إنما كان هو المبادر والمتصدي لذلك لشهامته وقلبه الرحيم بالناس، اما منهما فكان الحياء مانعا في طلب المساعدة (فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ). [4]

---

[1] القصص: ٢٣
[2] القصص: ٢٣
[3] يوسف: ١١١
[4] القصص: ٢٥

وقد درّ هذا العمل الصالح على موسى الخير الكثير الذي قد يراه البعض أمرا يسيرا ومقدور عليه.

فإنه عليه السلام خرج من المدينة خائفا من بطش المتآمرين عليه لقتله (فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ). [1]

لكن الله أنجاه وأمنهم منهم (فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ ۖ نجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالمِينَ﴾. [2]

وكان موسى عليه السلام يفتقر لأبسط مقومات الحياة من المطعم والمشرب والمسكن والزوجة لكن ببركة الدعاء والتوجه الى ربه الكريم وبعلمه ويقينه بان ربه لا يترك عبده مهما تعسرت الشدائد وضاقت الأمور فقال (**رَبِّ إِنِّي لمَا أَنزلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ**). [3]

وببركة عمله الصالح لابنتي شعيب جاء الفرج والمخرج من العسر الى اليسر ومن الشدة الى الرخاء قال تعالى(إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا) [4] قال عز وجل (قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيّ هَاتَيْنِ). [5] وقال سبحانه (أَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي) [6]. حيث اغناه الله بعد الفقر.

انظروا أيها الأحبة كيف أن العمل الصالح مهما كان قليلا فانه ينزل البركات الكثيرة ويفيض الخيرات الكبيرة والتوفيقات الوفيرة من الله على فاعله وإن الإعراض عن هذه الفرص وتجاهلها هو تفويت البركات والخيرات الالهية والألطاف الربانية.

---

[1] القصص: ٢١
[2] القصص: ٢٥
[3] القصص: ٢٤
[4] القصص: ٢٥
[5] القصص: ٢٧
[6] طه:١٨

من أدب وخلق نبينا (صلى الله عليه وآله)

لا غبار في سمو اخلاق النبي (صلى الله عليه وآله) وعظيم سجاياه وجميل طبائعه وقد صرح القرآن بذلك في قوله تعالى﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1]
وهناك الكثير من الآداب والأخلاقيات ما يخص النبي(صلى الله عليه وآله) أشارت بذكرها الآيات لكن بعض هذه الآداب قلمّا يُلتفت اليها، نذكر جملة منها :

الآية الاولى: في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾[2]

لا شك أن رفع الأصوات فوق صوت النبي (صلى الله عليه وآله) ومناداتهم اياه كأحدهم وعدم مراعاة مكانته ومنزلته يعد أمرا مذموما وبعيدا عن الآداب والأخلاق إنما يجب التبجيل والتوقير والتعظيم له حتى مع علمهم بتواضعه وسمو نفسه وعظيم حلمه ولين جانبه.

لكن المسألة الملفتة والعجيبة في هذه الحادثة أننا لا نرى اية شكوى منه (صلى الله عليه وآله) ولم نسمع أنه نهاهم عن ذلك او زجرهم او ابدى امتعاضه من تصرفهم مع انه خلق سيء ومرفوض.

وعدم إبداء كراهيته وامتعاضه من سوء تصرفهم يكشف لنا ومن دون ريبة على سمو خلقه وعلو سجيته.

وعدم شكواه ونهيهم اياه لا يعني بالضرورة رضاه عن فعلهم واستحسانه، فليس سكوته عن امر يخصه دليل على قبوله وعدم امتعاضه منه انما يغض الطرف عنه لعظيم أخلاقه.

---

[1] القلم: ٤
[2] الحجرات: ٢

وسيأتي في الآية اللاحقة من الدلائل على خلقه وأدبه الشريف ما يبين هذه النكتة المهمة.

إذن فالنبي (صلى الله عليه وآله) كان يكتم ما يكرهه في قلبه الواسع الرحيم، ويتأدب معهم بخلقه الرفيع رحمة بهم وخوفا على مشاعرهم وأحاسيسهم من الخدش لكن كالعادة تتدخل السماء بالدفاع عنه وتضع حدا لهذا الاستخفاف وعدم التأدب في حضرته وتهددهم يحبط أعمالهم لردعهم.

الآية الثانية: في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ ۖ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ..) [١]

وهذه الآية جدّ صريحة في بيان ما كان يؤذي النبي (صلى الله عليه واله) من استئناس بعضهم في الحديث في بيوت النبي (صلى الله عليه وآله).

وكان هذا التصرف يدخل الاذى على قلبه الشريف لكنه لسمو خلقه يخجل بمصارحتهم ونهيهم عنه فتنزل الآية المباركة فتنهاهم عن ذلك.

فأي خلق وقلب كان يحمله رسول الله (صلى الله عليه وآله) فهو يتحمل الاذى في نفسه ولا يبدي لهم لا تصريحا ولا تلميحا حياء منهم.

الآية الثالثة: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾[٢]

من الواضح ان وظيفة القائد الرسالي هو التبليغ والإنذار والارشاد اما هدايتهم فهي خارجة عن وظيفته ومسؤوليته وهذا ما صرحت به الكثير من

---

[١] الأحزاب: ٥٣

[٢] الكهف: ٦

الآيات كقوله تعالى ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ [1]وقوله سبحانه ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلا الْبَلاغُ [2] وقوله عز وجل ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[3]﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[4]

فمع عدم تحمل النبي(صلى الله عليه وآله) مسؤولية هدايتهم وما عليه سوى البلاغ المبين نراه يهلك نفسه أسفا وتألما لعدم استجابة البعض لدعوته والإيمان برسالته لشدة حب الخير لهم، والسعي لهديتهم لهم والاجتهاد في سعادتهم وفلاحهم والتسبب بإخراجهم من ظلمات الكفر والجهل إلى نور التوحيد والمعرفة.

وهذا الخلق الرفيع لسعة قلبه الرحيم ولعلمه بعقبى الدار المتقين وعقبى دار الفاسدين فيتمنى الخير للجميع لأنه رحمة للعالمين.

الآية الرابعة: ومن أخلاقه العظيمة في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ ﴾[5]

نذكر اولا حيثيات القصة ومن ثم نبين النكتة الاخلاقية منها (كان رسول الله يذهب أحيانا إلى زوجته (زينب بنت جحش) فتبقيه في بيتها حتى " تأتي إليه بعسل كانت قد هيأته له (صلى الله عليه وآله وسلم) ولكن لما سمعت عائشة بذلك شق عليها الأمر، ولذا قالت: إنها قد اتفقت مع " حفصة " إحدى (أزواج الرسول) على أن يسألا الرسول بمجرد أن يقترب مه أي منهما بأنه هل تناول صمغ " المغافير " (وهو نوع من الصمغ يترشح من بعض أشجار الحجاز يسمى

[1] البقرة اية ٢٧٢
[2] الشورى اية ٤٨
[3] القصص: ٥٦
[4] سورة الغاشية: ٢٢
[5] سورة التحريم: ٣

" عرفط " ويترك رائحة غير طيبة، علما أن الرسول كان يصر على أن تكون رائحته طيبة دائما) وفعلا سألت حفصة الرسول(صلى الله عليه واله) هذا السؤال يوما ورد الرسول بأنه لم يتناول صمغ " المغافير " ولكنه تناول عسلا عند زينب بنت جحش، ولهذا أقسم بأنه سوف لن يتناول ذلك العسل مرة أخرى، خوفا من أن تكون زنابير العسل هذا قد تغذت على شجر صمغ " المغافير " وحذرها أن تنقل ذلك إلى أحد لكي لا يشيع بين الناس أن الرسول قد حرم على نفسه طعاما حلالا فيقتدون بالرسول ويحرمونه أو ما يشبهه على أنفسهم، أو خوفا من أن تسمع زينب وينكسر قلبها وتتألم لذلك.

لكنها أفشت السر فتبين أخيرا أن القصة كانت مدروسة ومعدة فتألم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لذلك كثيرا فنزلت عليه الآيات السابقة لتوضح الأمر وتنهى من أن يتكرر ذلك مرة أخرى في بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) انتهى [1]

حيث ان النبي (صلى الله عليه واله) لم يكشف لها تمام السر الذي أفشته انما اكتفى بذكر بعضه وأعرض عن بعض حرصا على عدم إحراجها لعلو نفسه الشريفة.

بخلاف الكثير من الناس ومن ضمنهم الازواج حينما يقع خلاف وجدال بينهم لا يغضون الطرف عن صغائر القضايا فضلا عن كبائرها إلا ذكروهم بها لأجل خصمهم واسكاتهم او إحراجهم او ايذائهم، بل ان البعض يفتري اشياء على الآخرين لأجل الغلبة والانتقام والتشفي.

[1] تفسير الامثل ج ١٨ ص ٤٤٧

حريص على المؤمنين

الآية الخامسة: قال تعالى (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ . [1]

ومن طبعه وخلقه سعة رحمته (صلى الله عليه واله) وما تحمل نفسه من قيم أخلاقية يكلّ اللسان عن وصفها، ويحار العقل عن ادراكها واستيعابها فقد عبرت الآية ان النبي (صلى الله عليه وآله) من أنفسكم، وهذا المقطع مع قصره لكنه ينطوي في ثناياه معاني عظيمة، ولطائف عميقة، ولعل المقاطع الأخرى في الآية هي منبثقة وراجعة الى هذا الأصل الشريف.

فانه يعز على قلبه ويشق عليه ما يمر بكم به محن، وحريص على هدايتكم، وأنه يحمل الرأفة والرحمة عليكم لأنه بعضكم وجزء منكم لا تغيب عنه طموحاتكم وافراحكم، ولا يغفل عن احزانكم ومعاناتكم.

فان الآية تقول ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) من أنفسكم فما تعانونه فهو يشعر به ويعاني مثله قال تعالى(رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولا مِّنْهُمْ) [2]

ويمكن تقريب المعنى بين علاقة رسولنا الكريم (صلى الله عليه واله) بالمؤمنين ما جاء في وصية امير المؤمنين لابنه الإمام الحسن (عليهما السلام) : وَوَجَدْتُكَ بَعْضِي، بَلْ وَجَدتُكَ كُلِّي، حَتَّى كَأَنَّ شَيْئًا لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِي، وَكَأَنَّ المَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِي، فَعَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِينِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي . [3]

فجميع الصفات والاخلاقيات المذكورة في هذه الآية وغيرها من الآيات القرآنية الخاصة بالنبي (صلى الله عليه واله) يعم فيضها وبركاتها على جميع المؤمنين على حد سواء من دون تحديدها بعصبية قومية او عشائرية ومنطقية،

---

[1] سورة التوبة: اية ١٢٨

[2] سورة البقرة: اية ١٢٩

[3] تفسير الامثل ج ١٨ ص ٤٤٧

فانه يجلّ عن هذه النظرة الضيقة، والآية واضحة الدلالة على ذلك، بقوله تعالى (بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ).

و(عَزِيزٌ عَلَيْهِ) يُقال يعزّ عليّ حال فلان او يعز علي فراقه أي يصعب علي تحمل ذلك:

والعنت (عَنِتُّمْ) هي الشدة والمشقة قال تعالى (وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ) [1] وقال عز وجل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ) [2]

اذن فان رسول اللّه (صلى اللّه عليه واله) يعز على قلبه أن يراكم في مشقة وضرر وشدة، لأنكم جزء منه، فيتألم حينما يرى فقركم، واستضعافكم من قبل المشركين .

و(حَرِيصٌ عَلَيْكُم) فانه شديد الحرص والاهتمام في هدايتكم وتزكيتكم وتعليمكم، وإزالة الاغلال عنكم قال عز وجل (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ) [3] وقال تعالى (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) [4]

فأنه صلى اللّه عليه واله قد بالغ في النصيحة، وبذل غاية المجهود، وحرص على هداية المؤمنين وتكاملهم، واعزازهم حتى ورد عنه صلى اللّه عليه وآله)

---

[1] نهج البلاغة ج ٣ص ٢٢

[2] سورة الحجرات: اية ٧

[3] سورة الجمعة: اية ٢

[4] سورة الأعراف: اية ١٥٧

إنه قال: والله ما من عمل يقربكم من النار إلا وقد نبأتكم به ونهيتكم عنه، وما من عمل يقربكم إلى الجنة إلا وقد نبأتكم به وأمرتكم) [1]

و(بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) وان رحمة النبي (صلى الله عليه واله) بالمؤمنين هي السمة البارزة في تعامله ومعاشرته فاذا كان النبي رحمة للعالمين، فهو من باب أولى رحمة بالمؤمنين فهناك رحمة عامة من النبي (صلى الله عليه واله) تجاه العالمين قال عز وجل (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ [2]) وتوجد رحمة خاصة بالمؤمنين وقال سبحانه (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) [3] (بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ)

وان الرحمة اعم سعة من الرأفة، فمن مصاديق الرحمة هي الرأفة والشفقة واللين على الآخر، فالإنسان لا يرأف ويشفق في الغالب الا وقلبه مفعم بالرحمة.

المطلب الثاني: الادب مع الوالدين

عندما نلقي الضوء على الآيات التي تناولت برّ الوالدين ونتدبر فيها نجد هناك أوامر ونواهي الهية متوجهة إلى الأولاد تلزمهم بالأخذ والالتزام بها تجاه الوالدين وعلاوة على ذلك توجد واجبات أخلاقية تربوية تحث الأولاد بالعمل بها تجاه الوالدين.

وهذا التنوع في التعامل مع الوالدين فيه نكات مهمة:

الاولى: فانه يدل على اهتمام الدين الإسلامي في بر الوالدين ووجوب الوفاء لهما بما قدما من الإحسان وتحملا من الأذى في سبيل تربية الأولاد قال تعالى

---

[1] بحار الانوار ج ٧٤ص ١٤٣

[2] سورة الأنبياء: اية ٢

[3] سورة الشعراء: اية ٢١٥

﴿ هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلا الإِحْسَانُ﴾[1] وقال (وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[2]

وخاصة معاناة الأم فإننا نعجز بفعلنا عن أداء حقها ومجازاة احسانها ويكلّ لساننا عن وصفها وشكرها بما قدمت وتحملت من الآلام والمعاناة في الحمل والوضع والتربية والاهتمام.

لذا تجد القران الكريم يستعرض مراحل الحمل والولادة والمعاناة لتقديرها وشكرها وقال ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ) [3] وقال ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾[4]

ولعظيم شانهما وفضلهما عند الله امر بالإحسان اليهما مباشرة بعد القضاء له بالعبودية دون سواه قال تعالى ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾[5]

الثانية: ولم يكن هذا القضاء منحصرا في امة دون امة او شريعة دون اخرى انما هو قضاء سار في كل الأمم والشرائع وقد اخذ الله تعالى الميثاق على بني إسرائيل بالوحدانية له والاحسان للوالدين قال تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) ﴾[6].

الثالثة: أن بر الوالدين لا يقتصر على أن يحسن الولد لأبويه من جهة الإنفاق والعطاء والشكر إنما تتسع الدائرة لتشمل حرمة إدخال الأذى عليهما ولو بكلمة المعبر عنها قرآنياً (أُفٍّ) او بفعل كالزجر المعبر عنه بقوله تعالى (وَلا تَنْهَرْهُمَا).

---

[1] سورة الرحمن: ٦٠
[2] الإسراء: ٢٤
[3] لقمان: ١٤
[4] الأحقاف: ١٥
[5] الإسراء: ٢٣
[6] **البقرة: ٨٣**

الرابعة: يجب الحذر من الوقوع في فخ المن والتفضل على الوالدين فمهما بلغ الإحسان إليهما مبلغه فيجب الشعور بالتقصير تجاههما.

الخامسة: أن الله تعالى امر بشكر الوالدين قال عزوجل (أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾[1]

ومن الواضح ان الشكر لا ينحصر على القول باللسان بل يتعداه الى العمل والفعل حتى يصدق الاحسان ويرضي الرحمن قال تعالى (اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [2].

وبعد هذه الملاحظات نستعرض جملة من الآيات الواردة في بر الوالدين، ويمكن نقسمها الى ثلاث مجموعات هي الأوامر والنواهي والأخلاقيات:

الأوامر الإلهية في بر الوالدين:

ان الله تعالى قضى واوصى الانسان بالإحسان الى الوالدين في آيات كثيرة كقوله تعالى (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾[3] وقال ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ [4] وقوله ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا) ﴾[5]وقوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾[6] وقوله ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾[7]

ومن الملفت أن جميع هذه الآيات التي اوصت الانسان بالإحسان الى الوالدين جاءت على نحو الاجمال بمعنى انها لم تبين مصاديق الإحسان ما عدا في

[1] **لقمان: ١٤**
[2] **سبأ: ١٣**
[3] الأنعام: ١٥١
[4] العنكبوت: ٨
[5] الأحقاف: ١٥
[6] البقرة: ٨٣
[7] النساء: ٣٦

سورة الاسراء ولقمان جاء فيها شيء من التفصيل قال تعالى﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلا كَرِيمًا﴾[1] وقال ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[2] وقوله ﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلا مَّيْسُورًا﴾[3] وقال ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾[١٤] ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾[4]

والذي نريد ان نقف عليه في هذا الباب هي الأوامر الالهية في بر الوالدين وسنذكر جملة من المصاديق في الإحسان الى الوالدين:

الآية الاولى: قوله تعالى ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾[5]

نلاحظ أن الله تعالى يأمر بوجوب التواضع للوالدين والإذلال لهما سواء في الحديث او في المعاشرة او عند تلبية حوائجهما اجلالا وشكرا لهما.

ومن المعلوم ان طاعة الوالدين من الواجبات والحقوق وعصيانهما من العقوق، وان من اهم اسباب العصيان هو التجبر والتكبر قال تعالى ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾[6]وقال ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾[7]

---

[1] الإسراء: ٢٣
[2] الإسراء: ٢٤
[3] الإسراء: ٢٨
[4] لقمان: ١٥
[5] الإسراء: ٢٤
[6] مريم: ١٤
[7] مريم: ٣٢

وإن من ثمار وفوائد خفض الجناح انه يجلب المحبة في النفوس ويربي النفس على التواضع ويكبحها عن الآنفة والاستعلاء ويقوي العلاقة والرابطة بين الأولاد والاباء قال تعالى لنبيه (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

لذا ينبغي أن يقرن الاحسان بالتواضع والرحمة وأن يشفع بالإذلال والشفقة وأن يخلو من كل غلظة وقسوة ومنٍّ واذى.

الآية الثانية والثالثة: قوله تعالى (وَقُل لَّهُمَا قَوْلا كَرِيمًا﴾[2] وقال(فَقُل لَّهُمْ قَوْلا مَّيْسُورًا﴾[3]

ومن الاوامر الالهية التي تلزم الأولاد في التعامل والاخذ بها مع الوالدين ومن مصاديق الإحسان لهما، هو قول اللين والحسن الجميل، والرفق فيه، وترك الكلام الخشن الغليظ.

الآية الرابعة: قوله تعالى(أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [4]

وينبغي أن يكون الإنسان في ديمومة الشكر لوالديه قولا وفعلا في حياتهما وبعد مماتهما ويتحقق ذلك بالإحسان لهما والتصدق عليهما وقضاء ديونهم حتى يكتب باراً.

الآية الخامسة: قال تعالى﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾[5]

ان القرآن الكريم يأمر بالصحبة الطيبة والمعاشرة الكريمة مع الوالدين حتى مع بذل جهدهما في سبيل ثني الأولاد عن الإيمان، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

---

[1] سورة الحجر: ٨٨
[2] الإسراء: ٢٣
[3] سورة الإسراء: ٢٨
[4] لقمان: ١٤
[5] لقمان: ١٥

ان هذا التعامل الإسلامي الرفيع يكشف جليا بعظمة تعاليمه وأحكامه حيث انه لم ينه عن المعاشرة الطيبة مع الوالدين وأبقى على صحبتهما بالمعروف مع تلبسهما بالشرك وبذل الجهد لثني الأولاد عن التوحيد الحق.

النواهي عن عقوق الوالدين

وقد ورد النهي القرآني عن بعض الاقوال والافعال التي تسيء الأدب مع الوالدين وتوقع فاعلها في العقوق بإدخال الأذى على قلبهما كقوله تعالى (وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا) [1]

فالآية تنهى عن قول (أُفٍّ) للوالدين وهذه اللفظة تُقال عند التضجُّر من الشيء لأنها تدخل الاذى على قلب الوالدين وكذلك جاء النهي عن زجر الوالدين (وَلا تَنْهَرْهُمَا).

فنفهم من هذا النهي المحرم الذي يعد الادنى في القول والفعل بحق الوالدين بحرمة ما هو أعظم في الاقوال والافعال.

وان قوله تعالى (إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ) هو زيادة في الاعتناء والاهتمام والاحترام في الكبر لانهما في تلك الحالة تزداد الحاجة والمساعدة بسبب الشيخوخة والطعن في السنّ لان في هذه المراحل عادة يكثر النسيان والهفوات والاخطاء فيجب تجاهلها وغض الطرف عنها اجلالا لهما والتحلي بالصبر وسعة الصدر قال تعالى ﴿ وَاللّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾[2]

فالله تعالى يعلم الظروف الحرجة التي يمر بها الوالدان بل كل انسان في ذلك السّن فلذا نهى عن التضجر والزجر (فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا).

---

[1] الإسراء: ٢٣

[2] سورة النحل: ٧٠

وفي نفس الوقت لا ينبغي ان يفهم من هذا النهي انه مختص في كبر الوالدين بل هو نهي شمولي يشمل جميع مراحل حياة الوالدين لكن ذكر الكبر لضرورة الاهتمام والاعتناء والتحمل في ذلك السن.

ولذا ينبغي التنزه عن أي قول فيه خشونة ورعونة تجاه الوالدين يقول تعالى عن قول اخوة يوسف لأبيهم يعقوب عليه السلام ﴿ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾ (١) وقوله تعالى ﴿ قَالُوا تَاللّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ﴾ (٢)

حتى لو أراد شخص ان يعبر عن شيء او يصف شيئا ينبغي التأدب في قوله ويزداد الامر حذرا وحيطة مع ذوي الفضل والإحسان كالوالدين.

وكذلك ما ورد في قوله تعالى ﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ (٣)

الخُلُق القرآني مع الوالدين

ومن خلال التتبع القرآني نجد هناك جملة من الآيات تعلم الإنسان وتحثه على برّ الوالدين من باب الوفاء والاحسان لهما ويمكن عرضها على شكل عناوين:

الدعاء للوالدين:

فقد ورد الدعاء للوالدين على لسان الأنبياء (عليهم السلام) وقد تضمنت أدعيتهم الاستغفار لهما والترحم عليهما.

وهذا التركيز والاهتمام القرآني بأدعية الأنبياء وخاصة فيما يخص الدعاء للوالدين هي دروس تربوية واخلاقية للمؤمنين لكي يتأسوا بسيرتهم وسلوكهم الصالح.

---

(١) يوسف: ٨

(٢) سورة يوسف: ٩٥

(٣) سورة الأحقاف: ١٧

ومن تلك الآيات قوله تعالى ﴿ رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلا تَبَارًا﴾[(١)] وقوله تعالى ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الحِسَابُ﴾(٢) وكذلك ما ورد من الإرشادات الإلهية قوله تعالى (وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾(٣)

الوصية للوالدين من الميراث

ومن الرسائل التربوية والاخلاقية التي يربي بها القرآن الكريم المؤمنين إذا حضر عند احدهم الموت وكان لديه تركة من المال وغير ذلك من الخير ان يوصي لوالديه منها وهي من مصاديق البر والإحسان للوالدين قال تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى المُتَّقِينَ﴾(٤)

فمع أن الوالدين لهما فرضهما المذكور في الارث لكن هذه الوصية جاءت من باب الإحسان وزيادة في العطاء والإنفاق، فيعطى للوالدين من ثلث الميراث الموصى به.

الإنفاق على الوالدين

ومن أعمال البر والإحسان الى الوالدين هو الإنفاق والتوسعة عليهما قال تعالى ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾(٥)

وقد قدمت الآية الوالدين في الإنفاق على غيرهم لقربهم وأهميتهم وخصّتهم بالذكر مع انهم ايضا من الأقربين، بينما في اية اخرى ادخلتهم في عموم القرابة

---

(١) نوح: ٢٨
(٢) إبراهيم: ٤١
(٣) الإسراء: ٢٤
(٤) سورة البقرة: ١٨٠
(٥) البقرة: ٢١٥

قال تعالى ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ﴾[1].

اجلال وتعظيم الوالدين

ومن مصاديق البر للوالدين وجوب الإجلال وتقديم الاحترام واستعمال الرحمة واظهار التودد وادخال السرور والاطمئنان عليهما ومن الشواهد القرآنية قوله تعالى ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾[2] وقال ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾[3]

وعبارة (آوى) تدل على الاحتضان حيث ضم يوسف (عليه السلام) ابويه بكل حرارة وشوق.

المطلب الثالث: الادب مع اليتامى

قال تعالى ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى.. ﴾ [4]

فالله تعالى كما أمرنا بعبادته وتوحيده ونفي الشرك عنه كذلك امرنا بالإحسان الى الايتام.

ولو بقينا نحن والآية التي تدعو الى الاحسان الى اليتامى لكان المراد منه مطلق الاحسان والخير والصنيع ينبغي تقديمه لهم وهو صحيح بلا اشكال لكن هناك العديد من مصاديق الاحسان قد تناولها القران التي ينبغي مراعاتها والاهتمام بها سواء كانت مادية او معنوية وسياتي الكلام عن حقوق

---

[1] البقرة: ١٧٧

[2] يوسف: ١٠٠

[3] يوسف: ٩٩

[4] النساء: ٣٦

اليتامى في القران لكن في هذا المطلب سنلقي الضوء على التعامل الادبي والاخلاقي مع اليتامى وفق ما ورد في القران.

ولم يكن هذا الاهتمام والرعاية مقتصرا على هذه الامة المرحومة انما قد اخذ على بني اسرائيل الميثاق على ان يحسنوا للأيتام وغيرها من الاحكام قال تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلا اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلا قَلِيلا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾[1]

وقد ذكرت جملة من الآيات بعض الارشادات في خصوص اليتامى ينبغي العمل بها ونهت عن بعض الاخلاقيات السيئة ينبغي النأي عنها ونحاول ان نذكرها بعناوين مستقلة:

الصلاح والمخالطة

قال تعالى (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ﴾[2]

فمن المسائل التي ركز عليها القرآن في أمر اليتامى واوعز المسلمين بالاهتمام بها وعدم تجاهلها واهمالها ان يسعوا في اصلاح أمورهم على جميع المستويات وأن يعاشروهم معاشرة الإخوان حتى لا يشعروا بالوحدة والطبقية او مخالطة أموالهم إذا كان في ذلك خير واصلاح ومنفعة لهم.

فينبغي مراعاة الجوانب النفسية التي يعيشها اليتيم بعد فقد والده فمن تلك المسائل الدقيقة التي يجب الحرص على مراعاتها هي ضرورة الاهتمام به واحترام شخصيته وتلبية تطلعاته ورغباته وعدم اهماله وعزله او التقليل من شأنه حتى لا يشعر بالوحدة والتفاضل والإهمال.

---

[1] سورة البقرة: ٨٣

[2] سورة البقرة: ٢٢٠

النهي عن زجر اليتيم وإذلاله

فكما راع القران الجانب الاقتصادي لليتيم فقد اهتم أيضا بالجانب النفسي والروحي لأنه في وضع لا يحسد عليه بفقد حنان والده ورعايته فلا ينبغي إدخال الأذى عليه باي اسلوب.

فلذا نهى القران عن ايذاء اليتيم ولو بالزجر او اذلاله واحتقاره قال تعالى ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾[(1)] وقوله تعالى ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ﴾ [2]

فالحري بالعاقل ان يكرم اليتيم بماله ولسانه وفعله ويغدق عليه بحنانه ويخفض له جناحه وجنانه حتى ينأى بنفسه عن قوله تعالى ﴿ كَلا بَل لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾[3]

الوصية لهم من التركة

فيستحب ان يوصى لليتامى من تركة الارث وعلاوة على ذلك ان يقال لهم قولا معروفا بعيداً عن التجريح او المن وغير ذلك خشية ادخال الاذى في قلوبهم قال تعالى ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلا مَّعْرُوفًا﴾[4]

المطلب الرابع: الادب مع الزوجة

وجوب معاشرة الزوجة بالمعروف

قال تعالى (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) [5]

تعد مسألة معاشرة الزوجة بالمعروف والحسنى من المسائل التي اهتم بها الشارع المقدس اهتماما كبيرا حتى يحافظ على استدامة العلقة والرابطة بين الأزواج وتسود الرحمة والسكون والطمأنينة في البيت الاسري وحتى تجلّ

---

[1] سورة الماعون: ٢
[2] الضحى: ٩
[3] سورة الفجر: ١٧
[4] سورة النساء: ٨
[5] سورة الطلاق: ٦

الزوجة ولا يستهان بها ويستصغر قدرها ويتصدى للثقافة الخاطئة التي كانت سائدة في المجتمع الجاهلي وما زالت للأسف من ازدراء المرأة والنظر إليها بعين الاحتقار والاستهجان.

فمن رحمة الله علينا ان خلق لنا من انفسنا ازواجا لنسكن اليها وجعل المودة الرحمة بيننا قال تعالى ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]

ان الاخلاق السيئة التي تراها الزوجة من زوجها من الضرب والسباب وعدم احترامها واكرامها هي تنافي معاشرتها بالمعروف وبالتالي تعارض وصايا القرآن الكريم بوجوب معاشرتها بالحسنى والخلق الطيب.

إذن فكل خلق سيء ومستهجن يهين الزوجة ويذلها ويحقرها وهو غير مقبول وينافي تعاليم القران.

وان اعطاء القيمومة للرجل بنص القرآن لا يعني أن يتجاهل الزوج زوجته او يفرض عليها ارادته وسلطته لان الزواج عبارة عن تعاون وشراكة وتبادل للآراء والمشاورة والاحترام المتبادل بينهما لا أن يستضعف أحدهما الآخر.

إن الرجل الحقيقي هو من يثبت جدارته ولياقته وشخصيته من خلال الشخصية العادلة والصادقة والخلوقة والمتفانية من أجل صيانة البيت الزوجي من الانكسار والتشتت وهذا المعنى يشمل الزوجة ايضا وليست الزوجة هي من تكون لها السلطة والادارة والحكم في البيت انما الزوجة المرضية عند الله هي من تفني عمرها في خدمة أسرتها والحفاظ عليه من الانفصال ، وتربية أطفالها تربية صحيحة وناجحة لا أن تسعى في اثبات شخصيتها من خلال سيطرتها على شؤون الاسرة ولتكون كلمتها هي النافذة والمسموعة في البيت

---

[1] الروم: ٢١

فهذا الامور ليست اوسمة للتفاخر انما وسام الزوجة أن تكون الزوجة صالحة والأم الحنونة والمعلمة والمربية والناصحة والملتزمة والمطيعة والأمينة

المطلب الخامس: الادب مع المطلقة

لم يختصر تركيز القران الكريم في إرشاداته واوامره وآدابه على الزوجة بل تعداها لتشمل المطلقة لدفع الظلم عنها ولزوم اكرامها وايصال رسالة مهمة الى الأزواج من طرف الرجال بان وقوع الطلاق والانفصال لا يعني إعطاء الحق في إهانة المطلقة واذلالها او استغلالها او التشفي بها او بخس حقها وتعييرها وغير ذلك من السلبيات والاخطاء التي يقع فيها الكثير.

ولذا نص القران الكريم على ضرورة التأدب مع المرأة التي يراد تطليقها في كثير من الآيات **كقوله** تعالى(وإذا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلا تمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ)[1] وقوله تعالى (وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلا﴾[2] وقوله عز وجل ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ) [3] وقوله تعالى ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ) [4]

ان تركيز القرآن الكريم على مسالة تسريح المطلقة بإحسان ومعروف لكي يعم الادب والخلق الرفيع عند الطلاق وإكرامها واجلالها من قبل المطلق لأنها بالأمس كانت زوجة له وربما كانت اماً لأولاده فلا ينبغي اتخاذ موقف المعاداة والخصم.

فالقران يريد ايضا من خلال التسريح بإحسان القضاء على الافرازات والتداعيات الكثيرة التي تعقب الطلاق اذا ما فقد فيه الورع والخوف من الله.

---

[1] سورة البقرة: ٢٣١

[2] الأحزاب: ٤٩

[3] البقرة: ٢٢٩

[4] سورة الطلاق: ٢

فان الكثير من الأزواج لا يراعون الجوانب الشرعية والاخلاقية في مسالة الطلاق فمثلا تترك الزوجة كالمعلقة لا يطلقها زوجها لأغراض نفسية كالانتقام وإدخال الأذى او لأجل الاستيلاء على مهرها ومالها.

بينما القرآن الكريم يؤكد على مسألة الإحسان والمعروف الى الزوجة في الطلاق حتى تتم العملية بشكل صحيح وسليم بعيدة عن التنافر والضغائن والفساد.

وينبغي ان لا يؤثر الطلاق على الروابط بين الارحام والأخوة في الايمان ولا تنشأ عداوات وثارات.

المطلب السادس: الادب في الدعوة الى الله

لا شك ان الدعوة إلى الله تعد من أشرف الأعمال وأحسنها ومن أفضل القربات الى الله تعالى ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[١]

وكيف لا وبها يستنير الإنسان من ظلمات الجهل الى نور المعرفة ويخرج من عمى الضلال الى الهداية والاستبصار ومن الشك والارتياب إلى اليقين والاطمئنان ومن الفساد والفسوق الى الاصلاح وتزكية النفوس قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [٢] وقال ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [٣]

---

[١] فصلت: ٣٣
[٢] إبراهيم: ٥
[٣] سورة الجمعة: ٢

وهذه البركات والثمرات التي يكل اللسان عن شكرها وتقل همم الرجال عن أحصاها ومعرفة فضل إحسانها لا يمكن ان تنال إلا بالدعوة والتبليغ والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فلذا امر الله تعالى الانبياء والمصلحين بوجوب الانذار والتبشير لقومهم ويدعونهم الى التوحيد والايمان والتزكية وترك العادات السيئة قال تعالى﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [٤٥] وقال ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[١] وقال ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[٢]

وان الدعوة الى الله لا تقتصر على أهل العلم ورجال الدين فكل فرد يتحرك حسب مساحته وإمكاناته وظرفه كما قال تعالى وقال ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٣].

وكما أمر الله تعالى بلزوم الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كذلك وضع لها ضوابط واطراً تجنبا عن الوقوع في الاخطاء أو الضرر والاضرار عند عملية التطبيق.

وفي هذا الصدد نذكر جملة من الآيات التي تناولت أساليب وطرق الدعوة الى الخير.

فمن الآيات التي اشارت الى التفنن في الدعوة ومراعاة ادب الحوار والجدال مع الاخرين قوله تعالى ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ

[١] الأحزاب: ٤٦
[٢] آل عمران: ١١٠
[٣] آل عمران: ١٠٤

أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[1] وقوله تعالى ﴿ وَلا تجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾[2]

قد أشارت الآية الكريمة الى ثلاث نقاط مهمة لمن يتصدى الى الدعوة (الحكمة، الموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن)

وان من يتأمل في هذه المعاني سيجد ان المراد بالحكمة والله أعلم الحجة التي تنتج الحق الذي لا مرية فيه ولا وهن ولا ابهام والموعظة هو البيان الذي تلين به النفس ويرق له القلب لما فيه من صلاح حال السامع من الغبر والعبر وجميل الثناء ومحمود الأثر ونحو ذلك.

والجدال هو الحجة التي تستعمل لفتل الخصم عما يصر عليه وينازع فيه من غير أن يريد به ظهور الحق بالمؤاخذة عليه من طريق ما يتسلمه هو والناس أو يتسلمه هو وحده في قوله أو حجته. [3]

فالجدال بالحق ليس مذموما إذا خلا من آفة الظهور والاشتهار بين الأقران وكان يستند الى الحجة والبيان فقد كان نوح عليه السلام كما ذكر القران اكثر المجادلين بالحق مع قومه ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[4] وقال تعالى ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾[٧٤] ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾ [5]

غلظة القلب توجب الانفضاض

اذا ما اراد الله تعالى خيرا مستداما ومنهجا متبعا بين الناس فإنه يأمر بوجوب اتباعه ولزوم سلوكه بينهم رحمة بهم ولكي يكون أكثر تأثيرا فانه يأمر انبيائه

---

[1] سورة النحل: ١٢٥
[2] العنكبوت: ٤٦
[3] الميزان ج ١٢ص ٣٧١
[4] هود: ٣٢
[5] هود: ٧٥

في تطبيقه وتجسيده في حياتهم وسلوكهم حتى يكونوا قدوة ومناراً يقتدى بهم، وخاصة فيما يتعلق بهدايتهم وإخراجهم من ظلمات الشرك والجهل والاخلاق والعادات السيئة الى نور الايمان والمعرفة والأخلاق الفاضلة .

ومن أهم الخصال التي ينبغي أن تتوفر في الهداة الرساليين وأكثرها تأثيرا ودونها خرط القتاد هو التأدب بالقول اللين ولين القلب في السلوك والتعامل الأخلاقي الحسن مع الناس.

والقران الكريم قد أشار الى كلا الامرين اقصد اللين في القول واللين في السلوك والمعاملة الطيبة النابعة من القلب المفعم بالرحمة والشفقة على الناس.

فأما الأول: لما أمر الله تعالى موسى وهارون عليهما السلام بالذهاب الى فرعون لوعظه لعله يتذكر أو يخشى قال تعالى(اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى} [٤٣]{فَقُولا لَهُ قَوْلا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} [١].

أما الثاني: في قوله تعالى (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ).

وإذا اجتمع الأمران في سلوك الإنسان كان له تأثير عجيب في القلوب والنفوس حيث يجمع الأرواح والأبدان وتصغي إليه الأذان بخلاف غليظ القلب فإن الناس ينفضون من حوله مهما كان يتمتع بمهارة وبيان ومهما كان له منزلة بمكان.

فان رسول الله بما يمتلك من أخلاق عظيمة وسجايا رفيعة فإنه لو تعامل مع قومه بالفظاظة والغلظة لانفضوا وتفرقوا من حوله لأن هذا السلوك لا ينسجم مع فطرتهم ولا يعكس أخلاق الأنبياء وتعاليم السماء وبالتالي لا ينال بغيته وهدفه المنشود في إصلاحهم وهدايتهم.

---

[١] طه: ٤٤

فإذا كان الانفضاض حاصلا من حول أشرف وأكمل الخلق طرا وأعظم مربيا على وجه البسيطة إذا ما استعمل الفظاظة والغلظة مع الناس فما بالك بغيره من سائر المصلحين والمربين؟ فهو واقع بلا شك واشكال.

ولين القلب أوسع دائرة وشمولية من اللين في القول لأن القلب إذا لان ورقّ فإنه يؤثر على الجوارح والجوانح وبالتالي يصبح سلوكا عمليا في حياة الإنسان ويلقي بظلاله على الآخرين يقول تعالى عن نبيه (صلى الله عليه واله) ﴿لَقَدۡ جَاءَكُمۡ رَسُولٌ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِالۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1]

ولذا ينبغي على المربين والمصلحين في مختلف مراتبهم الشريفة ومقاصدهم النبيلة وأهدافهم العظيمة أن يعوا ويرعوا هذه المسألة حق رعايتها إذا ما أرادوا النجاح والفلاح في نيل مبتغاهم وتحقيق مرادهم في تربية النفوس وإصلاحها وتغيير العادات السيئة وكبح جماحها.

ان جذب الناس واحتوائهم والتأثير فيهم لا يتأتى الا من نافذة لين القلب والقول اللين وخفض الجناح ورحابة الصدر قال عز وجل (وَاخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ) [2]

بينما الغلظة والقسوة لا تورث سوى الانفضاض والجفوة، وصمّ الآذان، وكثرة الأضغان والسمعة السيئة بين الناس.

والجدير بالذكر ان الانسان مطالب بان يأتي الله يوم القيامة بقلب سليم وليس بقلب سقيم، وغلظة القلب داء عضال لا ينسجم مع اصحاب الايمان قال عز وجل (يَوۡمَ لا يَنۡفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلا مَنۡ أَتَى اللَّهَ بِقَلۡبٍ سَلِيمٍ [3]

---

[1] التوبة: ١٢٨

[2] الحجر: ٨٨

[3] الشعراء: ٨٩

اذن ينبغي التخلق والتأدب بالكلام اللين ويتجنب الكلام الغليظ لان لين القول أقرب الى القبول والارتياح والاصغاء بخلاف الغلظة فهو ينفر النفوس ويفض القلوب.



المبحث الثاني: العهود والمواثيق في القران

وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: أنواع العهود في القرآن

المطلب الثاني: معاني العهد في القرآن

المطلب الثالث: الأمر بوجوب الوفاء بالعهد

المطلب الرابع: الثناء على ذوي الوفاء

المطلب الخامس: النهي عن نقض العهود

المطلب السادس: الآثار الوضعية والعقوبات الالهية في نقض العهود

المطلب السابع: مسؤولية العهد

المطلب الثامن: شروط نقض العهود

المبحث الثاني

العهود والمواثيق في القران

العديد من الآيات القرآنية قد تناولت موضوع (العهد) بسبب أهميته وما فيه من ضرورة شرعية والتزام أخلاقي ولأجل الحفاظ على المواثيق والحقوق والمواقيت والوصايا والاوامر الالهية وفي نفس الوقت قد حثت الشريعة على لزوم الالتزام بالعهود واحترامها وحرمة نقضها إلا في موارد معينة سيأتي الكلام عنها لاحقا، وهناك جملة من المطالب ينبغي التعرض اليها:

المطلب الأول: أنواع العهود في القرآن

من يتدبر في الآيات القرآنية سيقف على الكثير من العهود والمواثيق المختلفة فبعض منها قد أخذت على بني ادم بصورة عامة وعلى النبيين او على امة من الأمم بصورة خاصة وغير ذلك من العهود المذكورة في كتاب الله واليك شطر منها:

العهد الإلهي المأخوذ على بني آدم:

فهناك عهد الهي مأخوذ على بني ادم فيجب الالتزام به وحرمة نقضه والتنصل عنه وهو ووجوب طاعة الرحمن والنهي عن طاعة الشيطان وهذا ما أشار إليه قوله تعالى ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [1] وقال محذرا (يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ۗ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ [2]

---

[1] سورة يس: ٦٠
[2] الأعراف: ٢٧

العهد المأخوذ في الامامة

ومن العهد الالهي الذي خص به نفسه بأن الإمامة عهده يجعله لمن يشاء في خاصة عباده ولا ينال عهده الظالمين قال تعالى ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[1]

العهد المأخوذ على النبيين

ومن المواثيق والعهود التي أخذها الله تعالى على النبيين هو الإيمان والنصرة فيما بينهم قال تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ۚ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾[2]

العهد المأخوذ على آدم عليه السلام

وقد أمر الله تعالى آدم عليه السلام بعدم الاقتراب والاكل من الشجرة المنهي عنها وعدم الاستماع لإبليس والاغترار بوسوسته وقسمه قال تعالى ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ)[[3]] وقال﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾[4]وقال (فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ)[5] لكنه نسي العهد الإلهي قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[6].

العهد المأخوذ على بني إسرائيل

ولقد اخذ الله تعالى العهد على بني إسرائيل بلزوم الطاعة واتباع النبيين قال تعالى ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ

---

[1] البقرة: ١٢٤
[2] آل عمران: ٨١
[3] الأعراف: ٢٢
[4] سورة الأعراف: ٢١
[5] الأعراف: ٢٠
[6] سورة طه: ١١٥

بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[1] ﴿ أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾[2]

العهد بين المسلمين والمشركين

ومن العهود والمواثيق التي اقرها الشارع المقدس وامر بلزوم احترامها والالتزام بها التي تكون بين المسلمين والمشركين قال تعالى ﴿ إِلا الَّذِينَ عَاهَدتم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [3] وقال ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلا الَّذِينَ عَاهَدتمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۖ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[4]

العهد المأخوذ على الزوج لزوجته

ومن المواثيق الغليظة في عهدة الزوج الناتجة من القران بين الزوجين هو لزوم الوفاء بإعطاء الزوجة مهرها من دون ان يبخس منه شيئا قال تعالى(وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا (٥)

فعند ابرام عقد القران يكون شرط نافذا وملزما على وجوب الإيفاء بالمهر للزوجة وهذا العقد بمثابة العهد والميثاق المنوط في ذمة الزوج.

العهد في نصرة الله ورسوله

فقد يعاهد المسلمون الله تعالى على نصرته والثبات في سوح القتال وحرمة الفرار والادبار في الحرب كمبايعة أصحاب النبي(صلى الله عليه وآله) على وجوب نصرة نبيهم(صلى الله عليه واله) والذب عنه، ومبايعة النبي هي مبايعة

---

[1] البقرة: ٤٠
[2] البقرة: ١٠٠
[3] سورة التوبة: ٤
[4] التوبة: ٧
٥ النساء: ٢١

اللّه وهو عهد مأخوذ عليهم يجب الوفاء به كقوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنمَا يُبَايِعُونَ اللّهَ يَدُ اللّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَى بمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [1] وقوله عزوجل ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا﴾ [2]

العهد في المباحات

قد يعاهد العبد ربه في فعل امر معين مباح او في ترك فعل لمصلحة وله شروط كثيرة مذكورة في كتب الفقه.

المطلب الثاني: معاني العهد في القرآن

تعددت معاني العهد لاختلاف موضوعه في الآيات وإليك جملة من المعاني:

الأمر: فقد جاءت بمعنى الامر الالهي قال تعالى (وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ [3] أي امرناهما.

الوصية: وقد جاءت مفردة العهد بمعنى الوصية كقوله تعالى﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[4] وقوله تعالى ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[5] وفي نفس الوقت قد أوصى بلزوم الوفاء بالعهد كقوله تعالى (وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُوا ۚ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[6]

المواثيق : وقد ورد العهد بمعنى المواثيق في آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ

[1] الفتح: ١٠
[2] الأحزاب: ٢٣
[3] البقرة: ١٢٥
[4] سورة طه: ١١٥
[5] يس: ٦٠
[6] الأنعام: ١٥٢

فَارْهَبُونِ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ إِلا الَّذِينَ عَاهَدتم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا) [2] وقوله تعالى ﴿ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾[3]وقوله عزوجل ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضُونَ المِيثَاقَ﴾[4]

المدة: وقد ورد العهد بمعنى الزمن المضروب قال تعالى ﴿ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾[5]

الأيمان والنذور: ومن الآيات التي اشارت الى مسالة الوفاء بالأيمان والنذور والعهود قوله تعالى (وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا) [6]

الامامة: وقد جاءت بمعنى الامامة الإلهية المجعولة لخاصة اولياءه قال تعالى ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[7]

الوعد: قال تعالى ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ). [8] وقال تعالى ﴿ وَقَالُوا لَن تمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[[9]] وغير ذلك من المعاني.

---

[1] البقرة: ٤٠
[2] سورة التوبة: ٤
[3] البقرة: ٢٧
[4] سورة الرعد: ٢٠
[5] طه: ٨٦
[6] البقرة: ١٧٧
[7] سورة البقرة: ١٢٤
[8] سورة الأعراف: ١٣٤
[9] البقرة: ٨٠

المطلب الثالث: وجوب الوفاء بالعهد

وقد أمر الله تعالى بلزوم الوفاء بالعهد ووجوب رعايته لما فيه من أهمية كبيرة ومسؤولية عظمى فقال تعالى (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾[1] وقال عزوجل (وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [2] وقال تعالى ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[3] وقال عزوجل (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[4]

ان التنصل عن الإيفاء بالعهد ونقضه يؤدي الى عدم الالتزام بلوازمه وبنوده ولن يبقى للعهد حينئذ أي احترام وقدسية وسيكون عبارة عن كلمات والفاظ لا قيمة لها، وتوقيعات حبر على ورق لا تغني ولا تسمن من جوع، فلا تدفع ضيما ولا تحقن دما، ولا تدر نفعا ولا تجلب خيرا.

المطلب الرابع: الثناء على ذوي الوفاء

وقد اثنى الله تعالى على اولي الالباب والذين يوفون بالعهد ويرعونه حق رعايته قال تعالى ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ [١٩] الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾[5]وقال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾[6] وقال (وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا) [7] وقال سبحانه ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا

---

[1] سورة الإسراء: ٣٤
[2] الأنعام: ١٥٢
[3] البقرة: ٤٠
[4] النحل: ٩١
[5] الرعد: ٢٠
[6] سورة المؤمنون: ٨
[7] البقرة: ١٧٧

تَبْديلا﴾[٢٣] ﴿ لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ [1] وقال ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[2] وقال عزوجل ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلا الَّذِينَ عَاهَدتمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الحَرَامِ ۖ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [3]

المطلب الخامس: النهي عن نقض العهود

وقد نهى الله تعالى عن نقض ونكث العهد لما فيه من مفاسد وآثار سلبية كثيرة على جميع الاصعدة ومن تلك الآيات قوله تعالى ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتمْ وَلا تَنقُضُوا الأيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[4] وقال عزوجل ﴿ وَلا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلا ۚ إنمَا عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[5]

المطلب السادس: الآثار الوضعية والعقوبات الالهية في نقض العهود

ان للنقض العهد اثارا سلبية كثيرة وعقوبات الهية كبيرة وقد ذكرت جملة من الآيات بعض العقوبات والتبعات السيئة للذين ينكثون وينقضون العهود والمواثيق كالخسران واللعن والطبع والقسوة على القلوب وسوء الدار وغير ذلك ، فمن الآيات قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ ۚ أُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾ [6] وقال تعالى ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً) [7] وقال ﴿ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ

---

[1] الأحزاب: ٢٤
[2] الفتح: ١٠
[3] التوبة: ٧
[4] النحل: ٩١
[5] النحل: ٩٥
[6] البقرة: ٢٧
[7] سورة المائدة: ١٣

وَيُفۡسِدُونَ فِي الأَرۡضِ ۙ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوءُ الدَّارِ﴾[1] وقال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ اللَّهِ وَأَيۡمَانِهِمۡ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمۡ فِي الآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ الۡقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2]

المطلب السابع: مسؤولية العهد

من الواضح توجد مسؤولية كبيرة تجاه العهود التي تلزم على المعاهد التقيد بها واحترامها وحرمة نقضها او التهاون بها لما لها من التزامات وحقوق ومواثيق ووصايا ينبغي عدم الافراط والاستخفاف بها وناهيك عن عظمتها عند الله قال تعالى (وَلَقَدۡ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبۡلُ لَا يُوَلُّونَ الأَدۡبَارَ ۚ وَكَانَ عَهۡدُ اللَّهِ مَسۡئُولًا﴾[3] وقال تعالى (وَأَوۡفُوا بِالۡعَهۡدِ إِنَّ الۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡئُولًا﴾[4]

المطلب الثامن: شروط نقض العهود

مع ان الشريعة المقدسة تؤكد على مسالة الوفاء بالعهود وحرمة نقضها ونكثها حتى مع المشركين قال تعالى ﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُم مِّنَ الۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡئًا وَلَمۡ يُظَاهِرُوا عَلَيۡكُمۡ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَى مُدَّتِهِمۡ) [5]

لكن عند عدم الالتزام الطرف الآخر بمضامينها وشروطها وعدم احترام ما جاء فيها فضلا عن استعمال المكيدة والخديعة والخيانة فحينئذ لا عهد لهؤلاء ولا يلزم التقيد بهذه العهود قال تعالى ﴿ كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُمۡ عِندَ الۡمَسۡجِدِ الۡحَرَامِ ۖ فَمَا اسۡتَقَامُوا لَكُمۡ فَاسۡتَقِيمُوا لَهُمۡ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الۡمُتَّقِينَ﴾ [6] . فعند انتفاء الاستقامة فلا عهد لهم عند الله تعالى.

---

[1] الرعد: ٢٥
[2] سورة آل عمران: ٧٧
[3] الأحزاب: ١٥
[4] سورة الإسراء: ٣٤
[5] سورة التوبة: ٤
[6] التوبة: ٧

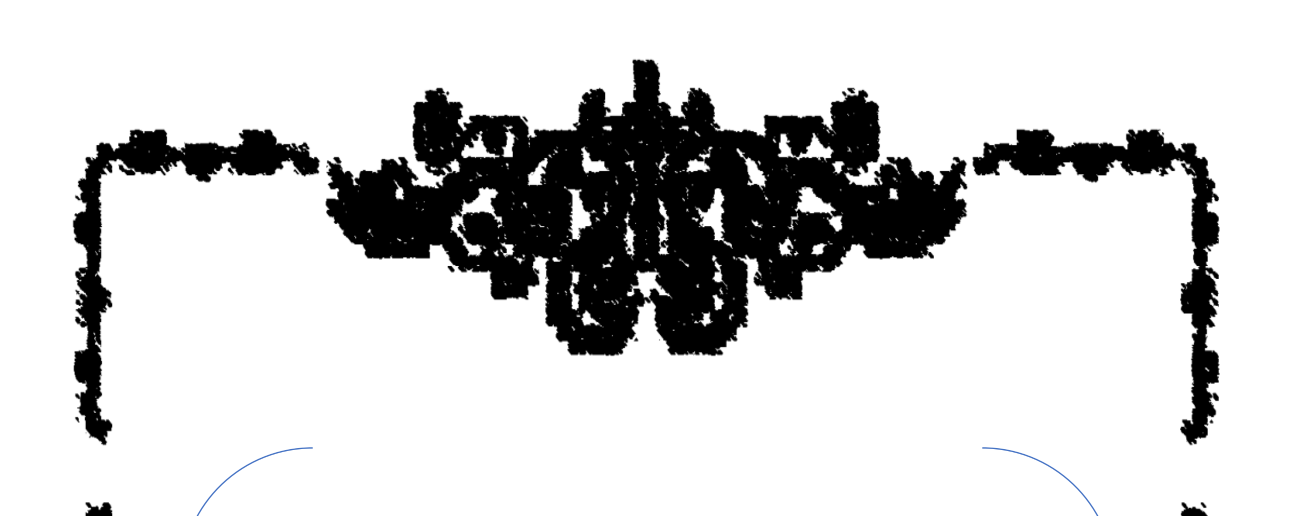
وقد شرط الله تعالى ان يفي بعهده مع بني اسرائيل شريطة ان يكونوا اوفياء بعهدهم لكن عند نقضهم لميثاقهم فلا عهد لهم حينئذ ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [1] وقال عزوجل عن المشركين ﴿ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ﴾[: ٥٦] ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[2] فوقع التشرد بهم نتيجة نقضهم لعهدهم، وقال سبحانه ﴿ وَإِن نَّكَثُوا أَيمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لا أَيمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾[3] فقتال ائمة الكفر جاء بسبب نكثهم لأيمانهم وطعنهم لدين الله تعالى.

---

[1] البقرة: ٤٠

[2] سورة الأنفال: ٥٧

[3] التوبة: ١٢



المبحث الثالث: أماني اهل الكتاب في القرآن وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التمني لا ينفع ولا يغني

المطلب الثاني: جملة من اماني اهل الكتاب

المبحث الثالث

أماني اهل الكتاب في القرآن

الاماني: جمع امنية وقد وردت في القران الكريم في معنيين:

المعنى الأول: بمعنى البغية وما يتمناه الانسان ان يتحقق ويقع قال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1]وقال ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الجَنَّةَ إِلا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[2].

المعنى الثاني: الأمنية بمعنى الأكاذيب والاقاويل والمزاعم التي لا صحة لها وكثير ما ورد هذا المعنى في اهل الكتاب وخاصة اليهود قال تعالى ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلا يَظُنُّونَ﴾[3]

المطلب الأول: التمني لا ينفع ولا يغني

ان أصعب لحظات تمر على الإنسان عندما يفارق هذه الحياة ولم يمهد لآخرته ولم يتزود ليوم فقره وفاقته ذلك السفر البعيد والشاق والمخيف الذي يحتاج الى استعداد واعداد بخير زاد (وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾[4]

والقرآن الكريم يستعرض لنا صورا عن حال الإنسان في ساعة الاحتضار وعند وقوفه بين يدي الله حيث يتمنى أشياء كلها تعبر عن تقصيره في جنب ربه وقلة حمله الزاد ليوم المعاد.

---

[1] الحج: ٥٢

[2] سورة البقرة: ١١١

[3] سورة البقرة: ٧٨

[4] البقرة: ١٩٧

فهو على علم ويقين بان لا سبيل له بالرجوع وجبر المكسور ولملمة الامور بعد ضياع الفرصة باللعب واللهو والمعاصي والفجور لذا فهو يتمنى من لوعة قلبه المفجوع فتارة يتمنى عند نزول الموت لو انه يمتلك فرصة اخيرة للتأخير والتأجيل ولو سويعات او لحظات لكي يتصدق بما تيسر وينهج منهج الصالحين ويترك سبيل الفاسدين يقول تعالى ﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ[1].

فهيهات هيهات ان تلبى تلك التمنيات او يشفق لتلك الصرخات والنداءات لتعويض ما فات فقد اعذر من انذر وبالغ في النذر قال تعالى﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [2] ويقول عز وجل ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ [٩٩] ﴿ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۖ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [3]

وعندما يفقد الانسان المقصر والمجرم الامل بالرجوع الى الدنيا عند نزول الموت وساعة الاحتضار وكشف الغطاء ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[4]

فانه يتمنى مرة أخرى اشياء اخرى عند قيام الساعة بسبب الآهات وكثرة العقبات وما يرى من الاهوال وضعف الحيلة وفقدان الناصر وقطع الانساب والأسباب وفرار القريب والحبيب، فينظر هنا وهناك لعله أجد سبيلا للنجاة والخلاص فلا يلتفت اليه أحد فكل مشغول بشأنه ومأخوذ بعمله.

---

[1] المنافقون: ١٠
[2] المنافقون: ١١
[3] المؤمنون: ١٠٠
[4] ق: ٢٢

فعندما يعلم المجرم بسوء عاقبته بعدما اعطي كتابه بشماله يتمنى لو انه لم يقرأ صحيفته السوداء المليئة بالآثام ولم يعلم بحاسبه ويتمنى لو كانت موتته الأولى هي القاطعة لحياته فلا حياة ولا نشر بعدها ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾[٢٥] ﴿ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾[٢٦] ﴿ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ [١]

اذن لا سبيل له سوى التمني فيتمنى ايضا لو كان له علقة ورابطة مع الرسول من خلال الإيمان به وبرسالته فيسير على الهدى وطريق الحق لكي يتخلص من عذاب الاخرة ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلا﴾[٢]

وكذلك يتمنى لو انه لم يتخذ الشيطان خليلا باتباعه وطاعته او انه لم يتخذ الطغاة وأصدقاء السوء إخلاء وقرناء ﴿ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلا﴾[٢٨] ﴿ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولا﴾[٣]

نعم سيخذله ويتبرأ منه في أشد المواقف ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ۖ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [٤]

---

[١] الحاقة: ٢٧
[٢] الفرقان: ٢٧
[٣] الفرقان: ٢٩
[٤] إبراهيم: ٢٢

وتكرر التمنيات من المجرم لكن لا جدوى ولا فائدة منها فيتمنى لو يفتدي من عذاب جهنم بأقرب الناس اليه لكي ينجو بنفسه ﴿ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ﴾[١١] ﴿ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ﴾[١٢]﴿ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ﴾ [١]

بل يصل به الحال من شدة الاهوال ان يفتدي بمن في الارض ﴿ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾[٢]

ولا تنتهي هذه التمنيات لشدة ما يرى من الشدائد والمعاناة فيبدا بملامة نفسه على ما فرط في جنب ربه ولم يقدم العمل الصالح ليوم فاقته لتلك الحياة الابدية قال تعالى ﴿ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾[٣]

وعندما تنتهي السبل وتفتقد الحيل وينقطع الامل يتمنى لو كان ترابا وينعدم من الوجود ويتخلص من عذاب الخلود قال تعالى ﴿ إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾[٤]

بعد هذه الصور المؤلمة التي يصورها الله تعالى لنا في كتابه المجيد لكي يتقي الإنسان ربه ويستعد بالإكثار من حمل الزاد فإن السفر طويل والموقف والمورد شديد قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[٥]

ففي ذلك اليوم العصيب لا ينفع الإنسان التمني ولا ينجيه الندم والتبري ولا يغنيه أحد سوى عمله الصالح.

---

[١] سورة المعارج: ١٣
[٢] سورة المعارج: ١٤
[٣]الفجر: ٢٤
[٤] النبأ: ٤٠
[٥] الحشر: ١٨

فمادام هناك فسحة من الحياة يلزم على العاقل بالتزود بالتقوى وبتعظ بهذه المواعظ والزواجر قبل بغتة الموت فلا فوت بعد الموت فلن يفر من الله احد قال تعالى﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾[1]

المطلب الثاني: جملة من اماني اهل الكتاب

فمع تترى ارسال الأنبياء على بني إسرائيل وكثرتهم وانزال التوراة والانجيل عليهم ومشاهدة الكثير من الآيات والمعجزات في سبيل إخراجهم من الظلمات الى النور الا انهم تمردوا على تعاليم السماء وقتلوا الأنبياء فأنزل الله تعالى عليهم شتى أنواع العذاب والبلاء قال تعالى﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الأنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلا قَلِيلا﴾[2]

وان نبي الله موسى عليه السلام وبني إسرائيل هم أكثر ذكرا في القرآن الكريم ومن يراجع تلك الآيات القرآنية سيجد تفاني موسى الكليم في هدايتهم وتحمل المشاق لأجل صلاحهم بينما قومه كانوا أكثر الاقوام عنادا وقساوة وافتراء ونقضا للعهد والميثاق.

ومن المسائل التي زادتهم بعدا ولعنا من الله سبحانه اختلاق الأكاذيب والأفكار الموهومة المعبر عنها حسب تعبير القرآني بالأماني، وثم الاعتقاد والتدين بها من دون حجة وبرهان أمام الله.

وقد ذمهم القران على هذا المسلك الخطير لأنهم تركوا تعاليم التوراة والانجيل وراحوا يختلقون المعتقدات والأفكار الكاذبة التي تنسجم مع اهوائهم وتتماشى مع دنياهم افتراء على الله.

ومن تلك الأكاذيب والادعاءات الباطلة التي صرحت بها جملة من الآيات:

---

[1] سبأ: ٥١

[2] النساء: ١٥٥

نحن أبناء الله وأحباؤه

ورد ذلك في قوله تعالى ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ). [1]

والآية كما ترى تفند مزاعمهم الموهومة فلو كنتم حقا ابناء الله واحباؤه فلم يعذبكم بمعاصيكم بل انتم لا تختلفون عن غيركم من البشر قال تعالى﴿ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[2]

النار لا تمسهم إلا أياما معدودة

قال تعالى ﴿ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[3]

يرد القرآن على اقاويلهم وتخرصاتهم التي لا تستند الى حجة ودليل فهل لديكم عهد من الله بأن النار لا تمسكم إلا أياما قلائل؟ إنما هذه اقاويل ومزاعم من نسج عقولكم الواهية واهوائكم الواهمة قال تعالى﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[4]

إنما التعصب في دينهم ومعتقداتهم الباطلة والاغترار بها نتيجة الافتراءات والأماني الموهومة التي أصبحت جزءا من ثقافتهم البائسة هي التي اوصلتهم الى التقوّل بعدم مسّهم النار الا اياما معدودات.

---

[1] المائدة: ١١٨

[2] البقرة: ٢١١

[3] البقرة: ٨٠

[4] سورة آل عمران: ٢٤

احتكار دخولهم الجنة دون سواهم

ورد ذلك في قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الجَنَّةَ إلا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[1]

إن اقتصار دخول الجنة باليهود والنصارى إنما هي أحلام وتمنيات ودعوات مختلقة وأماني وتخرصات كاذبة فلو كنتم صادقين فيما تدّعون أثبتوا ذلك بالبرهان والحجة والبيان.

فالقرآن يرد دعواهم بأدلة دامغة ورصينة فلو كانت لكم الجنة من دون الناس وكنتم صادقين فيما تزعمون وتدعون فتمنوا الموت حتى تعجلوا إليها وتخلصوا أنفسكم من الذل والهوان الذي نزل بكم بسبب نقضكم العهود والمواثيق التي أخذت عليكم؟ يقول تعالى ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا المَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[2]

ولن يتمنوا الموت ابدا بل هم احرص على التمسك بالحياة بسبب ظلمهم وعنادهم وما كسبت أيديهم من الآثام وكفرهم بايات الله قال تعالى﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[3] ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [4] وقوله تعالى ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا المَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[٦] ﴿ وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[5]

---

[1] البقرة: ١١١

[2] سورة البقرة: ٩٤

[3] سورة البقرة: ٩٥

[4] سورة البقرة اية ٩٦

[5] الجمعة: ٧

عزير والمسيح ابناء الله

جاء في قوله تعالى ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ ۖ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[1]

كذلك هذه الدعوات والمعتقدات لا تعتمد على برهان ولذا يرد القران عليهم بقوله (قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ) والافك هو الكذب والتخرص.

ان الاعجاب المرء بنفسه وشعوره بانه أفضل من غيره وان له الحسنى عند ربه هي التي تهلكه وترديه إلى أسفل السافلين.

ان غرور اهل الكتاب بأنفسهم نظير صاحب البستان الذي اغتر بنفسه وبماله حينما قال (وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾[2]

كذلك الحال فإن كل اماني وترهات المزعومة ستكون في مهب الريح ولن يحصدوا منها سوى الخزي والشنار والندامة والنار يوم العرض على الله بسبب شركهم وتعاليهم وتكبرهم قال تعالى (﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾[3]﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾[١٠٣] ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[4]

قولهم ان الله فقير ونحن أغنياء

قال تعالى﴿ لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾[[5]]

---

[1] التوبة اية: ٣٠

[2] سورة الكهف: ٣٦

[3] سورة الكهف: ٤٢

[4] الكهف: ١٠٤

[5] سورة آل عمران: ١٨١

يرد عليهم القران بان هذه الافتراءات سوف تكتب عليهم ويسالون عنها ويحاسبون عليها يوم القيامة ويذوقون عذاب الحريق قال تعالى (سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ [1]

قولهم يد الله مغلولة

قال تعالى﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ) [2]

لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار

قال تعالى ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[3]

قولهم قلوبنا غلف

قال تعالى ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾[4]

انما طبعت بسبب كفرهم ونقضهم العهود وقتلهم الأنبياء بغير حق قال سبحانه﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلا قَلِيلا﴾[5]

الهداية لا تكون إلا بهم

قال تعالى ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [6] ان هذا المشكل الذي اوقعوا فيه انفسهم بسبب

[1] سورة: آل عمران ١٨١
[2] المائدة: ٦٤
[3] آل عمران: ١٨٣
[4] سورة البقرة: ٨٨
[5] النساء: ١٥٥
[6] البقرة: ١٣٥

تكبرهم وكفرهم بالآيات والمعجزات وعدم ايمانهم برسالة النبي(صلى الله عليه واله).

ان ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى

قال تعالى ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى ۗ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ) [1]

يرد القران مدعاهم الكاذب وقولهم الذي لا يستند الى علم بان التوراة والانجيل نزلت بعد إبراهيم ومن ذكر بعده منهم قال تعالى ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلا مِن بَعْدِهِ ۚ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ (٦٥) ﴿ هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ۚ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [2]

ينسبون ما يكتبون بأيديهم الى الله

قال تعالى ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [3]وغير ذلك من الاماني والافتراءات.

بعد هذه الوقفة السريعة على جملة من الأماني المزعومة لأهل الكتاب في القرآن الكريم يرد القرآن تخرصاتهم الناشئة من تعصبهم واغترارهم بدينهم.

---

[1] البقرة: ١٤٠

[2] آل عمران: ٦٦

[3] سورة البقرة: ٧٩

المبحث الرابع: قوط لوط في القرآن وفيه

خمسة مطالب:

المطلب الأول: قوم لوط وأتيناهم الذكران

المطلب الثاني: اوصاف قوم في القران

المطلب الثالث: الشذوذ الجنسي وأثره التكويني في قطع النسل البشري.

المطلب الرابع: الشذوذ الجنسي وأثره الصحي

المطلب الخامس: الرشد في المنظور الاسلامي

المبحث الرابع: قوم لوط وأتيناهم الذكران

جاء في اللغة الذَّكَرُ: جنس لا يلد، وهو جنس يمتلك قدرةَ الإخصاب، عكسه أنثى ولد.

والذكر يجمع ذكور وذكران قال تعالى ﴿ **أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ**﴾[1]وقال ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا ﴾[2]

قد تناول القران جوانب عديدة من قصة نبي الله لوط (عليه السلام) مع قومه ، الذي كان يعيش بين ظهرانيهم ، وكان قومه يمارسون ارذل فاحشة لم يسبق ان مارسها احد من العالمين قبلهم كما ذكرّهم نبيهم بذلك لعلهم يتعظون (وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ) [3].

وكان لوط رسولا نبيا قال تعالى ﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[4] وقال ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[٨٦] ..﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾[5]

وعاش في زمن إبراهيم الخليل كما أشارت آيات عديدة الى ذلك ﴿ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الحَكِيمُ﴾[6].

وقد اتاه الله حكما وعلما وانجاه من القرية التي كانت تعمل الخبائث ﴿ وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾ [7]

---

[1] الشعراء: ١٦٥
[2] الأنعام: ١٣٩
[3] الأعراف: ٨٠١
[4] سورة الصافات: ١٣٣
[5] الأنعام: ٨٩
[6] سورة العنكبوت: ٢٦
[7] الأنبياء: ٧٤

ان نجاة الانسان من هذا العقاب في مجتمع يمارس هذا العمل بشكل طبيعي وبدون اي احراجات وضغوطات بل ويثقف ويشجع عليه يعد من أعظم النعم الإلهية عليه ولذا يمن الله عليه ان أنجاه من القرية.

الاستبشار والهرع

ان القرآن الكريم يصف بدقة عجيبة حال وتصرف قوم لوط لما سمعوا عن ضيوف قد نزلوا في بيت لوط عليه السلام قال تعالى ﴿ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[1]

ان استبشارهم بفعل الفاحشة كاشفة عن خباثة نفوسهم وما مقدار ولعهم بإتيان الذكران بحيث اصابتهم البهجة والبشارة والمسارعة الى الفاحشة بكل سرور وفرح قال تعالى (وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ۚ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ [2]

وفي الآية المباركة عدة ملاحظات مهمة:

الأولى: ان الآية المباركة عبرت عن قوم لوط مباشرة من دون توطئة وتمهيد (وَجَاءَهُ قَوْمُهُ) اشارة الى العجلة من امرهم دون تأخير وتأني بسبب سكرة الشهوة واستبشارا بارتكاب الفاحشة (وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ).

الثانية: وأن عبارة (قوم) تشير ظاهرا بان جمعا كبيرا قد جاء الى نبي الله لوط (عليه السلام) لارتكاب الفاحشة ، فالقوم هم الجماعة من الناس ويدل عليه مفردة (أهل) في قوله تعالى (وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ) .

ولذا عمّهم الله بالعذاب قال تعالى حاكيا عنهم (قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ

---

[1] سورة الحجر: ٦٧

[2] سورة هود اية ٧٨

(٣٣) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (٣٤) فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ). [١]

الثالثة: بعدما علم قوم لوط أن ضيوفا قد حلوا على نبي الله لوط (عليه السلام) وهم رسل الله جاؤا إليه ولكن بطريقة ملفتة وعجيبة وهي الهرع والهرع هو المشي السريع مع اضطراب وذلك بسبب ولعهم بارتكاب الفاحشة، وخوفهم من فوتها.

نعم هي سكرة الشهوة، وإدمان الفاحشة تجعل الفرد مضطربا في سلوكه وأخلاقه ويسير عكس فطرته السليمة، لأنه قد اعمى بصيرته، وعبد شهوته، وتخلى عن انسانيته حتى فاق بذلك الانعام بل اضل سبيلا، بغية نيل هواه وإشباع غريزته، غير مبال بالعواقب الخطيرة التي تحدق به من كل جانب وتهدد كيانه ومجتمعه، ودنياه وآخرته.

الرابعة: وعلة مجيء القوم الى نبي الله لوط (عليه السلام) لم تكن خافية عليه وان قومه ايضا يعلمون ان لوطا يعلم بنواياهم السيئة قال تعالى(وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ) [٢]

بل قد ضاق بهم ذرعا وخوفا قبل مجيئهم اليه وذلك حينما حلّ الضيوف عليه لأنه يعلم شدة ما نزل به من الاحراج والبلاء، وان قومه سيهرعون اليه حال علمهم بخبرهم قال تعالى (وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ). [٣]

فالكريم لا يضيق ذرعا بمجيء الضيف إليه بل يزداد سرورا وكرامة به، لكنه يضيق ذرعا وخوفا ويعده يوما عصيبا عليه إذا ما علم أن هناك بلاء وشدة ستحل بضيفه وهو ضعيف لا يستطيع دفعها.

---

[١] سورة الذاريات: ٣٦

[٢] سورة هود: ٧٩

[٣] سورة هود: ٧٧

الخامسة: ان قوم لوط لا يجدون في أنفسهم أي حرج بمجيئهم إليه بهذه الكيفية التي عبر عنها القرآن بالهرع، طالبين ضيوفه ، لأنهم كانوا متوغلين بالفاحشة بحيث أصبحت الفاحشة جزء من ثقافتهم ، وعادة مستشرية في مجتمعهم بحيث لا يتحرجون من فعلها والبوح بها (وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ) .

والسيئات جمع سيئة ضد الحسنة، والسيئة هي الفعل القبيح الذي يقبح إتيانه، ويكره عمله، ويسيء ويعم آثاره السيئة، وتبعاته الخطيرة على فاعله ومجتمعه، ولكن قوم لوط بسبب اعتيادهم على ارتكاب الفاحشة لم يكن يرون به بأسا وحرجا.

السادسة: ان السيئة لا تطلق على المعاصي الصغيرة فقط بل تعم الكبيرة أيضا كما في الآية التي نحن فيها خلافا لقول بعض اللغويين الذين اعتبروا السيئة هي المعصية الصغيرة والصحيح انها شاملة لجميع المعاصي، سواء كانت صغيرة او كبيرة ومخالفة للقوانين الإلهية ، والفطرة السليمة قال تعالى (وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ).[1]

السابعة: أراد نبي الله لوط (عليه السلام) ان يدفع الاذى والسوء عن ضيوفه بأية وسيلة، لكنه لما يأس منهم وعلم أن قومه مصرين على فعل الفاحشة، وان النصيحة والموعظة لا تجدي نفعا فيهم (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ) [2] فعندك ذلك اشارة اليهم ببناته فقال (قَالَ يَقَوْمِ هَؤُلاءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) [3]

---

[1] سورة الزمر: ٤٨

[2] الحجر: ٧٢

[3] الحجر: ٧٨

أراد بذلك أن يذكرهم بفطرتهم التي غطوها بمعاصيهم وأنهم وقعوا تحت وطأة تلبيس إبليس اللعين، واللهث وراء نزواتهم الحيوانية التي أخرجتهم عن انسانيتهم وطهارتهم وفطرتهم حتى وقعوا في مستنقع الارجاس.

الثامنة: ولا شك أن نبي الله لوط (عليه السلام) أراد بقوله (هَؤُلاءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) نكاحا شرعيا وليس سفاحا محرما فليس من اللائق والمنطق ان يدفع قومه عن ضيفه بتعريض في انتهاك عرضه ، فالخزي الذي يقع على الشخص في عرضه ليس بأقل وقعا من وقوعه على الضيف الغريب وإن عُدّ خزياً .

ومن المعلوم ان السفاح لدى المجتمعات حاضرها وغابرها يعد عملا مشينا ومخالفا للطهارة والفطرة حتى مع ممارسته سرا وعلناً وبالتالي فإن لوطا (عليه السلام) لم يكن غافلا عن تلك الثقافة المرتكزة في أذهانهم، فكيف يصح منه ان يقول لهم (هَؤُلاءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) مع علمه المسبق بان الزنى لا يعد من الطهارة بشيء، ولأحتج قومه عليه ولتخذوا اقتراحه ذريعة لأبطال نبوته لكنهم سكتوا عن ذلك لعلمهم أنه كان يقصد النكاح وليس السفاح.

وما قيل إنه كيف يقوم نبي الله لوط (عليه السلام) بتعريض بناته للنكاح وهو يعلم بكفر قومه؟ وهذا لا يكون إلا أن يقع سفاحا؟

ويرد على هذا القول بأن الامم في شرائعها وأحكامها لم تكن على منهاج واحد فقد يكون الشيء محللا في شريعة ما ومحرما في شريعة أخرى وهذا الاختلاف نتيجة الظروف والموضوعات التي تعيشها الشعوب والمجتمعات قال تعالى(لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا [1]

وهناك اقوال اخرى في الجواب على هذا التساؤل:

---

[1] المائدة: ٤٨

منها: ان لوطا (عليه السلام) أراد بقوله (بناتي هن أطهر لكم) بعد إيمان قومه بدعوته.

ومنها: انه قصد بنات قومه لأنهن بمثابة بناته لأنه نبيهم وغير ذلك.

التاسعة: ولما ازداد اصرار قومه على ارتكاب الفاحشة وانهم (لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلا وَلا ذِمَّةً) [١] اخذ لوط (عليه السلام) يذكّرهم الله ، ويخوفهم عذابه فقال لهم (فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ) ، ولكن (اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي) قال تعالى (وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ) [٢]

العاشرة: أن حرمة وكرامة الضيف هي من حرمة المضيف وان الذب عنه وحفظه من مستلزمات وأخلاقيات الضيافة وأن أي تجاوز عليه يعد اهانة وخلة وتجاوزا بحق المضيف ولذا عبر لوط (عليه السلام) بقوله (وَلا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِى) والخزي هو المهانة والذل والعار الذي يصيب المرء جراء فعل القبيح سواء صدر منه او لحق به من غيره قال تعالى (قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ).[٣]

ومن الأدعية القرآنية المحببة، ان يدعو المؤمن بنجاته من خزي يوم القيامة قال تعالى (رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ المِيعَادَ)[٤].

فالخزي أمر مكروه بالطبع والجبلة لأنه يكون مشاعا بين العامة والخاصة بأمر بقبيح يؤدي الى الفضيحة والمهانة، وخاصة إذا ما وقع من شخص وجيه وله مكانة شريفة في المجتمع أو لحق به بسبب العلقة النسبية أو أخلاقية اجتماعية كالضيف.

---

[١] التوبة: ١٠
[٢] يونس: ١٠١
[٣] النحل: ٢٧
[٤] آل عمران: ١٩٤

ولذا كان نبي الله لوط (عليه السلام) يقدر مكانة وحرمة الضيف ووجوب صيانة كرامته وأن الاعتداء عليه وخاصة بارتكاب تلك الفاحشة المشينة سوف تجلب له الخزي والفضيحة.

وقد اضاف مفردة الضيف اليه بقوله (فِي ضَيْفِي) اشعارا لقومه بانهم هؤلاء الضيوف هم في ضيافتي وحمايتي وفي قِراي وإن شرفهم شرفي فلا تخزوني فيهم قال تعالى حاكيا عنه في سور الحجر (قَالَ إِنَّ هَؤُلاء ضَيْفِي فَلاَ تَفْضَحُونِ وَاتَّقُوا اللّهَ وَلاَ تُخْزُونِ)) [(1)]

الحادية عشرة: ثم استفهم عقولهم استفهاما استنكاريا لعلها تعي وتدرك مغبة عملهم، وعاقبة فعلهم فقال (أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ) لعل فيهم رجلا رشيدا ينهاهم عن غيهم ، ويمنعهم عن فعلهم .

الثانية عشرة: الرشيد يقابل السفيه، ومصطلح الرشيد يطلق تارة في المسائل الفقهية وأخرى في المسائل الاخلاقية والاجتماعية.

اما الأول: يطلق مصطلح الرشيد ويراد به من يحسن التصرف في أمواله مقابل السفيه الفقهي لا يحسن التصرف في امواله كقوله تعالى (وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ) الى قالت الآية(وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ) [(2)]وقوله تعالى (فَإن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَن يمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ) [(3)]

المعنى الثاني: هو العاقل الذي يصيب الحق بل واتباعه فلا يكفي معرفة الحق دون الامتثال والانصياع اليه، لذا ورد الذم القرآني لمن يرغب عن الحق وأُعدّ سفيها لخفة عقله بتركه له قال تعالى (وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إلا من

---

(1) الحجر: ٦٨

(2) النساء: ٦

(3) البقرة: ٢٨٢

سَفِهَ نَفْسَهُ)[1]. وقال سبحانه حاكيا عن قول الجن (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا). [2].

فمادام يهدي الى الحق فهو من الرشد ومن يتبعه فهو راشد بلا ريب، ومن يزيغ عنه فهو من السَفِه ومن يتبعه فهو سفيه قال تعالى (وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا). [3] وقال تعالى في شأن فرعون حينما علا في الأرض وافسد فيها وقاد قومه الى الهلاك والضلال(فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ) .[4].

المطلب الثاني: اوصاف قوم لوط في القران

وقد وصف القرآن الكريم قوم لوط بصفات كثيرة ونعوت مختلفة تعبر عن حقيقة بواطنهم المريضة، وأعمالهم المشينة:

قوم عادون: قال تعالى (وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ) [5] فإتيان الذكران يُعد تجاوزا وتعديا على النظام الكوني والفطرة الانسانية.

قوم مسرفون: قال تعالى (إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ.[6]

والمسرف هو الذي تجاوز الحدود، وارتكب المحظور الذي لا ينبغي تجاوزه سواء كان شرعيا او اخلاقيا او إنسانيا.

---

[1] البقرة: ١٣٠
[2] الجن: ٢
[3] الجن:٤
[4] هود: ٩٧
[5] سورة الشعراء اية ١٦٦
[6] سورة النمل اية ٥٥

قوم مجرمون: قال سبحانه (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المجْرِمِينَ). [1]

والمجرم هو من اتى بفعل قبيح، ووزر كبير قال عز وجل (إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى). [2]

قوم ظالمون: قال تعالى(مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ)[3]

قوم يمترون: قال سبحانه (قَالُواْ بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يمْتَرُونَ) [4]

والامتراء هو الشك قال تعالى عنهم (وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ) [5] وقال سبحانه (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى) [6]

قوم يجهلون: قال تعالى (أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تجْهَلُونَ) [7]

قوم يعمهون: قال سبحانه (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ) [8] يقال عمه شخص في أمره أي تردد وتحير ، فقوم لوط بسبب سكرة الشهوة حيارى في دنياهم لا يهتدون سبيلا .

قوم فاسقون: قال تعالى (إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) [9] وقوله تعالى (وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ). [10]

قوم مفسدون: قال سبحانه (قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ المُفْسِدِينَ)[11]

---

[1] سورة الأعراف اية ٨٤
[2] سورة طه اية ٧٤
[3] سورة هود اية ٨٣
[4] سورة الحجر آية ٦٣
[5] سورة القمر اية ٣٦
[6] سورة النجم آية ٥٥
[7] سورة النمل آية ٥٥
[8] سورة الحجر آية ٧٢
[9] سورة العنكبوت اية ٣٤
[10] سورة الأنبياء اية ٧
[11] سورة العنكبوت اية ٣٠

المفسد ضد المصلح والفساد ضد الإصلاح فهم مفسدون في الأرض لانهم بعملهم القبيح واتباع اهوائهم يغيرون النظام الاجتماعي والأخلاقي والطبيعة قال تعالى ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾[1] وقال ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[2] فمن المفترض ان هذه الشريحة المعلنة بالفاحشة وتروج لها بكل وقاحة ان تنبذ من المجتمع وان تحبس حتى لا تنتشر عدوى الفاحشة والفساد في المجتمع.

يقص لنا القران الكريم عن أمة من الناس كانت تعاني من فساد وظلم يأجوج ومأجوج فطلبت من ذي القرنين ان يجعل بينهم وبين المفسدين في الأرض سدا حتى يتخلصوا من شرهم وفسادهم قال تعالى ﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾[3]

المطلب الثالث: الشذوذ الجنسي وأثره التكويني في قطع النسل البشري

ومن خلال هذه الأوصاف المشينة التي وردت في القرآن الكريم بحق قوم لوط والتي تعبر عن حقائقهم، وتكشف عن جرائمهم، يتضح لكل عاقل بشاعة أعمالهم التي انسلخت عن الانسانية حتى فاقوا البهيمية.

لذا كان العقاب الالهي الذي نزل بحقهم عظيما وشديدا يتناسب مع عظيم الفاحشة والسيئة قال تعالى (فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ) [4]

---

[1] سورة المؤمنون: ٧١

[2] الروم: ٤١

[3] الكهف: ٩٤

[4] هود: ٨٢

ثم إن هذا السلوك المنحرف له تبعات ومخاطر كثيرة على النظام الكوني فضلا عن الآثار السلبية الاجتماعية والأخلاقية.

فان اتيان الرجال شهوة دون النساء هو قطع للنسل البشري وانعدام للحياة الانسانية قال تعالى (أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ) [١]

ومع ان الله تعالى جعل عذابه الالهي فيهم اية وأثراً للناس لعلهم يخافون انتقامه قال تعالى (وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الأَلِيمَ) [٢] وقال عز وجل (وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلا تَعْقِلُونَ . [٣]

ولكن مازال هذا السلوك المنحرف والشذوذ الجنسي يأخذ في الاتساع في العالم حتى وصلت الوقاحة والجرأة ان يطلق عليه بالزواج المثلي ويعترف به في كثير من البلدان، ويدافع عنه في منظمة حقوق الانسان، ويوضع له علم ترفع رايته في المحافل والأماكن العامة، وتفتخر الدول بتشريعه في القانون، وأصبح أمرا طبيعيا لا غبار فيه .

قد أغمضوا هؤلاء عن كل النتائج السلبية التي تدمر النظام الكوني والاجتماعي والأخلاقي والصحي من اجل اشباع شهواتهم الحيوانية كأنهم مجانين لا يعقلون شيئا بحجة الحرية الشخصية.

روي عن الإمام الرضا (عليه السلام): علة تحريم الذكران للذكران والإناث للإناث، لما ركّب في الإناث وما طبع عليه الذكران، ولما في إتيان الذكران الذكران والإناث الإناث من انقطاع النسل، وفساد التدبير، وخراب الدنيا [٤] وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام – (لما سأله الزنديق عن علة تحريم اللواط – :

---

[١] العنكبوت: ٢٩
[٢] الذاريات: ٣٧
[٣] الصافات: ١٣٧
[٤] ميزان الحكمة ج ٤ ص ٢٨٠٦

من أجل أنه لو كان إتيان الغلام حلالا لاستغنى الرجال عن النساء، وكان فيه قطع النسل، وتعطيل الفروج، وكان في إجازة ذلك فساد كثير.([1])وروي عن الإمام علي (عليه السلام): فرض الله الإيمان تطهيرا من الشرك ... وترك اللواط تكثيرا للنسل [2].

المطلب الرابع: الشذوذ الجنسي وأثره الصحي

وان هذا السلوك المنحرف له آثار كثيرة على صحة الإنسان، ففي مقال نُشر فيه عن احصائيات في منظمة الصحة العالمية جاء فيه (ان الشذوذ الجنسي يعتبر ابرز اسباب تفشي الأمراض المنقولة جنسيا وان ٩٣% من المصابين بالإيدز ٢٠% كانوا من الشواذ جنسيا، إضافة إلى مساهمة الشذوذ الجنسي في اعادة رفع قيم الإصابة ببعض الأمراض التي تمت محاصرتها سابقا كالسيلان والهيربيس وغيرها من الأمراض، مع ما يرافق صفة الشذوذ من ممارسات قاتلة كالإدمان على المخدرات والانتحار وغيرها.

وفي تقرير أممي لها "تزايد انتشار الإيدز مجددا بين الرجال الذين يمارسون الجنس مع غيرهم من الرجال، خاصة في البلدان الصناعية"، كما أشارت صدور بيانات تشير إلى وجود أوبئة جديدة، أو أوبئة تم اكتشافها حديثا، بين تلك الفئة في أفريقيا، وآسيا، ومنطقة البحر الكاريبي، وأمريكا اللاتينية. وأصدرت المنظمة مؤخرا، بالتعاون مع هيئات شريكة لها، عددا من التوصيات الصحية تركز تحديدا على فئتي الرجال المثليين والمخنثين والمسترجلات، لعلاج أمراض هؤلاء الفئة من الناس، المتصلة بفيروس الإيدز والعدوى المنقولة جنسية.

---

[1] نفس المصدر

[2] نفس المصدر

وفي موقع منظمة الصحة العالمية جاء فيه (تشير التقديرات إلى وجود ٣٧٤ مليون إصابة سنوية جديدة بواحد من الأنواع الأربعة التالية للعدوى المنقولة جنسية، المتدثرة والسيلان والزهري وداء المشعرات. تشير التقديرات إلى أن أكثر من ٥٠٠ مليون شخص ممن تراوح أعمارهم بين ١٥ و٤٩ عاما مصابون بعدوى تناسلية بفيروس الحلا البسيط) .

وفي عام ٢٠١٨، ارتبطت عدوى فيروس الورم الحليمي البشري بحدوث ٥٧٠٠٠٠ حالة سرطان في عنق الرحم، وأكثر من ٣١١٠٠٠ حالة وفاة جراء الإصابة بسرطان عنق الرحم كل عام.

وتشير التقديرات بأن هناك ما يقارب ١ مليون امرأة حامل مصابة بالزهري.

تؤثر العدوى المنقولة جنسية تأثيره مباشرة على الصحة الجنسية والإنجابية من خلال الوصم والعقم وأنواع السرطان ومضاعفات الحمل، ويمكن أن تزيد من خطر الإصابة بفيروس نقص المناعة البشرية.

المطلب الخامس: الرشد في المنظور الإسلامي

تختلف الرؤية الإسلامية عن الرؤية الإنسانية الوضعية في كثير من القضايا وخاصة عند الذين لا يدينون بدين الإسلام، فما يراه الإسلام قبيحا ومنكرا، يراه الآخر جميلا وحسنا.

وهذا الاختلاف بطبيعة الحال راجع الى البعد الإلهي والبعد الإنساني فما يراه الاله ليس كما يراه منكر الإله، والمستخف بتعاليم السماء.

فالقوانين الإلهية نابعة من مصالح كثيرة تصب في مصلحة الانسان وفي شتى مجالاتها وابعادها، بينما القوانين الوضعية والأفكار الإنسانية تحكمها اهواء نفسية ومصالح شخصية ونظرة ضيقة ومحدودة فنظرة الإنسان المادي تتقوقع في الجوانب المادية والشهوية وظاهرية.

وهذا الاختلاف سيعكس بظلاله على فهم وتفسير القضايا الإنسانية والاجتماعية والأخلاقية.

فالإسلام مثلا يطلق على المؤمن المتقي بانه رشيد وعاقل لأنه أبصر الحق واتبعه ولم يتبع الهوى قالَ الرَاوي: قُلْتُ لَهُ ـ أي للإمام جعفر الصادق (عليه السلام) ـ مَا الْعَقْلُ؟ قَالَ: " مَا عُبِدَ بِهِ الرَّحْمَنُ وَاكْتُسِبَ بِهِ الجِنَانُ " قَالَ قُلْتُ : فَالَّذِي كَانَ فِي مُعَاوِيَةَ ؟

فَقَالَ: " تِلْكَ النَّكْرَاءُ، تِلْكَ الشَّيْطَنَةُ، وَهِيَ شَبِيهَةٌ بِالْعَقْلِ وَ لَيْسَتْ بِالْعَقْلِ " [1].

بينما العاقل في نظر الماديين له تفسيرات مغايرة ومباينة تماما عن النظرة الإسلامية، فالحق عند هؤلاء ما ينساق ويتماشى مع رغباتهم وشهواتهم وميولهم النفسي والجنسي وان كان مخالف مع فطرتهم السليمة.

فمثلا مفردة الشذوذ فهي تدل على أن هذا الشيء شاذ عن القاعدة ومخالف عما هو مألوف ومعتاد لدى اذواق وطبيعة المجتمع الإنساني، ولذا يطلق عليه انه شاذ.

وهذا الشذوذ بطبيعة الحال لم يتأت من فراغ وعبث انما بسبب مخالفته لسنة الحياة، والطبيعة البشرية.

فاللواط هو شذوذ جنسي مخالف لطبيعة وتكوين الانسان وناهيك عن اثاره الخطيرة والكثيرة والمتنوعة، ومرفوض عقلا وفطرة وانسانية، ومع ذلك يغض الطرف عنه وتوضع له صبغة جمالية من المفردات والمسميات المهذبة، والفاظ وعناوين براقة، وتخلق له مبررات كثيرة حتى يتماشى مع المجتمع والحياة كلفظة الزواج المثلي وانه من الحرية الشخصية وينبغي التعاطف مع هذه الشريحة الشاذة عن قانون الطبيعة.

فالإسلام ينظر الى هذا السلوك الشاذ والمنحرف، على أنه نابع من الفسق والشهوة وخفة العقل، ولا ينم عن الرشد الانساني.

---

[1] كتاب الكافي: ج ١ص ١١

ولذا نلاحظ التوبيخ والاستنكار من نبي الله لوط لقومه قال تعالى (أليس منكم رجل رشيد).

أراد بذلك تحريك عقولهم وايقاظ قلوبهم وارجاعهم الى فطرتهم السليمة والى الأعراف والأخلاق الإنسانية، ولكن الهوى يعمي البصيرة، ويستحوذ على النفوس المريضة، فتتقلب الموازين الأخلاقية والمعرفية والإنسانية ويصبح المنكر معروفا والمعروف منكرا، روي عن ابن صدقة، روي عن جعفر، عن أبيه (عليهما السلام) أن النبي صلى الله عليه وآله قال : كيف بكم إذا فسد نساؤكم، وفسق شبانكم، ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر، فقيل له: ويكون ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم وشر من ذلك؟

كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر، ونهيتم عن المعروف، قيل يا رسول الله ويكون ذلك؟ قال: نعم، وشر من ذلك كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكرا والمنكر معروفا [1].

ومن المبكي أن تعاليم الديانة المسيحية تحرم عمل قوم لوط لكن تجد علمائهم في حالة من الارباك في مواقفهم أمام هذا الانحراف الإنساني الواضح.

فمن جهة اصطدامهم مع أحكام دينهم التي لا تسمح بفعله وتندد به، ومن جهة أخرى يخشون ردة فعل المجتمعات الأوروبية والمنظمات الدولية والمدنية من انتقاداتهم إذا ما حرموا التعاطي مع اللواط بل سوف يتعرضون للمساءلة في المحاكم حتى ولو كان المنتقد له من الشخصيات الكبيرة والمسؤولة في الدولة.

وهذا ما حصل بالفعل مع وزيرة الداخلية في فنلندا كما تناقلتها الأخبار فقد جاء فيها: بدأت مؤخراً محاكمة وزيرة الداخلية الفنلندية السابقة بايفي راسانين بتهمة نشر خطاب كراهية ضد المثليين بعد تصريحات قالت فيها إنها تستند إلى الإنجيل.

---

[1] بحار الانوار: ٥٢ص ١٨١

وتوجه النيابة لراسانين اتهامات الإدلاء بتصريحات مهينة تكررت ثلاث مرات، بما في ذلك تغريدة نشرتها على حسابها على تويتر في ٢٠١٩ وكانت الصور المرفقة بالتغريدة تحتوي على نصوص من الإنجيل.

وحملت التغريدة سؤالا عن سبب دعم الكنيسة اللوثرية الفنلندية الأسبوع فخر فنلندا. وكانت الصور المرفقة بالتغريدة تحتوي على نصوص من الإنجيل يبدو أنها تصف المثلية الجنسية بأنها أفعال مشينة.

ونفت الوزيرة السابقة الاتهامات الموجهة إليها، معلنة أنها لا تزال مقتنعة بما جاء في تصريحاتها السابقة.

ودخلت راسانين إلى المحكمة، تحمل في يدها نسخة من الإنجيل، وقالت إنها تشرفت بالدفاع عن حرية التعبير والدين. وأضافت "أمل أن يتضح للجميع اليوم أنني لا أرغب في الإساءة إلى أي جماعة، لكنها مسألة إنقاذ الناس من أجل الحياة الأبدية.

وقال النائب العام الفنلندي عندما أعلنت تلك الاتهامات للمرة الأولى في أبريل الماضي، إن راسانين أدلت بتصريحات من شأنها أن تثير التعصب، والازدراء والكراهية ضد المثليين.

وستتخذ المحكمة القرار بشأن الاستشهاد بنصوص من الإنجيل، الذي يعتبر جرما في بعض الحالات في فنلندا. يذكر أن بايفي راسانين كانت وزيرة الداخلية في فنلندا في الفترة بين ٢٠١١ و ٢٠١٥.



المبحث الخامس: اتباع الهوى في القرآن

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تبعات اتباع هوى النفس

المطلب الثاني: مخاطر اتباع اهواء الاخرين

المبحث الخامس: اتباع الهوى في القرآن

من أهم الأهداف والوظائف التي جاء بها الأنبياء عليهم السلام هي تزكية النفس وتطهيرها من الأمراض قال عزوجل (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[1] وقال ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[2]

وان الفلاح والنجاح في تزكية النفس والخيبة والخسران في دسها وطمسها قال تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾[٩] ﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [3] وقال سبحانه ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [4]

ولا يمكن تزكيتها ما لم يتم قطع حبائل هواها وشهواتها والوقوف بكل حزم وارادة أمام رغباتها التي لا تقف عند حد.

فإن من أشد الأعداء التي تواجه الإنسان هي نفسه باتباع هواها وميولها ورغباتها وأطماعها وشهواتها ولذا عدّ جهادها ونهيها عن هواها من أشد الأعمال واحمزها على الانسان واعظمها اجرا وقربة الى الله تعالى { وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) }{ فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى [5]

ولذا وردت آيات كثيرة في خصوص اتباع الهوى وتبين آثاره ومخاطره المهلكة وتحذر من اتباعه خشية الضلال والانحراف واتباع الشيطان ومحاربة الحق وأهله.

---

[1] سورة البقرة: ١٢٩
[2] سورة الجمعة: ٢
[3] سورة الشمس: ١٠
[4] سورة الأعلى: ١٤
[5] النازعات: ٤١

وان النهي الوارد في القرآن عن اتباع الهوى غير مختص باتباع هوى الشخص نفسه بل يتعداه الى حرمة اتباع اهواء ورغبات الآخرين كالمشركين والظالمين والضالين، وإليك جملة من الآيات التي تبين النهي عن اتباع الهوى والنتائج السلبية والمصير المشؤوم من أتباعه.

المطلب الأول: تبعات اتباع هوى النفس

اتباع الهوى يؤدي الى الضلال

فمن الآيات قوله تعالى: ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾[1]

ان من اهم مقومات القيادة وتحمل المسؤولية هو الفصل والحكم بين الناس بالحق وهذا لا يتأتى مع وجود أهواء النفس وآفات الأطماع والرغبات.

فالذين يتصدون للمسؤولية والحكم مع وجود أهواء النفس فإنهم سوف يضلون عن سبيل الله ويظلمون الناس ويقع الفساد في الأرض.

والعدالة لا تتحقق بتمامها وكمالها اذا لم تزك النفس من اتباع الأهواء وأن طريق المستقيم لا يصاب اذا لم تطهر النفس من الميولات والرغبات.

فمن شرائط اقامة القسط والعدل في الفعل والقول مجاهدة هوى النفس والسيطرة على كل رغبة تعيق عن إقامته وعدم الانصياع لأهواء العصبية والمحسوبية والعلاقات والمصالح كالقرابة والضغائن والرشا او مخافة السلطان او التزلف اليه قال تعالى﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ

---

[1] سورة ص: ٢٦

اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[1] وقال ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ۖ وَاتَّقُوا اللّهَ ۚ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [2] وقال ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ۖ وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُوا ۚ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[3]

الختم على القلب

قال تعالى ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللّهِ ۚ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾[4]

قد يصل الأمر بالإنسان بسبب مطاوعة النفس والسعي في إشباع رغباتها ونزواتها المحرمة ان تكون نفسه الهة وصنماً يطيعها حيثما تشاء فيطبع على قلبه ويختم عليه بسبب اتباع هوى النفس.

الحرمان والخذلان وطاعة الشيطان

ومن مخاطر اتباع هوى النفس أنها تسلب الإنسان مكانته وتحرمه من كماله وتبعده عن طاعة الله وتقربه من الشيطان وتجعله مطيعا له ولن ينفعه علمه ورؤية الآيات قال تعالى ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[١٧٥]﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [5]

---

[1] النساء: ١٣٥

[2] المائدة: ٨

[3] الأنعام: ١٥٢

[4] الجاثية: ٢٣

[5] سورة الأعراف: ١٧٦

المطلب الثاني: مخاطر من اتباع أهواء أهل الضلال

وقد نهى الله تعالى في كتابه وفي مواضع متعددة عن اتباع أهواء الذين ضلوا وكذبوا بآياته وكفروا بالآخرة.

فمن الآيات الناهية عن اتباع اهواء من ضلوا وكذبوا بآيات الله قوله تعالى ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾[1] وقوله تعالى ﴿ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [[2]] وقوله ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ ۖ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾[3]

ونذكر جملة من المخاطر من اتباع أهواء من ضلوا وكفروا وكذبوا وظلموا وأفسدوا في الأرض واتبعوا أهواء أصحاب الباطل:

الضلال والسقوط في الردى

ومن مساوئ ومخاطر اتباع أصحاب الأهواء السقوط والتردي في الضلال والظلمات قال عزوجل ﴿ فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾[[4]] وقال ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۚ قُل لا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [5]

الخذلان والحرمان والظلم

ومن اثار اتباع اهواء من ضلوا وكذبوا بايات الله الخذلان والحرمان من النصرة والوقاية والوقوع في دائرة الظلم قال تعالى ﴿ وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ

---

[1] الجاثية: ١٨
[2] الأنعام: ١٥٠
[3] الشورى: ١٥
[4] سورة طه: ١٦
[5] الأنعام: ٥٦

أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [1]

وقال ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ۚ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾[2] وقال ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [3]

وهذا النهي والخطاب وإن كان موجه الى شخص النبي (صلى الله عليه وآله) لكنه لا يقتصر مورده عليه بل يعم الجميع مع ان النبي معصوم من اتباع هواه واهواء غيره ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [٣] ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [4]

لكن القرآن يخاطبه ويتوعده بالحرمان وعدم النصرة والوقاية والسقوط في الردى والضلال والظلم يراد بذلك ممن يتبعون اهواء الآخرين، فالنبي (صلى الله عليه وآله) اسمى واجل ان ينصاع لأهواء غيره.

فلذا ينبغي اخذ الدروس والعبر من هذه الخطابات الشديدة اللهجة فاذا كان النبي (صلى الله عليه وآله) اشرف واعظم خلق الله يخاطب بهذه الشدة واللحن فما بالك بغيره؟

افساد السماوات والأرض

ومن النتائج الخطيرة من اتباع أهواء الذين كفروا وكذبوا بآيات الله وقوع الفساد في السماوات والأرض قال تعالى ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾[5]

---

[1] البقرة: ١٢٠

[2] سورة البقرة: ١٤٥

[3] سورة الرعد: ٣٧

[4] سورة النجم: ٤

[5] سورة المؤمنون: ٧١

لانهم بفسادهم وغيهم يفسدون الأرض بعد إصلاحها ويؤثرون على النظام الاجتماعي والاسري والاخلاقي ويغيرون طبيعة الحياة ونظامها قال تعالى ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[1] وقال ﴿ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ﴾[2] وقال ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾[3] حيث عدت السرقة من مصاديق الفساد في الأرض.

اذن لا يكفي ان لا يتبع الشخص هوى نفسه بل عليه ان لا ينصاع لأهواء الاخرين الذين يفسدون في الأرض ولا تأخذه في الله لومة لائم فليس جزافا مجيء آيات كثيرة تنهى عن اتباعهم والحذر منهم ولم تكتف بالنهي عن اتباع هوى النفس قال تعالى (وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ [4]

---

[1] الروم: ٤١
[2] سورة الأعراف: ٥٦
[3] يوسف: ٧٣
[4] الأنعام: ١١٩



المبحث السادس: مقارنات قرآنية وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: المقارنة بين المجاهدين والقاعدين

المطلب الثاني: المقارنة بين الانفاق في الرخاء والشدة

المطلب الثالث: المقارنة بين الاعمى والبصير والظلمات والنور

المطلب الرابع: المقارنة بين الظل والحرور

المطلب الخامس: المقارنة بين الاحياء والاموات

المطلب السادس: المقارنة بين الحسنة والسيئة

المطلب السابع: المقارنة بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون

المبحث السادس: المقارنات القرآنية

بما ان القران الكريم هو كتاب مزكي العقول من الانحرافات الفكرية ومربي النفوس من الآفات الأخلاقية والعادات السيئة فيستعمل أساليب جميلة ودقيقة ومنطقية لأجل اثارة العقول واحياء النفوس.

فمن تلك الطرق والأساليب ان يسرد القران مقارنات عقلية وحسية في مجالات شتى علمية واجتماعية واخلاقية ثم يقارن بين الحسن والسيء والفاضل والمفضول والطيب والخبيث لحِكم وغايات كثيرة.

وكثير ما يستعمل القران مفردة(يستوون) لمقارنة بين شيئين فتارة تنفي الآية التساوي بينهما نفيا قاطعا، وأخرى تسأل الآية سؤال العالم البصير لكي تستفهم على شيئين هل يتساوى هذا وذاك حتى تثير دفائن العقول وترجع الناس الى أنفسهم لعلهم يؤمنون.

وتستعمل هذه المفردة في الاشياء الحسية كالكم والعد والطول والأمور المعنوية كالظلمات والنور والإيمان والكفر والأعمى والبصير.

وحسب التتبع القرآني ان هذه المفردة القرآنية قد تستعمل في المسائل المادية لكن يراد منها تقريب المسائل المعنوية الى ذهن السامع كقوله تعالى (﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ)[1]

والآية تنفي الاستواء بين عذوبة ماء البحر السائغ شرابه وبين ماء المالح الأجاج وليست ناظرة الى نفي الاستواء في الكمية بين البحرين كما هو واضح.

وليس غرضنا التركيز على المفردة بما هي مفردة إنما الوقوف على المقارنة التي جاءت بها الآيات بين أمرين عند النفي والاستفهام.

---

[1] فاطر: ١٢

فغرض الآية احقاق الحق وازهاق الباطل بين المقارنة بين الحق والباطل والخبيث والطيب والاعمى والبصير حتى يمّيز الانسان بين الامرين وتكون حجة عليه.

ونعرض جملة من الآيات ونقف عليها على نحو الاختصار:

المطلب الأول: المقارنة بين المجاهدين والقاعدين

قال تعالى ﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالمجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللّهُ المجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلا وَعَدَ اللّهُ الحُسْنَى ۚ وَفَضَّلَ اللّهُ المجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1]

ان الآية الكريمة قد قارنت بين القاعدين والمجاهدين اما أولي الضرر لم يدخلوا في المقارنة لمانع الضرر الذي يمنع من الجهاد كالمرض والعمى والعرج وغير ذلك فلا يصح المقارنة بينهم لوجود العذر عن الجهاد.

أما القاعدون فهم الذين لم يشاركوا في الجهاد مع عدم وجود الضرر ولم يكن الجهاد بعدُ واجبا عينيا عليهم.

أما المجاهدون فهم الذين جاهدوا بأنفسهم وأموالهم في سبيل الله والذين استغلوا الفرصة للجهاد في سبيله ونيل الأجر العظيم.

فالآية تريد رفع همم القاعدين عن الجهاد وتذكيرهم بعدم تفويتهم سبل التوفيق والخير وتحصيل الدرجات فلا ينبغي التقاعس والاعراض عن الانفاق والجهاد في سبيل الله.

فمع ان الله تعالى قد وعد كلا الطائفتين الحسنى لكن الآية تريد ان تقارن بينهما من حيث الأجر والدرجة العظيمة التي سينالها المجاهدون في سبيل

---

[1] سورة النساء: ٩٥

الله فلا استواء بين من جاهد وضحّ بنفسه وماله وبين من قعد عن ذلك باختياره دون وجود ضرر ومسوغ.

فالله عز وجل لا يضع العاملين وغير العاملين في كفة واحدة في الاجر والدرجة إنما درجاتهم متفاوتة وفق ما يقدمون من أعمال صالحة فالاستواء بين الفريقين ينافي العدالة الإلهية والعكس هو الصحيح لذا قالت الآية (لا يَسْتَوِي).

وهذه الآية نظير قوله تعالى ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ۚ لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[1]

فالأنفاق والقتال في سبيل الله في الظروف الصعبة واللحظات المصيرية التي كانت قبل الفتح ينال أصحابها المكانة والحظوة عند الله ولهم عظيم الأجر وعلو الدرجة من الذين أنفقوا وقاتلوا بعد الفتح مع حفظ الحسنى لكلا الفريقين.

والآية تنفي الاستواء بين الفريقين وتبين التفاوت في الدرجات بسبب السباق في الإنفاق والجهاد والإيمان قبل الفتح وبعده واستغلال فرص الطاعة ونيل كرامة.

المطلب الثاني: المقارنة بين الانفاق في الرخاء والشدة

والآية كذلك تريد شحذ همم المؤمنين في الإنفاق والجهاد من خلال بيان التفاوت الملحوظ بين الفريقين بسمو الدرجات وعظيم الاجر.

فكلما كان العمل الصالح في ظروف الشدة والعسر والحاجة فإنه يحظى بمقبولية كبرى عند الله، ويسمو مكانة على أيام اليسر والرخاء والغنى ومن

---

[1] **الحديد: ١٠**

الامثلة القرآنية اضافة على ما سبق قوله تعالى في الإنفاق ﴿ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾[1]

فالأنفاق أمر مستحسن ومطلوب وقد يصل إلى درجة الوجوب والإلزام لكن إنفاقه في أيام المجاعة الشديدة له مقبولية ومحبوبية كبيرة عند الله وله آثار عجيبة في التوفيق واقتحام العقبات.

المطلب الثالث: المقارنة بين الاعمى والبصير والظلمات والنور

قال تعالى ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾[١٩] ﴿ وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ﴾[٢٠] ﴿ وَلا الظِّلُّ وَلا الحَرُورُ﴾[٢١] ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾[2]

تشبه الآية الكريمة وتقارن بين المؤمن والكافر في عدة أشياء واضحة ومعروفة لدى الناس لإثبات الحق إلى أذهانهم وتمييزه عن الباطل والسراب.

والملفت ان الآيات تنفي الاستواء بين الاعمى والبصير والظلمات والنور بينما في اية اخرى جاءت على نحو الاستفهام لتحريك الاذهان كأنما آية النفي ترد وتجيب اية الاستفهام بان لا استواء بينهم قال تعالى(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ) [[3]]

فالإنسان البصير هو الذي يسير بخطى ثابتة وينظر بعين ثاقبة وقلب مطمئن ورؤية واضحة فلا يسلك سبيل الاعوجاج لأنه يدرك عاقبته ومهالكه، ولا يلج في الشبهات والمتاهات لعلمه بنتائجها وعواقبها ولا تخدعه الأقاويل الباطلة والأراجيف الكاذبة.

---

[1] البلد: ١٤

[2] سورة فاطر: ٢٢

[3] الرعد: ١٦

فهو يشق ظلمات الكفر والجهل بنور الإيمان والمعرفة، فنوره الذي شع في قلبه وازهر بالعلم والطمأنينة يسعى بين يديه فيخرق ظلمات الفتن ويدرأ عنه المحن ويوصله الى بر السكينة والأمان ويخلصه من كيد الشيطان وموائد السلطان قال تعالى ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1]

ان نور المؤمن في الاخرة هو قبس من نور الدنيا، فلما استنار المؤمن بنور الهداية والإيمان وانجاه من ظلمات الكفر والشرك والإلحاد فكذلك نور الاخرة سوف ينجيه من ظلماتها ومتاهاتها.

ومن حرم نور الايمان والمعرفة في الدنيا فلا نور له يوم القيامة (وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾[2] .

فقد سعى الانبياء لإخراج الناس من ظلمات الكفر والجهل الى نور الايمان قال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[3] وقال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[4] وقال سبحانه ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[5]

---

[1] الحديد: ١٢
[2] سورة النور: ٤٠
[3] إبراهيم: ٥
[4] الجمعة: ٢
[5] البقرة: ٢٥٧

فلذا من شدة ظلمات الاخرة يفزع المنافقون بالمؤمنين عندما يرون نورهم يسعى بين ايديهم طالبين منهم قبسا من نورهم قال تعالى﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا) [1]

اذن لا يوجد أي استواء بين البصير الذي استنار بنور الإيمان والمعرفة وعاش السكينة والاطمئنان وبين الأعمى الذي يتخبط في الشعواء والأهواء ويلج في الظلمات والجهالات.

وان عمى الدنيا سينعكس اثاره على الكفار والمنافقين في الآخرة قال تعالى ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلا﴾ [2] وقال عز وجل ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾[١٢٥] ﴿ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾[3]

وان المؤمن البصير الذي استنار بنور الإيمان يكون في كنف الله ولطفه وفي ظل رحمته ولطفه، يدفع عنه الشدائد وينجيه من المكائد لأنه تحرر من شهوات النفس ورغباتها وتخلص من نزواتها واهوائها فاستراح وأراح ونال الفلاح.

فهو ينظر بعين البصيرة ويرى ما لا يراه الاخرون ويسمع ما لا يسمع الاخرون من الحق فيتواضع له قال تعالى ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلا ۚ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ [4]

المطلب الرابع: المقارنة بين الظل والحرور

فكما ان لا استواء ومضاهاة بين الظل البارد النسيم العليل وبين سموم الحرارة فكذلك لا استواء بين الطمأنينة والسكينة والروح والراحة الناتجة من نور

---

[1] الحديد: ١٣
[2] الإسراء: ٧٢
[3] طه: ١٢٦
[4] هود: ٢٤

الإيمان والهداية الالهية وطاعة الرحمن وبين الضيق والضنك الناتجة من الشهوات وطاعة الشيطان.

أن الآية عندما قارنت بين الظل والحرور أرادت بذلك ان تقول فكما ان الظل فيه نفع وروح وراحة وتنفيس وان الحرور فيه ضرر ومشاق وازعاج ولا استواء بينهما فكذلك الايمان فهو خير واطمئنان وخير عاقبة بينما الكفر والشرك ضيق وظلمات وشر عاقبة.

وان اثار هذه العقائد والأعمال ستظهر جليا يوم القيامة فأصحاب العقائد الحقة والاعمال الصالحة في الجنة يتنعمون.

ومن اللطائف القرآنية ان الظل الذي يمثل جانب الايمان والخير والنفع والهداية يكون للمؤمن في نعيم الجنة قال تعالى﴿ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلالٍ عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾[1] وقال سبحانه﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ [2] وقال عز وجل ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلا ظَلِيلا﴾[3] وقال تعالى ﴿ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلالٍ عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾[4] وقال تعالى﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلا﴾[5]

وان الحرور الذي يمثل جانب الكفر والشر وهم اصحاب العقائد الباطلة والأعمال الطالحة فانه يكون جزائهم ومن سنخ عملهم يوم القيامة قال تعالى ﴿ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾[٤٢] ﴿ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ [٤٣]﴿ لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ﴾[6]

[1] سورة يس: ٥٦
[2] سورة الواقعة: ٨٩
[3] النساء: ٥٧
[4] يس: ٥٦
[5] الإنسان: ١٤
[6] سورة الواقعة: ٤٤

المطلب الخامس: المقارنة بين الاحياء والاموات

ثم المقارنة الأخيرة في الآية الكريمة بين الأحياء والأموات فالآية في مورد النفي فلا استواء بينهما.

ان عدم الاستوائية بين الحي والميت من المسائل الواضحة عند الجميع فالحي من لازمته الروح في عالم الدنيا والميت من فارقته، وبالحياة يستطيع الانسان ان يتحرك ويعمل ويقوم بمختلف الاعمال بخلاف الميت فهو يصبح جثة هامدة لا يحرك ساكنا.

لكن الانسان الحي الحقيقي حسب الرؤية القرآنية هو من شع نور الايمان في قلبه وخاف مقام ربه، وقهر نفسه واستعد ليوم رمسه، والوقوف بين يدي ربه. ومن كان حيا بنور الإيمان فهو على هداية الهية ورعاية ربانية بخلاف من كان على الكفر فهو ميت الاحياء وان كان يدب على الأرض فهو يعيش الظلام والظلمات من حيث لا يعلم قال سبحانه ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1]

وهذه الحياة الايمانية في الدنيا ستنعكس بظلالها على اهل الايمان في الاخرة ويفوز المؤمن بالحياة الابدية وينال الرضوان الالهيقال تعالى ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّاتٌ تجْرِي مِن تحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[2]

المطلب السادس: المقارنة بين الحسنة والسيئة

قال تعالى ﴿ وَلا تَسْتَوِي الحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ)[3]

---

[1] الأنعام: ١٢٢

[2] المائدة: ١١٩

[3] فصلت: ٣٤

الآية تنفي ايضا الاستواء بين الحسنة والسيئة، ومع وضوح الحسنات والسيئات في الأذهان لكن ينبغي الوقوف عليهما قرآنيا وقد جاءتا بمعاني ومقاصد عديدة حسب ظرف وسبب نزول الآيات وإليك جملة من الآيات التي توضح مقاصد ومعاني الحسنة والسيئة:

المعنى الأول: العقائد الحقة والاعمال الصالحة

قال تعالى ﴿ مَن جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾[1] للمفسرين أقوال مختلفة في معنى الحسنة في هذه الآية الكريمة فمنهم من قال انها العقائد الحقة كالتوحيد والإخلاص الإيمان والولاية ومنهم من قال مطلق الحسنات فتشمل العقيدة والأعمال الصالحة.

اما الاعمال الصالحة التي تخص جانب العملي والفعلي والقولي قوله تعالى (إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبنَ السَّيِّئَاتِ ۚ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾[2] وقيل ان المراد من الحسنات هي الصلوات فأنها تذهب بالسيئات.

والسيئات لها أيضا جنبة عقدية وعملية اما العقدية فهي العقائد الضالة كالكفر والشرك قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[3] و قوله تعالى ﴿ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تجْزَوْنَ إِلا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[4].

ان الآية تبين بأن هؤلاء الذين كسبوا السيئات سيجزون النار ويخلدون فيها ويكشف هذا العقاب بأن عقائدهم كانت باطلة ومنحرفة عن الحق.

---

[1] سورة النمل: ٨٩
[2] هود: ١١٤
[3] سورة يونس: ٢٧
[4] النمل: ٩٠

واما الجنبة العملية وهي السيئات والمعاصي التي يرتكبها المؤمن قال تعالى ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [1]

المعنى الثاني: الرحمة الإلهية

قال تعالى ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ۖ لَوْلا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[2]

المراد بالحسنة في الآية هي الرحمة التي تنزل على اهل الايمان والطاعة والمراد بالسيئة هو العذاب لان العذاب اذا ما نزل يسيء وجه الانسان قال تعالى ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ﴾[3]

فالنبي (صلى الله عليه واله) كان يخاطب قومه الذين طلبوا منه نزول العذاب عليهم استهزاء به وبرسالته فيسألهم لماذا تستعجلون بالعذاب وتزهدون بالرحمة الإلهية ﴿لَوْلا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ وقال عزوجل ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلاتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [4]

المعنى الثالث: الرخاء والنعمة

قال تعالى ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوا وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾[5] اي بدلنا الشدة بالرخاء لعلهم يؤمنون وقال تعالى ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ

[1] الزمر: ٥٣
[2] النمل: ٤٦
[3] الملك: ٢٧
[4] سورة الرعد: ٦
[5] سورة الأعراف: ٩٥

سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ ۗ أَلا إِنمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾[1]

المعنى الرابع: العمل الصالح

قال تعالى ﴿ مَن جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلا مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾[2]

والمراد من الحسنة مطلق العمل الصالح، ومن رحمة الله على المؤمنين ان جعل حسنتهم بعشر أمثالها وسيئتهم بمثلها قال عز وجل ﴿مَن جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[3]

ومن اثار وثمار الحسنات أنها تكفر وتمحو السيئات قال تعالى ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ ۚ إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۚ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾[4]وقال سبحانه (وَيَدْرَءُونَ بِالحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾[5]

المطلب السابع: المقارنة بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون

قال تعالى (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ۗ إِنمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ﴾[6]

الغرض من هذه المقارنة القرآنية في هذه الآية الفات نظر الناس وإيقاظهم من سباتهم وتعصبهم وايصالهم الى حقيقة التي لا تقبل التأويل والتكذيب بأن

---

[1] سورة الأعراف: ١٣١
[2] الأنعام: ١٦٠
[3] القصص: ٨٤
[4] هود: ١١٤
[5] سورة الرعد: ٢٢
[6] الزمر: ٩

العالِم لا يساوق الجاهل وأن كمال الإنسان بعلمه ونقصه بجهله، فمن دون علم يبقى المرء في ظلام الجهل قابع.

فبالعلم يهتدي الإنسان من الضلال وينجو من الكفر وعبادة الاصنام والاوثان ولذا من اهم وابرز ما بعث به النبي (صلى الله عليه واله) هو تعليم الناس الكتاب والحكمة ويهدي به من اتبع رضوانه سبل السلام قال تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[1] وقال ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2]

فالإنسان بنور العلم يبصر الأشياء ويهتدي من الظلمات والظلماء وينجو من الفتنة الطخياء فالذي لا يعلم هو أعمى قال تعالى ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[3]

وأن الأنبياء والأولياء هم السنام الاعظم في الرسوخ في العلم والمعرفة يقول تعالى عن نبي الله آدم (عليه السلام) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا)[4] وعن يوسف الصديق (عليه السلام) ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[5] وعن نبي الله موسى عليه السلام ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[6] وعن نبي الله يعقوب عليه السلام ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ۚ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا

---

[1] الجمعة: ٢
[2] المائدة: ١٦
[3] سورة الرعد: ١٩
[4] سورة البقرة: ٣١
[5] يوسف: ٢٢
[6] سورة القصص: ١٤

يَعْلَمُونَ﴾(1) وقال تعالى عن العبد الصالح ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾(2) وعن دواد وسليمان عليهما السلام ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا) (3) وعن نبي الله عيسى عليه السلام(وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ) (4) وقال تعالى يخاطب نبينا الاكرم (صلى الله عليه واله)(وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾(5)

ومن يراجع الآيات يجد المدح الكثير للعلم والعلماء، والذم الكثير لأصحاب الجهل والجهلاء ولا بأس ان نذكر جملة من أوصاف كلا الفريقين للمقارنة بينهما قرآنيا:

أوصاف الذين يعلمون

أصحاب خشية من الله تعالى

قال تعالى (إِنمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[(6)] وقال تعالى ﴿ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَيعَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾(7)

ما يمتاز به أهل العلم انهم يخشون الله تعالى في افعالهم واقوالهم وفي عبادتهم، فالعلم الذي هجم عليهم قد انعكس على وجودهم واخلاقهم وعلاقتهم مع ربهم ومع حولهم لأنه نفذ الى اعماقهم بحيث لا يؤثرون طاعة أي مخلوق على طاعة خالقهم ولا خشية أحد على خشية معبودهم.

(1) يوسف: ٦٨
(2) الكهف: ٦٥
(3) الأنبياء: ٧٩
(4) المائدة: ١١٠
(5) طه: ١١٤
(6) فاطر: ٢٨
(7) سورة الإسراء: ١٠٧

فهؤلاء الصفوة من ذوي العلم قد تجاوزا الظواهر والتصورات ووقف بهم علمهم على حقائق الأشياء فخافوا من المعاد ودقة الحساب وشدة العذاب قال تعالى ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الحَقُّ) [1]وقال تعالى ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلا اللَّهَ ۗ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾[2]

اي يستعجل الكفار بالساعة لأنهم لا يؤمنون بها لتكبرهم وعنادهم لكن الذين آمنوا بسبب علمهم وإيمانهم يخافون ومشفقون منها لشدتها وعظمتها وأهوالها.

أصحاب إيمان وتسليم

قال عز وجل (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُولُو الأَلْبَابِ﴾[3]

ومن صفات أهل العلم انهم في تسليم واعتراف وتواضع لدين الله وتعاليمه لا يزيغون عنها قيد أنملة.

الشاهدون لله تعالى بالوحدانية

قال تعالى ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَالمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْعَزِيزُ الحَكِيمُ﴾[4].

واولوا العلم أسرع الناس استجابة بالشهادة لله تعالى وبالوحدانية له واعملهم بلوازمها في حصر العباد والإخلاص له سبحانه ونفي كل أشكال الأرباب التي تعبد من دونه.

---

[1] سورة الشورى: ١٨
[2] الأحزاب: ٣٩
[3] آل عمران: ٧
[4] آل عمران: ١٨

الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر

قال تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقَّاهَا إِلا الصَّابِرُونَ﴾[1]

ومن أوصاف الذين اوتوا العلم أنهم لا يرضون بالباطل والمنكر ويدافعون عن الحق واهله ولا تأخذهم في الله لومة لائم.

أهل اصطفاء وارتضاء

قال تعالى (قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[2]

أي انهم اهل للاصطفاء من قبل تعالى لأنهم هيئوا الأرضية المناسبة لذلك ومهّدوها بحسن علمهم وتقواهم، فاذا ما أراد الله تعالى ان يختار خلفاء واوصياء وقادة على الامة لا يعدوهم الى غيرهم بل يهيئ الأسباب والظروف ليجلسهم على مناصبهم التي هم احق بها وأهلها كما فعل الله تعالى بنبي الله يوسف وموسى وطالوت ونبينا صلوات الله عليهم جميعا.

أوصاف الذين لا يعلمون

التقليد الأعمى

قال تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ﴾[3]

من أهداف القرآن الكريم القضاء على التبعية والعصبية التي لا تستند على أسس صحيحة وأصول متينة ورصينة ومن تلك العادات هي اتباع وتقليد الاباء والسير على آثارهم وعاداتهم ورفض التخلي عنها.

---

[1] القصص: ٨٠
[2] البقرة: ٢٤٧
[3] سورة البقرة: ١٧٠

فهؤلاء يظنون ان لهم العذر فيما هم فيه من الاتباع الاعمى لأنهم وجدوا هذه العبادات والعادات الباطلة في ابائهم.

فالقرآن الكريم يذم ويرفض هذا السلوك والادعاء لأنه لا يستند الى علم وحجة، والشيء المتبع والمعمول به إذا لم يكن يعتمد على حجة وبينة فهو زخرف من القول وجهالة.

الكذب على الله

قال تعالى ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [1] وقال سبحانه ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلا يَظُنُّونَ﴾[2] الاماني جمع امنية وتطلق على التمنيات والاحلام والاكاذيب والافتراءات

والكذب هو القول الذي لا واقع ولا حقيقة له في الخارج فهؤلاء ينسبون أباطيلهم وانحرافاتهم الى ابائهم وعلاوة على ذلك يدعون ان الله أمرهم بهذه الفواحش.

فهم لكي يبرروا ما هم عليه من ارتكاب الفواحش ينسبونها الى الاباء والى الله بغير علم، ونسب الشيء بدون حجة وعلم فهو كذب محض واتباع الظن قال تعالى ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلا تَخْرُصُونَ﴾[3] أي تكذبون.

---

[1] الأعراف: ٢٨

[2] سورة البقرة: ٧٨

[3] الأنعام: ١٤٨

التكبر على آيات الله

قال تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ ۗ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[1]

يتكبرون على الحق ويطالبون بمعاجز واقتراحات ليس الغرض منها الإيمان وطاعة الرحمن إنما لغرض الاستهزاء والسخرية والرد على دعوة الأنبياء والاستخفاف بهم بدون علم ودراية لأن من نفذ نور العلم في قلبه على نحو الحقيقة والبصيرة وطرح الآنفة والعصبية عنه سيصل الى بر الامان ويتحرر من عبادة الشيطان.

أصحاب تطير وتشاؤم

قال تعالى ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ ۗ أَلا إِنمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾[2]

الكثير من العادات والاعتقادات التي لا أساس لها ولا علم للذين كفروا بها سوى انها جهالات وسخافات أصبحت ثقافة بينهم ومن تلك الانحرافات انهم يتشأمون من الانبياء ومن آمن معهم.

فاذا اصابتهم الحسنة فرحوا بها واذا ما اصابتهم السيئة القوا باللائمة على الانبياء ومن امن معهم لجهلهم والعمى الذي اصابهم نتيجة اعراضهم عن الحق والتبعية للآباء والرضا بالأدنى قال تعالى ﴿ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن

---

[1] البقرة: ١١٨

[2] سورة الأعراف: ١٣١

لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1] وقال سبحانه ﴿ قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾[2]

الطبع على قلوبهم

وقال سبحانه ﴿ إِنمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ ۚ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾[3] وقال تعالى ﴿ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ﴾[[4]] ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ﴾[5]

ان مرد العصيان والنفاق والطبع على القلوب بسبب إغلاق منافذ التعقل وحرمان أنفسهم من الانفتاح على دعوة الأنبياء والصلحاء بسبب تكبرهم.

أصحاب سفاهة

قال تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لا يَعْلَمُونَ﴾[6]

وهذا فخ كبير وبر عميق قد وقع فيه الكثير من حيث لا يعلمون ويحسبون أنهم مهتدون وعلى الحق المبين.

حيث يصبح الباطل حقا والخطأ صوابا ولا قداسة ومكانة الا لهم اما غيرهم فهم سفهاء لا رشد ولا علم لهم.

واذا ما بقوا على هذه العقيدة البائسة والاخلاق الفاسدة وهم لا يعلمون فذلك هو الخسران المبين قال تعالى ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالا﴾[

---

[1] يس: ١ٸ
[2] النمل: ٤٧
[3] التوبة: ٩٣
[4] سورة التوبة: ٨٧
[5] سورة المنافقون: ٣
[6] البقرة: ١٣

١٠٣] ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [١]

تفويت الخير

قال تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[٢]

ومن تبعات الجهل والإعراض عن الحق بغير علم وعدم الإيمان والتقوى هو تفويت الخير الكثير في الدارين.

أصحاب غفلة ولهو

قال تعالى ﴿ وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[٣]

ان اهتمام الإنسان الكثير والكبير بالدنيا ومشاغلها وملذاتها لا شك سوف تنسيه آخرته والاستعداد لها وربما تحرمه من الفوز بها.

فالله تعالى يصف الدنيا بانها دار لهو ولعب لا تستحق ان تكون هدفا وغاية لأنها سرعان ما تنتهي لذتها لكن تفويت الحياة الابدية هي خسارة عظيمة لا يمكن تعويضها ابدا.

فالإدمان على الشهوات والانشغال بالدنيا ولهوها ولعبها وتسويف الاخرة والتغافل عنها او نكرانها وبيع الاخرة بالدنيا سوف تجعل المرء لا ينظر الا لها وجمالها فهو بصير بها بينما اعمى عن النظر الى دار الحيوان.

والانسان اذا احتجب بعالم الطبيعة ولم يفتح بصره الباطني الى عالم الاخرة فهو اعمى البصيرة وسيغلق على نفسه نوافذ الهداية والاستنارة، وسيقبع في

---

[١] الكهف: ١٠٤
[٢] سورة البقرة: ١٠٣
[٣] سورة العنكبوت: ٦٤

جهله فلا يعلم بالتيه الذي هو فيه والبؤس الذي أوقع نفسه فيه والحرمان الذي سوف يناله والخسارة التي لا تعوض ابدا قال تعالى ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾[1]

[1] سورة الروم: ٧



المبحث السابع:

وقفات تدّبرية قرآنية

وفيها ثلاث عشرة وقفة

الوقفة الأولى: المرأة في القران

وفيها مطلبان:

المطلب الأول: الدفاع عن المرأة

المطلب الثاني: حقوق المرأة في القران

المطلب الأول: الدفاع عن المرأة

لا شك أن المرأة من أهم النواة في المجتمع والأسرة والأبعاد الكثيرة الاخرى.
فلا يمكن للرجل ان يسد فراغ المرأة في المجتمع والاسرة مهما أوتي من قوة وامكانيات هائلة وكذلك المرأة لا تستطيع تسد مكان الرجل إنما أحدهما مكمل للآخر.

إن النظام الكون قائم على هذا التوازن والتكامل الذي وضعه رب العالمين فالإخلال به يؤدي إلى الفساد والفوضى والهرج والمرج.

وقد كانت المرأة في العصر الجاهلي قبل البعثة النبوية الشريفة تعيش الاضطهاد والاستغلال والاستصغار وخمط حقها من إرثها واستعبادها وقد كانت تعد عارا وثقلا على ذويها ولذا كان وأد البنات أمرا طبيعيا ومشروعا وغير مستهجن عند الاغلبية بسبب الغارات وبغي القبائل فيما بينها.

فلما بزغ نور الإسلام في الجزيرة العربية ارجع للمرأة كرامتها وحقها ووجوب معاشرتها بالمعروف وأصبحت عنصرا فاعلا في المجتمع والاسرة.

وان القران الكريم زاخر بالآيات التي تؤكد على اجلالها ومعاشرتها بالحسنى وإعطاء حقها.

وسنذكر بعض العناوين من خلال الآيات القرآنية فيما يخص المرأة وكيف ان الإسلام اهتم بها ووقرها وحفظ حقها:

حرمة وأد البنات

قال تعالى ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾[٨] ﴿ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾ [1] وقال سبحانه ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ [٥٨] يَتَوَارَى مِنَ

---

[1] التكوير: ٩

الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[1]

قلنا فيما سبق بأن وأد البنات كان أمرا شائعا في الجاهلية فلما جاء الإسلام قضى على هذه العادة السيئة وقلع جذورها من خلال اشاعة الرحمة والالفة بين الارحام والناس وفي نفس الوقت أنكر عملهم وبين خطأهم وحرم فعلهم. فان البنت لا ذنب لها حتى تقتل وتدفن حية وأنها ليست عارا كما تزعمون ولا ثقلا على أحد كما تدعون.

حرمة قتل الأولاد

قال سبحانه ﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾[2] وقال عز وجل ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[3] وقال وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ [4]

ومن العادات المستهجنة قتل الأولاد بسبب الفقر او تزلفا للأصنام.

فليس الفقر والحاجة سببا لقتل الأولاد فالله تعالى هو المتكفل بهم وبكم في الرزق.

فالأولاد رزق من الله ورزقهم مقرون معهم ومكفول لهم من خالقهم قال تعالى (وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلا عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ)[5]

---

[1] سورة النحل: ٥٩
[2] الإسراء: ٣١
[3] سورة الأنعام: ١٤٠
[4] الانعام: ١٣٧
[5] هود: ٦

المرأة تساوق الرجل في القدر

ومن العادات والترسبات الجاهلية التي كانت المتجذرة في الجزيرة العربية آنذاك وما زالت عند البعض تباعتها وآثارها هو الشعور بأفضلية الذكر على الانثى.

فلما جاء الإسلام بين أن لكل منهما دوره واهميته وله حقوق وعليه واجبات وهما جناحان في التكامل النوعي والاجتماعي والأسري.

وان قيمومة الرجال على النساء لا يعني الأفضلية انما هي قيادة لإدارة الاسرة التي لا مناص من تحمّلها.

وهناك الكثير من الآيات تخاطب المؤمنين وتأمرهم وتنهاهم ويراد بهم الذكر والأنثى على حد سواء وتارة تخاطبهم سويا كقوله تعالى ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى ۖ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ) [1]وقال عزوجل ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2]

الدفاع عن حرمة المؤمنة المحصنة

ثم حرم الله تعالى في كتابه المجيد رمي المحصنات المؤمنات بشتى التهم وتوعد فاعله بالعذاب العظيم لأنه يؤدي إلى هتك حرمتهن وسمعتهن ومكانتهن في المجتمع، ويتسبب في نشوء اختلال في المجتمع الإسلامي قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ

---

[1] آل عمران: ١٩٥

[2] النور: ٧١

عَظِيمٌ﴾[1] وقال عز وجل ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [2]

حرمة مضايقتها

قال تعالى(وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ) [3]

كذلك لا يجوز التضييق على المطلقة في النفقة والسكن فضلا عن الزوجة التي لا تزال في عهدة الزوج.

تفضيل المرأة المؤمنة على المشركة

قوله تعالى(وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ)[4]

فمن الواضح ان الإيمان أفضل من الشرك وان المؤمنة تكون تبعا لذلك أفضل وأكرم عند الله من المشركة فالإيمان يدعو الى الجنة والشرك يدعو الى النار.

قال تعالى ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[5]

حرمة إكراه الإماء على البغاء

قوله تعالى { وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا)[6].

كانت الامة حينها تشترى وتباع وتهب فكان البعض ممن يملك الاماء يجبرهن على البغاء فنزلت الآية تنهاهم عن ذلك صونا لمكانة المرأة وعرضها وشرفها.

المطلب الثاني: حقوق المرأة في القران

وقد ذكر القران الكريم جملة من حقوق المرأة المادية واليك شطر منها:

---

[1] النور:٢٣

[2] النور: ١٩

[3] سورة الطلاق: ٦

[4] البقرة: ٢٢١

[5] سورة الأنعام: ١٤

[6] النور: ٣٣

لها نصيب من الإرث

وقد فرض الله تعالى في كتابه نصيبا للمرأة من الإرث بعدما كان يعتدى على حقها بذرائع مختلفة و أكاذيب مختلقة واستضعافها فجاء الإسلام لكي يضع حدا لهذا البغي من خلال الكثير من الاحكام ووعد المؤمنين بالجنة عند الالتزام بحدوده وتوعد بالنار من يتعداها ، فقال تعالى بعد ذكر جملة من الفروض ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[١٠]﴿ وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[١]

والمرأة التي لها نصيب من الإرث قد تكون أماً او زوجة او بنتاً أو أختاً فكل عنوان له نصيبه من الإرث وإليك جملة من أسهم النساء من الإرث:

حق الأم في الإرث

في قوله تعالى (وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ)[٢]

حق الزوجة ونصيبها من الإرث

ي قوله تعالى (وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ) [٣]

حق البنت او البنات من الإرث

في قوله تعالى (فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ) [٤]

---

[١]النساء: ١١

[٢] النساء: ١١

[٣] سورة النساء: ١١

[٤] سورة النساء: ١٢

حق الأخت او الاخوات من الإرث

في قوله تعالى(وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ) [1] وقوله تعالى (إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [2]

فهذه الآيات تثبت حق المرأة من الإرث بعدما كان يغتصب حقها عنوة وتعدياً قبل الإسلام بأعذار وعادات ما انزل الله بها من سلطان.

حرمة التعدي على مال الزوجة كرها

ان حرمة التعدي على مال الزوجة له أمثلة ومصاديق عديدة قد ذكرتها آيات كثيرة في القران الكريم نذكر منها:

الآية الأولى: قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا) [3]

روي في مجمع البيان عن الإمام محمد الباقر (عليه السلام): " نزلت في الرجل يحبس المرأة – من دون أن يعاملوها كالزوجة – عنده لا حاجة له إليها ينتظر موتها حتى يرثها "، أي فيأخذ أموالها من بعد وفاتها.

وروي عن ابن عباس أن الآية الحاضرة نزلت في الذين أمهروا نساءهم بمهور كبيرة ثم يحبسونهن من دون حاجة إليهن، ولا يطلقونهن لغلاء المهر وثقله، ويؤذونهن حتى يقبلن بالطلاق بعد أن يتنازلن عن تلك المهور. [4]

وللأسف لا يزال هذا الأسلوب والسلوك ساريا عند الكثير من الأزواج .

---

[1] سورة النساء: ١٢
[2] النساء: ١٧٦
[3] النساء: ١٩
[4] تفسير الأمثل٤

الآية الثانية: قوله تعالى﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾[1] وقال عز وجل (فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً) [2]

ان مهر الزوجة حق ثابت في الشريعة فيجب إعطاؤه لها ويحرم التعدي عليه من دون رضاها.

الآية الثالثة: قوله تعالى (﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) [3] حيث يجب إعطاء مهر الأمة.

الآية الرابعة: قوله تعالى (﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ) [4] كذلك يلزم ضمان نصف مهر الزوجة عند الطلاق وقبل الدخول.

الآية الخامسة: قوله تعالى﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا)[5] حرمة أخذ مهرها بعد الطلاق وهو من موارد التسريح بإحسان.

وجوب النفقة عليها

قال تعالى (وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾[6]

---

[1] سورة النساء: ٤
[2] **النساء: ٢٤**
[3] سورة النساء: ٢٥
[4] سورة البقرة: ٢٣٧
[5] البقرة: ٢٢٩
[6] سورة البقرة: ٢٣٦

ولم تكتف الشريعة الإسلامية بفرض نصيباً من الإرث للمرأة وحقها في أخذ المهر انما وجب على الزوج ان ينفق على زوجته في العسر واليسر ولا يسقط هذا الوجوب الا في موارد معينة كنشوز الزوجة.

وجوب النفقة عليها عند الحمل

قال تعالى (وَإِن كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) [1]

وكذلك أوجبت الشريعة على الزوج ان ينفق على زوجته الحامل إذا ما طلقها وانتهت عدتها فينفق عليها حتى تضع حملها.

فالطلاق لا يسقط وجوب نفقة الزوج على زوجته في العدة الرجعية، وإذا كانت ذات حمل وجب الانفاق عليها حتى تضع حملها.

لها حق في رضاعة الأولاد لحولين

قال تعالى ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ)[2]

لها حق في أخذ المال إزاء الرضاعة

قال تعالى (فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ) [3]

لها حق الخيار في الرضاع

قال تعالى (وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾ [4]

لها الحق في السكن الملائم للزوجة المطلقة

قال تعالى ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ) [5]

---

[1] سورة الطلاق:٦
[2] البقرة: ٢٣٣
[3] سورة الطلاق: ٦
[4] سورة الطلاق: ٦
[5] سورة الطلاق: ٦

أي اسكنوا المطلقات حسب قدرتكم فكما يجب على الزوج ان يوفر السكن الملائم لزوجته فكذلك يلزم ان يوفر للزوجة المطلقة السكن بما يناسب شأنها وحسب قدرته وامكانيته الى المدة المقررة في الفقه.

حقها في الزواج بعد الطلاق

قوله تعالى ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ) [1] أي لا تمنعوهن.

وجوب الوصية لها قبل الوفاة بالمتاع حولا غير إخراج

قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2]

حقها في البقاء في بيوتهن في العدة

قوله تعالى (لا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ) [3]

فان المطلقة الرجعية هي بمثابة الزوجة فلا يجوز إخراجها من بيته ولا يجوز لها أن تخرج.

واللطيف ان القرآن نسب البيوت للمطلقات فلم تقل الآية لا تخرجوهن من بيوتكم ومثله قوله تعالى (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ) [4] فمن الواضح ليس بيوتهن قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلا أَن يُؤْذَنَ)[5]

ولعل الحكمة من ذلك كما قيل التصاق الزوجة الوثيق بالبيت.

---

[1] سورة البقرة: ٢٣٢
[2] سورة البقرة: ٢٤٠
[3] الأحزاب: اية ٣٣
[4] الأحزاب: اية ٥٣
[5] الأحزاب: اية ٣٣

وأن الحكمة من حرمة اخراجهن وخروجهن من بيوتهن لإعطاء الفسحة والفرصة للزوجين لعل الله يحدث بعد ذلك امراً وترجع المياه الى مجاريها ويرجع الزوج لزوجته قبل انتهاء العدة

حق المرأة الكبيرة أن تضع ثيابها

قوله تعالى{ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ [١]

هذه الحقوق التي ذكرتها الآيات للمرأة وحرمة الاعتداء والتضييق عليها ولزوم صيانة مكانتها وسمعتها ومالها ووجوب معاشرتها بالمعروف ورفع الحرج عنها والوصية بها ولها وغير ذلك من المسائل تثبت للقارئ الكريم وبدون أدنى شك عظمة الأسلام في تقدير المرأة واجلالها وحفظ مالها وكيانها من التعدي.

وهذه الآيات القرآنية ترد على الذين يدعون ظلما وتخرصاً بان الإسلام ظلم المرأة وقيد حريتها وبخس حقها وفضل الرجل عليها وغير ذلك من الافتراءات الباطلة التي يراد منها تشويه صورة الاسلام ومكانته النقية من خلال المرأة ومن خلال فسح المجال لتسيّب والانحلال بحجة الحرية.

---

[١] النور: ٦٠



الوقفة الثانية: حقوق اليتامى في القران

- صيانة أموال اليتامى
- القسط في اليتامى
- فرض لهم سهما من الخمس
- الإنفاق على اليتامى
- إطعام الأيتام

حقوق اليتامى في القران

من أهم المسائل التي سلط القرآن الضوء عليها واهتم بها اهتماما كبيرا وفي آيات كثيرة ومناسبات عديدة هي حقوق اليتامى سواء أكانت هذه الحقوق مادية او معنوية حيث راع جانب الاقتصادي والنفسي فيهم.

وقد ذكر الله تعالى في كتابه قصة الخضر وموسى (عليهما السلام) في قضية الجدار الذي أوشك ان ينقض ويسقط فأقامه وأصلحه.

وقد بين الحكمة من ذلك بان الجدار كان تحته كنز لليتيمين فاراد الله ان يبلغا اشدهما ويستخرجاه رحمة بهم قال تعالى ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[1]

وهذه عناية ربانية بالأيتام ذكرها الله في كتابه حتى يحث المؤمنين على إعانة ورعاية وكفالة اليتامى ولزوم الحفاظ على أموالهم من التلف والبغي.

ونحاول ان نجمل الآيات التي اشارت إليهم او نزلت في شأنهم على شكل عناوين:

صيانة أموال اليتامى

قال تعالى ﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا ﴾[2]

فعلى الأولياء ان يتحملوا مسؤولية حفظ الامانة في مال اليتامى حتى يبلغوا ويرشدوا مع النهي والتحذير من التجاوز عليها حتى يكبروا.

[1] الكهف: ٨٢
[2] النساء: ٦

فاذا بلغوا ورشدوا يدفع لهم أموالهم من دون نقيصة او احتيال او غش او خداع فانه ذنب عظيم قال عز وجل ﴿ وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ۖ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾[1] ولم يكتف القرآن بوجوب صيانة أموال اليتامى وحرمة التعدي عليها بل نهى عن الاقتراب منها قال تعالى ﴿ وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾ . [2]

وهذا النهي يكشف عن مدى اهتمام القرآن بأموال اليتامى من التعدي وعلى المرء ان يكون على حذر وحيطة من اقتراب منها خشية الوقوع في محذور التعدي.

ثم توعد بالعذاب الشديد لمن أكلها ظلما قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾[3]

القسط في اليتامى

قال تعالى ﴿ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴾[4] أي ينبغي ان تراعوا القسط والعدالة في تعاملكم مع اليتامى فلا تبخسوا حقهم في اموالهم.

فرض لهم سهما من الخمس

وقد فرض الله تعالى لليتامى سهما من الخمس قال تعالى ﴿ وَاعْلَمُوا أَنمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ للّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ) وقال ﴿ مَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ

---

[1] النساء: ٢
[2] البقرة: ١٧٧
[3] النساء: ١٠
[4] سورة النساء: ١٢٧

وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ﴾[1]

الإنفاق على اليتامى

اما في مسألة الإنفاق على اليتيم فقد وردت آيات كثيرة تحث وترغب وتامر بذلك باعتبار الظرف الاقتصادي الصعب الذي يمر به اليتيم بفقد والده فلابد من سد هذا الفراغ المادي من خلال الإنفاق عليه.

فمن تلك الآيات قوله تعالى ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[2] وقال ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ﴾[3]

إطعام الأيتام

وقصّ القرآنُ الكريم إطعام أهل البيت عليهم السلام الطعامَ لليتيم والمسكين والأسير وايثارهم على أنفسهم حتى يتأسى الناس بهذا الخلق النبيل قال ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[4] وقال تعالى عن موجبات المؤدية لاقتحام العقبة يوم القيامة ﴿ فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾[١١] ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾[١٣]﴿ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾[١٤] ﴿ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾[5]

---

[1] الحشر: ٧

[2] البقرة: ٢١٥

[3] البقرة: ١٧٧

[4] الإنسان: ٨

[5] سورة البلد: ١٥



الوقفة الثالثة: الحب والبغض الإلهي في القرآن وفيها ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ملاحظات مهمة

المطلب الثاني: أوصاف المحبوبين في القرآن

المطلب الثالث: اوصاف المبغوضين في القران

الحب والبغض الإلهي في القرآن الكريم

من المواضيع المهمة التي تناولها القرآن الكريم هو الحب والبغض الإلهي وهذه المواضيع ينبغي الوقوف عليها حتى نخرج بفائدة معرفية وأخلاقية وقبل أن نلج في هذا البحث المهم هناك عدة ملاحظات مهمة:

المطلب الأول: الملاحظات المهمة:

الملاحظة الأولى: أن حب الخالق لعباده المؤمنين لا يشبه الحب الموجود في المخلوقات لا من حيث القوة لأن حبه تعالى أعظم من حبنا اياه واعظم من حبنا لبعضنا ولا من حيث العواطف والمشاعر الانسانية لأنه تعالى يتنزه عن ذلك كله إنما حبه نابع من الرحمة الالهية التي كتبها على نفسه لأهل التقوى والايمان قال تعالى (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾[(1)]

الملاحظة الثانية: أنه تعالى لا يبتغي من حبه لعباده المؤمنين أي نفع ومصلحة لذاته لأنه غني بذاته انما يحبهم حتى يغنيهم من فضله ويوصلهم إلى كمالهم المنشود بينما حبهم إياه يجلب لهم النفع الكثير والثواب الجزيل.

الملاحظة الثالثة: إن حب الله تعالى لعباده لا ينال جزافا واتفاقا إنما ينال أهل الطاعة والإخلاص.

الملاحظة الرابعة: إن الحب الإلهي لعباده المؤمنين مفهوم مشكك تابع لمدى قوة إيمانهم ودرجة تقواهم واخلاصهم لأن المؤمنين يتفاوتون من حيث الطاعة والتقوى بل حتى من حيث حبهم لله تعالى هم يتفاوتون قوة وضعفا، فيكون حب الله إياهم حسب ما يملكون من كمالات روحية ودرجات معرفية.

---

(1) الأعراف: ١٥٦

فحب الله تعالى لنبينا (صلى الله عليه وآله) لا ريب أنه لا يساوق حبه لبقية النبيين وحبه للأنبياء والأولياء لا يماثل حبه للمؤمنين وغير ذلك من التفاضل في الحب الإلهي والمسالة عكسية ايضا.

الملاحظة الخامسة: أن حب الله موجود في كل آن لكنه ينال أهل التقوى والإيمان ويحرم منه أهل العصيان والطغيان الذين حرموا أنفسهم من حب الله واستحقوا المقت والسخط والخذلان.

الملاحظة السادسة: وهذه الملاحظة جديرة بالالتفات والاهتمام فقد يدعي العبد أنه يحب الله تعالى بينما الله تعالى يبغضه بسبب عمله السيء لان الحب ليس ادعاء وإقرار إنما طاعة وامتثال وشكر وامتنان لله المتعال.

قال الشاعر:

تَعصي الإِلَهَ وَأَنتَ تُظهِرُ حُبَّهُ

هَذا مَحالٌ في القِياسِ بَديعُ

لَو كانَ حُبُّكَ صادِقاً لأَطَعتَهُ

إِنَّ المحِبَّ لِمَن يُحِبُّ مُطيعُ

في كُلِّ يَومٍ يَبتَديكَ بِنِعمَةٍ

مِنهُ وَأَنتَ لِشُكرِ ذاكَ مُضيعُ

الملاحظة السابعة: ومن الواضح ان بغضه تعالى لشريحة من الناس إنما بسبب ظلمهم وفسقهم وفسادهم، فالله تعالى أمر بالتقوى والإحسان وأحب المتقين والمحسنين ونهى عن الفساد والظلم ومقت الفاسدين والظالمين.

المطلب الثاني: أوصاف المحبوبين في القرآن

وردت آيات كثيرة تخص ثلة من المؤمنين الذين يمتازون بأوصاف كريمة وسجايا طيبة وخلق رفيع بالحب الإلهي نذكر جملة من هذه الاوصاف:

الصابرون: قال تعالى ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[1]

قلنا فيما سبق بأن حب الله تعالى له آثار كبيرة ونتائج عظيمة على من يحبهم ومنهم الصابرون الذين صبروا على الطاعة والبلاء والمعصية ومن تلك الآثار والمنح ان لهم البشرى والصلوات والرحمة والله معهم في جهادهم وصبرهم ومصابهم قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [2] وقال ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [١٥٥] .. ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [3].

المحسنون: قال تعالى ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [4]

ان الله عزوجل أحب المحسنين لأنهم يحسنون للناس بالإنفاق ويكظمون غيظهم لوجه الكريم ويعفون عن زلاتهم.

ومن أحسن الى الناس فقد أحسن الى نفسه واختار لها الحسنى قال تعالى ﴿ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾[5]

ومن مصاديق واثار الحب الإلهي للمحسنين ان رحمته تعالى قريب منهم قال سبحانه (إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[6] وانه لا يضيع اجرهم البتة ﴿

---

[1] آل عمران: ١٤٦
[2] البقرة: ١٥٣
[3] البقرة: ١٥٧
[4] آل عمران: ١٣٤
[5] الكهف: ٨٨
[6] الأعراف: ٥٦

وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [1] وان الله تعالى معهم في جهادهم ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[2] ولهم البشرى (وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾[3]

المتوكلون: قال تعالى (انَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[4] .

انه تعالى يحب المتوكلين لانهم يفوضون امرهم اليه ويعتمدون عليه ويثقون بقدرته وعظمته وحكمته وان جميع الامور هي بيده قال تعالى (وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[5] وقال ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ) [6] وقال (وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [7].

التوابون والمطهرون:

قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[8]

احبهم الله لانهم اصحاب استغفار وانابة ولا يصرون على معاصيهم وأعمالهم السيئة قال تعالى (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[9]

واحبهم الله لانهم يطهرون أنفسهم من الخبائث المادية والمعنوية والعقائد الباطلة والافكار المنحرفة والتقاليد البائسة قال تعالى ﴿ لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ

[1] هود: ١١٥
[2] العنكبوت: ٦٩
[3] سورة الحج: ٣٧
[4] آل عمران: ١٥٩
[5] الطلاق: ٣
[6] الفرقان: ٥٨
[7] الأنفال: ٤٩
[8] البقرة: ٢٢٢
[9] آل عمران: ١٣٥

لَمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقۡوَى مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الۡمُطَّهِّرِينَ﴾[1]

المقسطون: قال تعالى (وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَاحۡكُم بَيۡنَهُم بِالۡقِسۡطِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الۡمُقۡسِطِينَ﴾[2]

ومن موارد الحب الإلهي انه تعالى يحب القائمين بالقسط سواء في الحكم او في الميزان او القيمومة على اليتامى وفي اقامة الشهادة او الاصلاح بين الناس قال تعالى ﴿ وَيَا قَوۡمِ أَوۡفُوا الۡمِكۡيَالَ وَالۡمِيزَانَ بِالۡقِسۡطِ ﴾[3] وقال (وَأَن تَقُومُوا لِلۡيَتَامَى بِالۡقِسۡطِ ۚ وَمَا تَفۡعَلُوا مِنۡ خَيۡرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ [4] وقال ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالۡقِسۡطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَى أَنفُسِكُمۡ أَوِ الۡوَالِدَيۡنِ وَالأَقۡرَبِينَ ﴾ [5] وقال ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الۡمُؤۡمِنِينَ اقۡتَتَلُوا فَأَصۡلِحُوا بَيۡنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتۡ إِحۡدَاهُمَا عَلَى الأُخۡرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبۡغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمۡرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتۡ فَأَصۡلِحُوا بَيۡنَهُمَا بِالۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الۡمُقۡسِطِينَ﴾[6]

تبين من خلال هذه الآيات ان حب الله تعالى للمقسطين لم يأت جزافا إنما بسبب عدالتهم واستقامتهم وطاعتهم لربهم.

المتقون: ومن الذين يحبهم الله تعالى هم المتقون قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الۡمُتَّقِينَ﴾[7]

---

[1] سورة التوبة: ١٠٨
[2] المائدة: ٤٢
[3] هود: ٨٥
[4] سورة النساء: ١٢٧
[5] سورة النساء: ١٣٥
[6] الحجرات: ٩
[7] التوبة: ٧

المجاهدون: ومن الذين شملهم الله بحبه هم المجاهدون في سبيله قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [1] وان كان القران قد اطلق عنوان الجهاد على من جاهد بنفسه وجاهد نفسه وجاهد بماله قال تعالى ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [2]وقال (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ [3]

المطلب الثالث: أوصاف المبغوضين في القرآن

وكما وردت آيات تبين حب الله لشريحة من المؤمنين بسبب ما يملكون من خصائص وسجايا طيبة كذلك وردت آيات تبين بغض الله وكراهيته لشريحة من الناس بسبب ظلمهم وفسقهم نذكر جملة منها.

المعتدون: قال تعالى ﴿ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [4] الاعتداء هو التجاوز والبغي على الاخرين بغير حق ويتحقق ذلك بطرق واساليب لا حصر لها ولا تخفى على القارئ.

وكلما كان الاعتداء عظيما كان ذنبه وعقابه أعظم واثاره وأبعاده الوضعية تلاحق المعتدي إلا أن يتوب الى ربه ويصلح ما أفسده ويجبر ما كسره.

فكل اعتداء هو ظلم وتجاوز لحدود الله قال تعالى(وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ [5] وقال ﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[6].

---

[1] الصف: ٤
[2] التوبة: ٢٠
[3] العنكبوت: ٦٩
[4] سورة البقرة: ١٩٠
[5] الطلاق: ١
[6] النساء: ١٤

فالله تعالى حينما ينهى عن الاعتداء لكي يقي الأبرياء ويربي النفوس على التقوى والطاعة ويبعد المؤمنين عن دائرة المبغوضية ويلجهم في دائرة المحبوبية.

الكفار الأثيم: قال تعالى ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ۗ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾[1]

والمراد بالكفار الأثيم هو المرابي الذي كفر بنعم الله ولم يشكرها وأخذ يستغل فقر الناس وعيلتهم فكان عاقبته الإثم والخسران في الدارين.

المختال والفخور: قال تعالى ﴿ وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[2]

ومن الذي ناله البغض الالهي هو المختال الفخور الذي يتبختر في مشيه ويتكبر على نوعه ويفتخر على غيره بحسبه او نسبه او بماله او بعلمه الخ.

وان اجتماع المختال مع الفخور في جملة من الآيات يوحي بان كل مختال متكبر هو فخور على غيره والعكس هو الصحيح قال تعالى ﴿ لِّكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[3] وقال (إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالا فَخُورًا﴾[4].

الكافرون: قال تعالى ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾[5]

الظالمون: قال عزوجل ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[6]

---

[1] البقرة: ٢٧٦
[2] لقمان: ١٨
[3] الحديد: ٢٣
[4] النساء: ٣٦
[5] آل عمران: ٣٢
[6] آل عمران: ٥٧

المفسدون: قال تعالى (وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[1]
الفساد تبديل الأحسن والأصلح بالأفسد قال تعالى ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ ۖ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[2]
فمن يؤثر التكبر والكفر والبغي والظلم والفجور والعصيان والسحر على التواضع والإيمان والالتزام والعفة والتقوى فقد استبدل الاحسن بالأفسد ومن الشواهد القرآنية قوله تعالى ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾[[3]] وقوله تعالى ﴿ آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[4] ﴿ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُم مَّن لا يُؤْمِنُ بِهِ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾[5]
فلا شك حينئذ ان المفسدين لا حظة لهم من الحب الإلهي وانه تعالى لا يصلح عملهم ولا يجعلهم كالمؤمنين والمتقين في المكانة والمنزلة قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾[6] وقال ﴿ أَمْ نجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾[7]
وان السير والعمل خلاف الشريعة يؤدي الى الفساد في الأخلاق والمجتمعات والأسر والسياسة والقضاء بل حتى يؤثر في الطبيعة فيحصل خلل فيها قال تعالى ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[8]

---

[1] سورة المائدة: ٦٤
[2] القصص: ٧٧
[3] النمل: ١٤
[4] يونس: ٩١
[5] يونس: ٤٠
[6] يونس: ٨١
[7] ص: ٢٨
[8] الروم: ٤١

وكذلك السعي في تغيير تركيبة جنس الفرد يؤدي الى الافساد في النظام البشري ولا يقوم به الا من خرج عن دائرة النظام الكوني والشرعي قال تعالى ﴿ وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾[1] وقال ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ) [2]

المسرفون: قال تعالى (إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [3]

ومن الذين حرموا أنفسهم من دائرة المحبوبية ودخلوا في زمرة المبغوضية هم المسرفون والسرف هو تجاوز الحد وله امثلة ومصاديق سيأتي الكلام عنها في بحث مفهوم الإسراف في القرآن الكريم.

الفرحون: قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾[4] ليس الفرح بحد ذاته مبغوض ولا كل فرح يبغضه الله قال تعالى ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [5]

انما الفرح الممقوت الذي يقع من المتكبرين والكافرين قال تعالى عن قارون ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [6] وقال (وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلا مَتَاعٌ﴾[7]

المستكبرون: قال تعالى ﴿ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾[8]

---

[1] الأنبياء: ٧٤
[2] سورة العنكبوت: ٢٩
[3] الأعراف: ٣١
[4] القصص: ٧٦
[5] يونس: ٥٨
[6] القصص: ٧٦
[7] الرعد: ٢٦
[8] النحل: ٢٣

ومن الذين لا يحبهم الله هم المستكبرون الذين يتكبرون عن عبادة الله وعن آيات الله واستكبروا في الارض وعلى المؤمنين قال تعالى ﴿ اسْتِكْبَارًا فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ۚ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلا بِأَهْلِهِ [1] وقال (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلا ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾[2]

الخائنون: قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الخَائِنِينَ﴾ [3]

والخائن بعيد كل البعد عن الله لأنه لم يصن الامانة التي تحملها فلا ريب انه واقع في زمرة المبغوضين قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[4]

ومن أعظم الخيانات كتمان الحق وخذلانه والقول بخلافه من اجل متاع الدنيا الزائل كما فعل اهل الكتاب عندما كتموا ما مكتوب عندهم من نبوة خاتم الرسل واوصافه ونعوته.

---

[1] فاطر: ٤٣

[2] الأعراف: ١٤٦

[3] سورة الأنفال: ٥٨

[4] الأنفال: ٢٧



الوقفة الرابعة: افتراءات واكاذيب المضللين

وفيها ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الافتراءات المضللة الموجهة إلى نوح عليه السلام

المطلب الثاني: الاتهامات المضللة الموجهة الى موسى عليه السلام

المطلب الثالث: التهم والافتراءات على نبينا(ص)

افتراءات واكاذيب المضللين

تناول القرآن الكريم الكثير من قصص وأحاديث الأمم السالفة وذكر أقوالهم وجدالهم ومواقفهم مع الأنبياء والصالحين وافترائهم عليهم.

ومن ثمرات قصص أنباء الرسل وأخبارهم وما جرى عليهم من أحداث ومواقف هي لتثبيت الفؤاد على الحق قال عز وجل مسلياً لنبيه ومصبّراً عليه ﴿ وَكُلا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]

اذن فان سرد هذه الاحداث والقصص لها الكثير من المنافع والفوائد والعبر ينبغي على اولي الالباب استغلالها واستثمارها في مواجهة التحديات والمؤامرات ومجابهة الصعوبات وعلى جميع المستويات قال تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَينَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[2].

فمن الأشياء التي يجب الوقوف عليها بإمعان، والتدقيق فيها بإتقان هي طرق وأساليب التضليل التي مارسها اعداء الاسلام على مر التاريخ والتي ساهمت بتغرير أقوامهم وخداعهم من خلال الافتراءات والأكاذيب لثنيهم عن الإيمان.

فقد تعرض الأنبياء الى شتى النعوت والصفات السيئة كالجنون والكذب والكهانة والسحر والافتراء والشعر وغير ذلك من النعوت التي يتنزه عنها جميع الأنبياء.

وهناك تهم مضللة واشاعات مزيفة يثقف عليها أهل الباطل لإبطال دعوة الأنبياء والمصلحين وإبعاد الناس عن الحق.

---

[1] هود: ١٢٠

[2] يوسف: ١١١

وهذه الأساليب ما زال أعداء الاسلام يمارسونها بأشكال مختلفة لتضليل الناس وخداعهم وتثبيط عزائمهم واضعاف إيمانهم وابعادهم عن الدين وتعاليمه القيمة قال تعالى ﴿ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُونَ﴾[1]

وفي هذا المقام نذكر بعض الأكاذيب والافتراءات المضللة التي وُجهت إلى الأنبياء من قومهم لإشاعة التهم المغرضة والمقصودة بحقهم حتى يتمكنوا من إفشال رسالتهم ودعوتهم وحجب الناس عنهم.

المطلب الأول: الافتراءات المضللة الموجهة إلى نوح

طالب زعامة ورئاسة

من الافتراءات المضللة التي وُجهّت الى نوح عليه السلام انه طالبُ زعامة ورئاسة وملك قال تعالى ﴿ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَنزَلَ مَلائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ﴾[2].

ان نوحا (عليه السلام) اتهمه الملأ الذين كفروا من قومه بانه اراد من دعوته الى التوحيد ونبذ الآلهة الأخرى ان يتفضل عليكم وينال السلطة والملك.

والملأ هم علية القوم الذين لهم الوجاهة والمكانة ولديهم مصالح كثيرة من ابقاء قومهم على الكفر والجهل ويخشون من سحب البساط من تحت اقدامهم وانفضاض الناس من حولهم.

إذن فلكي يقنعوا الناس بهذه المقولة الباطلة والمضلّة ويدافعوا عن مصالحهم ذكروا ثلاثة اقاويل ردا على دعوة نوح فقالوا: إن نوحا لا يختلف عنكم في شيء فهو بشر مثلكم وانه يسعى للزعامة عن طريق دعوته إلى الله، ولو شاء الله لأنزل ملائكة، ولم نسمع بهذه الدعوة في ابائنا الأولين.

---

[1] سورة المؤمنون: ٨١

[2] المؤمنون: ٢٤

فمن الحجج الواهية والتي تكررت على ألسنة الكافرين لدحض دعوة الأنبياء بأنهم قالوا لقومهم بان هؤلاء الذين يدعون النبوة انهم بشر مثلكم فلا فضل لهم عليكم قال تعالى (مَا هَذَا إِلا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾[1]وقال تعالى ﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لخَاسِرُونَ﴾[2] وقوله تعالى﴿ مَا أَنتَ إِلا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [3] وقوله ﴿ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ[[4] وقال ﴿ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ[5]

صحيح ان الأنبياء بشر مثلهم ولكن الله تعالى يصطفي من يشاء من عباده ولذا لم ينكر القرآن عليهم هذه الدعوة من جهة انهم بشر مثلهم لكنهم أرادوا من هذه الشبهة اضلال الناس وتسخيف عقولهم وثنيهم عن دعوة الأنبياء قال تعالى ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ يمُنُّ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلا بِإِذْنِ اللّهِ ۚ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[6] وقال تعالى ﴿ قُلْ إِنمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ ﴾[7].

المطلب الثاني: الاتهامات المضللة الموجهة الى موسى

ولم يكن نبي الله نوح عليه السلام وحده الذي اُفتري عليه، بانه طالبُ سلطة وحكومة فقد افتري ايضا على موسى وهارون من قِبل فرعون وقومه قال

---

(1) المؤمنون: ٣٣
(2) المؤمنون: ٣٤
(3) الشعراء: ١٥٤
(4) هود: ٢٧
(5) المؤمنون: ٤٧
(6) **إبراهيم: ١١**
(7) الكهف: ١١٠

تعالى ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ [1]

فإذن من الافتراءات التي تعرض لها موسى وهارون عليهما السلام من فرعون وملأه حيث أشاعوا بين أوساط الناس بأن موسى وهارون لم يأتيا لنفعكم وهدايتكم انما ليخرجاكم من أرضكم وملككم بسحرهما حتى يكونا لهما الكبرياء والسلطة والملك ويذهبا بخيركم ونعمتكم ويعيشكم الرغيد قال تعالى{ قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى [2]

ان الاشاعات المضللة كانت وما زال يستعملها الطغاة في مواجهة المصلحين الذين يثورون ضد الظلم والفساد وتحرير الناس من الفقر والجهل والاضطهاد.

فلذا يواجهون على اثر ذلك من المنتفعين والمتسلطين بث الأكاذيب المضللة ضدهم وتسخيف اهدافهم وتقليل شأنهم والافتراء عليهم والتثقيف ضدهم وتصفيتهم او تنكيل بهم وحبسهم او إخراجهم من أرضهم وسلب هويتهم .

وهكذا تترى التهم الباطلة واحدة تلوى الاخرى لإفشال مساعي موسى لإنقاذ الناس من هيمنة فرعون وفي هذه المرحلة أدعى فرعون بأنه يخشى ان يبدل موسى على الناس دينهم وينشر في الأرض الفساد قال تعالى﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [3]

وهذه الاتهامات الباطلة المضللة التي تعرّض لها موسى عليه السلام من فرعون لكي يفشل دعوته ورسالته ويجد المبررات لقتل موسى وازاحته من مشهد

---

[1] يونس: ٧٨
[2] طه: ٦٣
[3] غافر: ٢٦

المعارضة والاصلاح والتغيير ولكي يبقى فرعون والمنتفعون على رقاب الناس وينشرون الفساد ويسحقون الطبقة الفقيرة قال تعالى﴿ وَقَالَ المَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾[1]

ولم يكتف فرعون بإلقاء التهم بحق موسى وهارون بل اتهم السحرة حينما آمنوا بموسى، فلكي يدارك الأمور بعد هذه الهزيمة المدوية ويغطي على فضيحته وكذبه اخذ يتهم السحرة بالمكر وانهم قد تعلموا على يد موسى السحر وأنهم يسعون لإخراج اهلها من المدينة وتمكين موسى منها قال تعالى﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [2]وقال ﴿ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ [3]

المطلب الثالث: التهم والافتراءات على نبينا(ص)

وقد واجه النبي (صلى الله عليه وآله) العديد من التهم والشبهات الباطلة والاشكالات السخيفة من قومه في سبيل وأد رسالته وإفشال دعوته واطفاء نور الله المبارك بأفواههم الكاذبة قال تعالى ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[4]

فلما جاءهم بالقرآن المبين وعجزوا ان يردوه او يجارّوه قالوا ان هذه الاقاويل من إفكه وافترائه وقد استعان بغيره لكتابتها وانها اساطير الاولين وتملى عليه وانه معلم مجنون قال تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ

[1] سورة الأعراف: ١٢٧
[2] سورة الأعراف: ١٢٣
[3] طه: ٧١
[4] الصف: ٨

عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾[٤] وقال﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصيلا﴾[١]وقال ﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ [٢]

الصد عن الإباء

ومن التهم والاكاذيب التي أشاعها قومه من الذين كفروا على النبي (صلى الله عليه واله) انه يريد ان يصدكم عما كان يعبد اسلافكم قال تعالى ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلا إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [٣]

هذه التهمة هي نفسها التي واجهها موسى من فرعون وملأه حينما قالوا لقومهم قال تعالى﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾[٤] وقال ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ﴾[٥].

وغير ذلك من الافتراءات التي وجهت الى الأنبياء لأجل إفشال دعوتهم وناهيك عن الاقتراحات والسخرية والاشكالات.

فالغرض من هذا الموضوع القرآني المهم ان تكون الأمة على حذر ووعي من المؤامرات والافتراءات والشائعات التي تحاك ضد المصلحين لأجل صد الناس عنهم وإفشال اهدافهم النبيلة.

---

[١] سورة الفرقان: ٥
[٢] سورة الدخان: ١٤
[٣] سبأ: ٤٣
[٤] يونس: ٧٨
[٥] غافر: ٢٦



الوقفة الخامسة: النهي من الاقتراب عن المنهي عنه

النهي من الاقتراب عن المنهي عنه

من الآيات التي ورد النهي من الاقتراب عن المنهي عنها قوله تعالى (وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ) [1] وقوله سبحانه(وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَا ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلا) [2] وقوله تعالى﴿ وَلا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ).[3]

ان النهي من الاقتراب من هذه الموارد وغيرها المذكورة في القران وضرورة الابتعاد عن مداخلها وأسبابها ودواعيها انما خشية التأثر والاغترار بها وبالتالي السقوط والوقوع فيها ولذا روي في الحديث (من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيها).

وقد نهى القرآن آدم وزوجه من الاقتراب من الشجرة المنهي عنها مخافة الأكل منها، مما يستلزم الخروج من الجنة والوقوع في الشقاء قال تعالى ﴿وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ [4] وقوله تعالى (فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الجَنَّةِ فَتَشْقَى). [5]

لذا ينبغي عدم الاقتراب من النواهي والحدود المنهي عنها مهما ظن الفرد انه يتمتع بالحصانة والوقاية منها مخافة من الانزلاق في وحل الفواحش ومستنقع المنكرات ومغريات الدنيا المختلفة فيظلم نفسه قال تعالى (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا} [6] وقال (وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ).[7].

---

[1] الانعام:٥١
[2] الاسراء: ٣٢
[3] الانعام:٥٢
[4] البقرة: ٣٥
[5] طه: ١١٧
[6] البقرة: ١٨٧
[7] الطلاق: ١

وفي قصة بلعم بن باعوراء عبرة لمن اعتبر فقد أتاه الله الآيات لكنه انسلخ منها بسبب حب الدنيا واتباع الهوى قال تعالى (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِين). [1]

فالعبد كلما كان بعيدا عن مخاطر ومزالق النواهي ولا يقترب منها ولا من حدودها كان في وقاية وتقوى مستدامة وفي حصن وورع لان في النواهي مفاسد جمة ومتنوعة لا تخفى على اللبيب وفي ارتكابها يفتح المرء على نفسه وابلا من المخاطر والأضرار، فخير سبيل النأي عنها وعدم الاقتراب منها ولو بخطوة لان الخطوة تتبعها خطوات ثم السقوط في الفواحش والمنكرات قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ . [2] .

وان لزوم عدم الاقتراب من النواهي ووجوب التوقف والتثبت عندها لا يقتصر عليها بل يتعداها الى لزوم التورع والتثبت عند الشبهات والمسائل المريبة وعدم الاقتحام فيها مخافة الانقياد الى المحرمات والمسائل والأفكار المنحرفة فقد روي أمير المؤمنين علي (عليه السلام): إياك والوقوع في الشبهات، والولوع بالشهوات، فإنهما يقتادانك إلى الوقوع في الحرام وركوب كثير من الآثام. [3]

وروي عن الامام الصادق عليه السلام (وَإِنمَا أَلأُمُورُ ثَلاَثَةٌ أَمْرٌ بَينٌ رُشْدُهُ فَيُتَّبَعُ وَ أَمْرٌ بَينٌ غَيُّهُ فَيُجْتَنَبُ وَ أَمْرٌ مُشْكِلٌ يُرَدُّ عِلْمُهُ إِلَى أَللهِ وَإِلَى رَسُولِه قالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَلاَلٌ بَينٌ وَحَرَامٌ بَينٌ وَشُبُهَاتٌ بَينَ ذَلكَ فَمَنْ تَرَكَ اَلشُّبُهَاتِ نجَا مِنَ اَلمحَرّمَاتِ وَمَنْ أَخَذ بِالشُّبُهَاتِ اِرْتَكَب اَلمحَرّمَاتِ وَهَلَكَ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُ. [4]

---

[1] الأعراف: ١٧٥
[2] النور: ٢١
[3] ميزان الحكمة: ج٢ص ١٤٠٥
[4] نفس المصدر

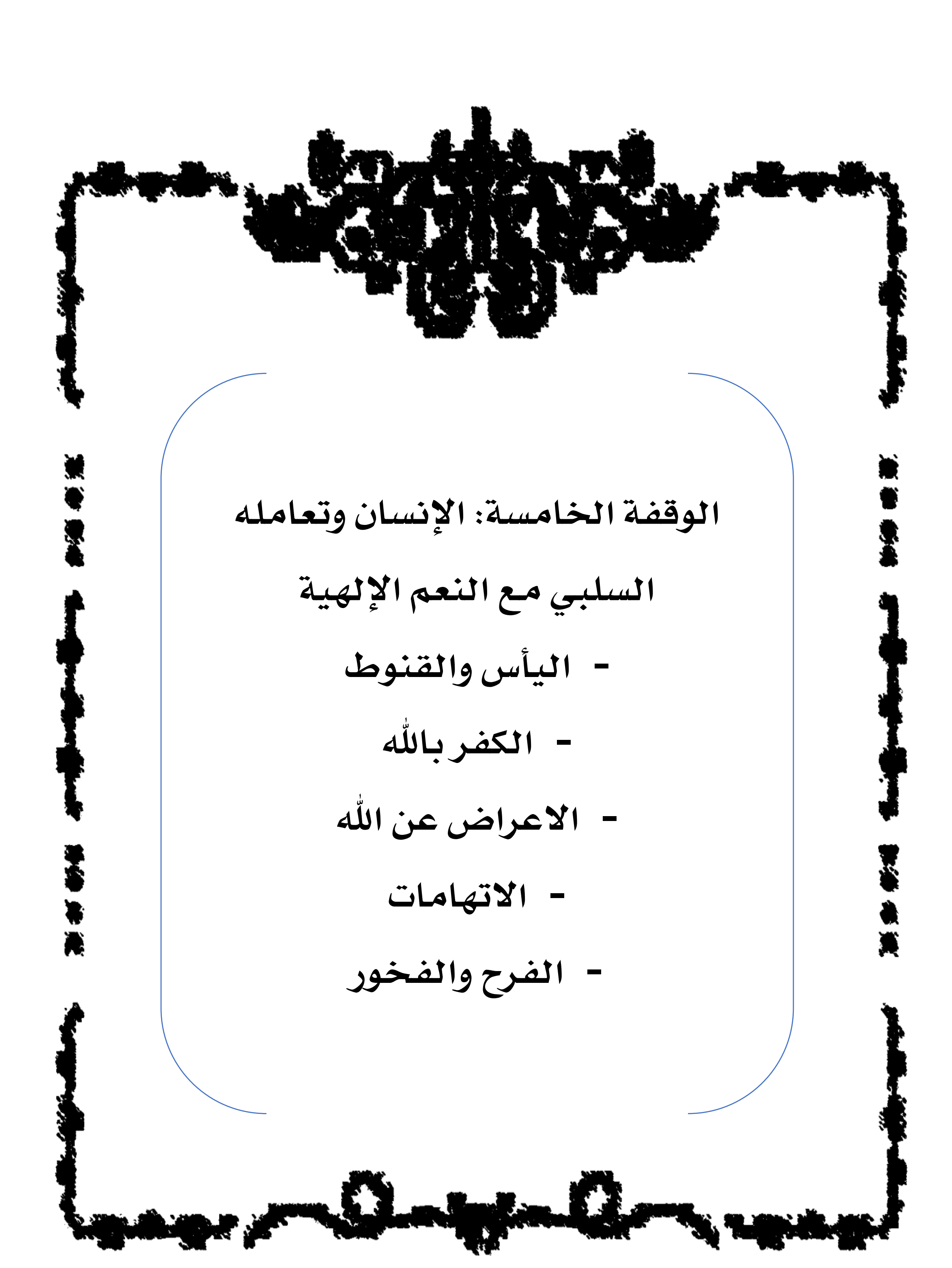
بينما نجد القرآن الكريم في أعمال البرّ والخيرات لا يكتفي بالأمر والاتيان بها بل يحث ويأمر المؤمنين بالمسابقة والمسارعة إليها قال تعالى (وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ)[1] وقال سبحانه (يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالحِينَ) [2]وقال (وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللّٰهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ .[3]

ومن الواضح أن في الخيرات مصالح كثيرة وفوائد عظيمة وعلى جميع المستويات الدينية وفي شتى مجالات الحياة الاجتماعية.

وان في المسابقة والمسارعة في الخيرات هو سباق الى الجنة والرضوان قال تعالى﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهِ)[4] وقال سبحانه(وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [5] .

---

[1] البقرة: ١٤٨
[2] آل عمران: ١١٤
[3] فاطر:٣٢
[4] الحديد: ٢١
[5] آل عمران: ١٣٣



الوقفة الخامسة: الإنسان وتعامله السلبي مع النعم الإلهية

- اليأس والقنوط
- الكفر بالله
- الاعراض عن الله
- الاتهامات
- الفرح والفخور

الإنسان وتعامله السلبي مع النعم الالهية

ذكرت جملة من الآيات القرآنية كفر الإنسان لأنعم الله او تجاهلها او تسخيرها في معصية الله ومحاربة أوليائه او يصاب بالغرور والاعجاب بالنفس وغير ذلك من الكفران وسوء الأدب مع الرحمن.

وقبل ان نستعرض شطرا من الآيات التي توضح صلافة الإنسان وسوء أدبه مع ربه المنان هناك التفاتة جديرة بالذكر والاهتمام.

عندما يذكر القرآن الكريم الإنسان في مورد الذم والقدح لا يعني الشمولية والعموم فقد ورد الكثير من هذا النظير في آيات الذكر الحكيم كقوله تعالى ﴿ قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ [1] وهذا دعاء من رب المتعال على الإنسان بسبب كفره ولكن ليس مطلق الانسان انما على طبعه الذي يميل الى الكفر واللجاج وقوله تعالى ﴿ كَلا إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى﴾ [2] ﴿ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾[3]

فليس كل إنسان يطغى إذا ما استغنى فمن المؤمنين من يشكر ويخشى انما الآية في صدد ذكر حالة الانسان في طغيانه عند الغنى. وقوله تعالى ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُورًا﴾[4]

والقتور هو الممسك والبخيل في الإنفاق فليس كل انسان واقعا هو بخيل فقد اثنى القران على اهل الانفاق وايثارهم مع شدة فقرهم قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[5]

---

[1] سورة عبس: ١٧
[2] سورة العلق: ٦
[3] سورة العلق: ٧
[4] الإسراء: ١٠٠
[5] الحشر: ٩

وغير ذلك من الآيات الكثيرة في ذم ونقد الإنسان والكلام نفس الكلام والجواب نفس الجواب فلا حاجة الى الاطالة والاسهاب إنما هذه عينة لأولي الالباب.

اذن فالقران يريد ان يبين حقيقة الإنسان بأنه يصدر منه الخطايا والعصيان لكي يكون على دراية وحذر قبل وقوعه في خطر من زوال النعمة او نزول النقمة فلن ينفعه حينئذ المكر والمفر.

او انه ذكر الكل واراد بذلك الاغلبية لان القرآن قد ذم الاكثرية قال تعالى ﴿ لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾[1] وقال (إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾ [2] وقال ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ﴾[3]وقال (وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾[4] وقد مدح الأقلية فقال تعالى (وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[5]

فذكر الاكثرية في الذم ومدح الاقلية دليل على ما قلنا بأن ذكر الناس والانسان لا يراد العموم.

وان الحمل على شمولية فهم خاطئ ومنكر ومخالف لما ذكر في القرآن في مدح من شكر وزيادة له في الفضل والاجر قال تعالى ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[6]

وقد ذكر القرآن شكر من شكر وفي ذلك حجة لمن انكر وعبرة لمن اعتبر قال تعالى في نوح عليه السلام ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا

---

[1] الزخرف: ٧٨
[2] البقرة: ٢٤٣
[3] غافر: ٥٩
[4] سورة المائدة: ٤٩
[5] سبأ: ١٣
[6] سورة إبراهيم: ٧

شَكُورًا﴾[1] وقال في نبي الله ابراهيم عليه السلام ﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2]

وفي نفس الوقت ان القرآن أمر بالشكر تجنبا للكفر واعترافا بالإحسان والفضل وقرارا بالضعف والفقر وتعليما وتأديبا للبشر فقال تعالى ﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾[3]وقال (اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا) [4] وقال ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [5]

بعد هذه الديباجة الجميلة من آيات الذكر نستعرض طرفا من الآيات التي ذمت الكفور بالنعم والمغرور بالكرم والمفتون بالستر لعلها تكون موعظة لمن عقل وأبصر.

قال تعالى ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾[6]

ان تعبير الآية بإذاقة الناس رحمة هو تعبير في غاية الدقة والجمالية وذلك بان الله اذاقاهم الرحمة وشعروا بها ولمسوها ونالوا ثمارها وآثارها وبركاتها حتى يشكروها ولا يكفروها وتكون حجة عليهم.

والفرح بنعم الله وفضله ليس مذموما بحد ذاته كالفرح بالنصر والايمان وهداية الاسلام قال تعالى ﴿ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [٤] ﴿ بِنَصْرِ اللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[7] وقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ

---

[1] سورة الإسراء: ٣
[2] سورة النحل: ١٢١
[3] الزمر: ٦٦
[4] سبأ: ١٣
[5] البقرة: ١٥٢
[6] الروم: ٣٦
[7] الروم: ٥

لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[٥٧] وقال ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[١] وقال عزوجل ﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ) [٢]

لكن المهم ان خلوص الفرح من الآفات والأمراض كالإعجاب والإعراض والاعتماد على الذات والجحود بالآيات كقوله تعالى في قارون(إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾[٣] وقوله تعالى في الكفار ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا) [٤] وقوله تعالى ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾[٥] وقوله تعالى (وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ [٦] والسبب في ذم القرآن لهم أنهم كانوا عند نزول الرحمة عليهم يفرحون لكنهم اذا ما أصابتهم مصيبة من صنع ايديهم تغيرت نفوسهم وقلوبهم الى حالة الاعراض واليأس، وكان الأرجى والاحجى ان يراجع هؤلاء أنفسهم ويتوبوا الى ربهم ويستغفرونه بما بدر منهم من التقصير والادبار.

والقرآن الكريم يذكر نماذج متعددة وامثلة مختلفة عن أحوال الناس تجاه تعاملهم السلبي مع النعم المفاضة عليهم وإليك جملة منها:

---

[١] يونس: ٥٨
[٢] سورة الرعد: ٣٦
[٣] القصص: ٧٦
[٤] آل عمران: ١٢٠
[٥] التوبة: ٨١
[٦]الرعد: ٢٦

نماذج من التعامل السلبي تجاه نعم الله

اليأس والقنوط:

قال تعالى ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾[1]

بعض الناس يعبدون الله على حرف فما ان تعصف بهم بعض المشاكل والمصائب من صنع أيديهم فاذا يخيم عليهم ظلام اليأس ومرض القنوط وينقلبون على ادبارهم ويلقون باللائمة والتهم على الله والإسلام قال تعالى ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلا الضَّالُّونَ﴾ [2]

وكان الحري بهم ان يراجعوا أنفسهم ويطهروها من الآفات ويتوبوا الى ربهم من المعاصي والموبقات لا ان يدب اليأس في قلوبهم مهما ارتكبوا من الذنوب وتسببت في تغيير احوالهم وظروفهم.

الكفر بالله:

قال تعالى ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ﴾[3]

هكذا يصاب البعض باليأس اذا انتزعت منهم النعم، لانهم لا يعون بان النعم الإلهية تعطى وتنتزع لأغراض وحكم كثيرة فعلى الانسان ان يشكر الله ولا يطغى ويتحلى بالصبر حتى يخرج ظافرا عند البلاء .

الاعراض عن الله:

قال تعالى ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلا الْبَلاغُ ۗ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ

---

[1] الروم: ٣٦
[2] الحجر: ٥٦
[3] الروم: ٣٦
[4] هود: ٩

أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الإِنسَانَ كَفُورٌ﴾[1] وقال ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾[2]

المكر في آيات الله:

قال سبحانه ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا ۚ قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ [3]

تشير إلى التوجيهات الخاطئة وطرق التهرب التي يفكر بها المشركون عند مواجهة الآيات الإلهية، وظهور أنواع البلايا والنعم . [4]

البعد عن الله:

قال تعالى ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾[5]

نعم يصاب الكثير بشتى الامراض القلبية كالغرور والبخل والانانية بسبب ما يرون من النعم الإلهية واقبال الدنيا عليهم، بينما اذا أصابهم الشر غلبهم اليأس والقنوط وكان الحري بهم ان يلجؤوا الى ربهم ويلوذوا به عند الشدائد والمحن.

الاتهامات: قال تعالى ﴿ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾[6]

بهذه الصلافة والوقاحة يتهم الكثير من الناس بلسان المقال او الحال رب العباد بانه قد اهانهم وذلهم عندما يضيق عليهم الرزق.

---

[1] الشورى: ٤٨
[2] فصلت: ٥١
[3] سورة يونس: ٢١
[4] تفسير الأمثل: ج ٦ ص ٣٣٢
[5] الإسراء: ٨٣
[6] الفجر: ١٦

انما يزوى عنهم الرزق رحمة بهم لما فيه خير وإصلاح لهم كخشية الطغيان وعبادة المال والشيطان.

الفرح والفخور:

قال تعالى ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي ۚ إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾(١)

ومن اخلاقيات البعض انهم لا يشكرون النعمة ويصابون بالفرح والفخر والاعجاب بالنفس حينما تذهب السيئات عنهم وكان الحري بهم ان يتواضعوا لله ويشكروا ولا يكفروا.

فان سرد هذه الأخلاقيات السيئة وذم ذويها وبيان ما تنطوي عليه نفوسهم لتتجب افعالهم واخلاقهم من خلال شكر المنعم والصبر على الفتن إذا ما قدر عل العبد الرزق وحتى يحافظ على ديمومة النعمة وزيادتها ويكون مرضيا عند ربه.

اما بخلاف ذلك سيذوق الناس العذاب وتتبدل النعم بالنقم والرخاء بالبلاء واليسر بالعسر لان هذا قانون الهي لا يقبل التبديل والتغيير يقول تعالى ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾[٨] ﴿ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾(٢) وقال عزوجل﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الجُوعِ وَالخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (٣)

---

(١) هود: ١٠
(٢) سورة الطلاق: ٩
(٣) هود: ١٠



الوقفة السادسة

الاعتزاز بغير الله ذل وصغار

الاعتزاز بغير الله ذل وصغار

قال تعالى (وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ([1]))

هذه الآية الكريمة تبين قول السحرة الذين اعتزوا بعزة فرعون بغية الغلبة على نبي الله موسى عليه السلام ظنا منهم أن اللجوء لهذه العزة السرابية تنزل عليهم النصر والغلبة وتقربهم عند فرعون قال تعالى(فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ).[2] لكن سرعان ما تلاشت هذه الأمنيات وتبخرت في مهب الريح لما علموا ان ما جاء به موسى عليه السلام من ربه هو الحق وان العزة مع الله وان الذل مع غيره (إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا). [3]

وان عزة فرعون عبارة عن هالة من الأوهام والخيالات المصطنعة قد اصطنعها فرعون لكي يعلو في الارض ويفسد فيها ويستخف بعقول قومه قال تعالى (﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾[٢٤] ﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى﴾[4] وقال تعالى﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [5]

ومن اللطيف والملفت ان عزة فرعون الزائفة التي التجأ إليها السحرة أعقبتهم خسارة وصغارا ﴿ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾ [6] أي اذلاء.

فمن يعتز بغير عزة الله كالاعتزاز بالظلمة والطغاة لدرّ المنافع ودرء المضار او ابتغاء العزة عندهم فانه يذل ويهان ويكون من الخاسرين في الدارين قال تعالى(إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) [7] اي

---

[1] الشعراء: ٤٤
[2] الشعراء: ٤١
[3] يوسف: ٦٥
[4] النازعات: ٢٥
[5] الزخرف: ٥٤
[6] سورة الأعراف: ١١٩
[7] غافر: ٦٠

صاغرين وقال ﴿ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ للّٰه جَمِيعًا﴾ [1] وقال تعالى(يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾[2]

بينما الاعتزاز بالله يعقب الكرامة والمنعة لأنها عزة لا تقهر، وقدرة لا تغلب، وتحمي من يلوذ بها، وتعز من يعتز بها قال تعالى (مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزّةَ فَلِلّهِ الْعِزّةُ جَمِيعاً) [3] وفي الدعاء(يَا مَنْ خَصَّ نَفْسَهُ بِالْسُّمُوِّ وَالرِّفْعَة، فَأَوْلِيَآئُهُ بِعِزِّهِ يَعْتَزُّونَ، يَا مَنْ جَعَلَتْ لَهُ الْمُلُوكُ نِيرَ الْمَذَلَّةِ عَلى اَعْنَاقِهِمْ، فَهُمْ مِنْ سَطَوَاتِهِ خَائِفُونَ).

والعزة بالله عز وجل تزيد قلب العبد إيماناً واطمئناناً وثباتاً على الدين القويم ، وتجعله لا يعبأ بالوعيد ولا يتزلزل بالعذاب الشديد، ولا يؤثر طاعة الشيطان على طاعة الرحمن ولا يبيع اخرته بلذة زائلة وحياة فانية مهما كانت المغريات او واجه الكثير من الصعوبات والتحديات قال تعالى {قالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنا أَشَدُّ عَذاباً وَأَبْقى (٧١) قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنمَا تَقْضِي هَذِهِ الحَيَاةَ الدُّنْيَا [4]

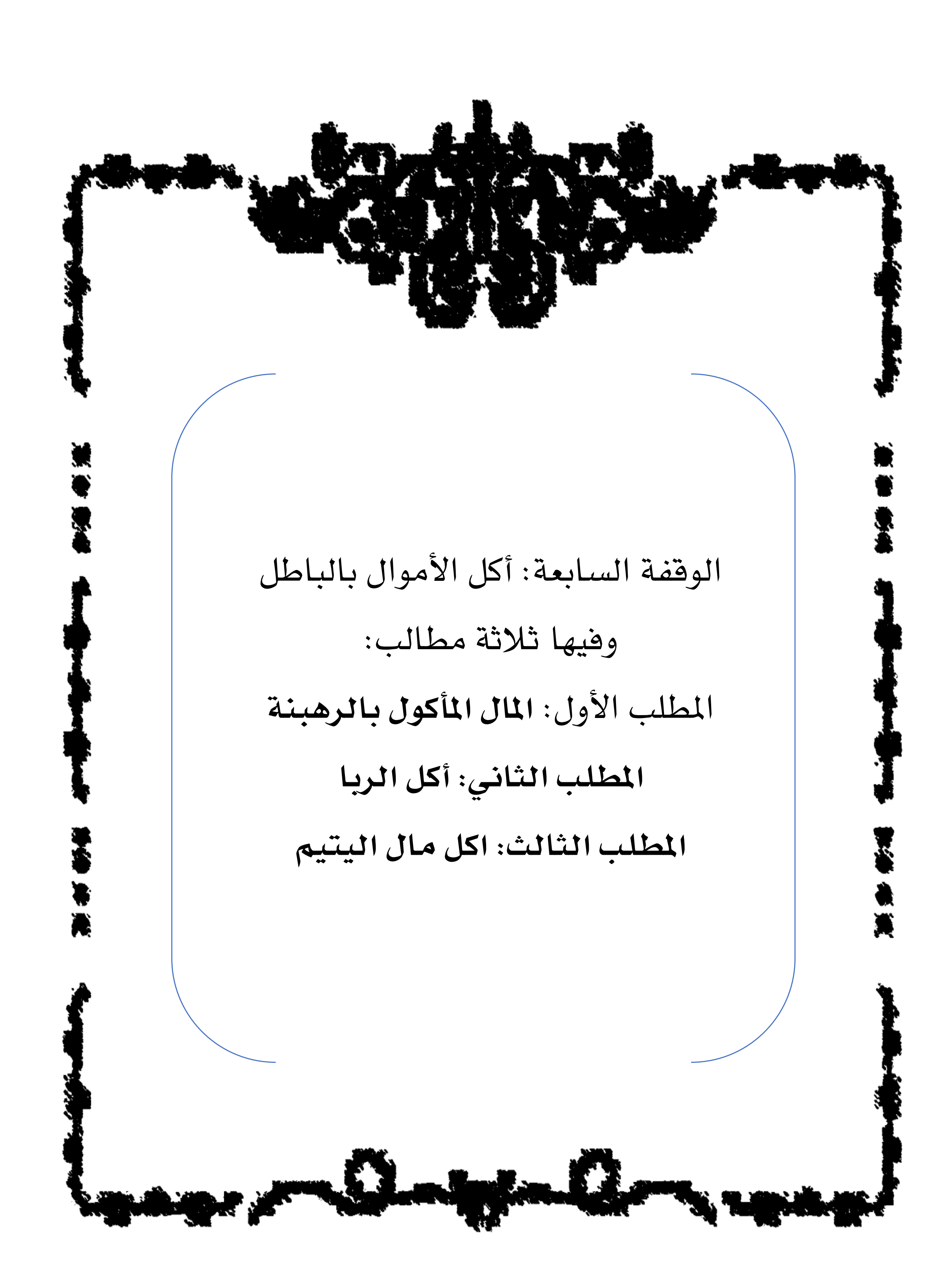
روي عن الإمام الحسن عليه السلام- وقَد قيلَ لَهُ عليه السلام: فيكَ عَظَمَةٌ! : لا بَل فِيَّ عِزَّةٌ ، قالَ اللّهُ تَعالى : (وللّهِ العِزَّةُ ولِرَسولِهِ ولِلمُؤمِنينَ) .[5] وروي

---

[1] النساء: ١٣٩
[2] سورة المنافقون: ٨
[3] فاطر: ١٠
[4] طه: ٧٢
[5] بحار الانوار: ج٧٥ص١٠٥

عن الإمام الباقر عليه السلام: إنَّ اللّهَ تَبارَكَ وتَعالى أعطَى المُؤمنَ ثَلاثَ خِصالٍ: العِزَّ في الدّنيا والآخرَةِ، والفَلَجَ في الدّنيا والآخرَة، والمَهابَةَ في صُدورِ الظّالمينَ.[1] وروي عن الإمام الصّادق عليه السلام: إنَّ اللّهَ فَوَّضَ إلَى المُؤمنِ اُمورَهُ كُلَّها، ولَم يُفَوِّضْ إلَيهِ أن يَكونَ ذَليلاً، أمَا تَسمَعُ اللّهَ تَعالى يَقولُ : (ولِلّه العِزَّةُ...)؟! فالمُؤمِنُ يَكونُ عَزيزاً ولا يَكونُ ذَليلاً، إنَّ المُؤمِنَ أعَزُّ مِنَ الجَبَلِ؛ لأنَّ الجَبَلَ يُستَقَلُّ مِنهُ بِالمَعاوِلِ، والمُؤمِنُ لا يُستَقَلُّ مِن دينِه بِشَيء.[2]

[1] ميزان الحكمة: ج ٣ص ١٩٥٧
[2] ميزان الحكمة: ج ٣ص ١٩٥٧



الوقفة السابعة: أكل الأموال بالباطل

وفيها ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: **المال المأكول بالرهبنة**

المطلب الثاني: أكل الربا

المطلب الثالث: اكل مال اليتيم

أكل الأموال بالباطل

ان مصاديق اكل الأموال بالباطل تكاد لا تحصى موارده وسبله لذا نقتصر بما ورد في القران حتى لا نسهب الكلام.

فقد وردت آيات كثيرة تنهى عن أكل الأموال بالباطل بمعنى ان المستولي والآكل لهذه الأموال لا يستحقها وخارجة عن ملكيته شرعا وإن وضع يده عليها واعتبرها من ماله، فالادعاء لا يجعل الحرام حلالا والباطل حقاً ومن الآيات قول تعالى ﴿ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾[1] وقوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾[2]

فهذا نهي واضح وصريح بحرمة اكل اموال الناس بالباطل بصورة عامة أما المصاديق كما أسلفنا فهي كثيرة التي يصدق عليها من أكل الأموال بالباطل كالأكل عن طريق الرهبنة والشعوذة والغش في التجارة والتطفيف في الميزان وأكل مال الايتام والربا وغير ذلك.

ونحاول ان نذكر جملة من الموارد المحرمة في أكل مال الناس بالباطل التي نهى الله تعالى عن أكلها وتوعد آكلها بالعقاب.

امثلة من موارد المحرمة

المطلب الأول: المال المأكول بالرهبنة:

قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّه﴾[3].

وكان الربانيون والاحبار يرون قومهم يأكلون السحت لكنهم لا يحركون ساكنا لانهم على نفس المنهج في اكل الاموال بالباطل لكن بطرق مختلفة قال تعالى عنهم﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ

---

[1] البقرة: ١٨٨

[2] سورة النساء: ٢٩

[3] التوبة: ٣٤

مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٦٢] ﴿ لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾(١)

المطلب الثاني: أكل الربا:

الربا هو الزيادة وهو قسمان: الأوّل: ما يكون في المعاملة. الثاني: ما يكون في القرض وهو محرم شرعا لأثاره الخطيرة على الأفراد والمجتمع حيث تتكدس الأموال لدى الطبقة الغنية ويتم استغلال الطبقة الفقيرة، وينعدم التعاون والإحسان وتنشأ الأحقاد وروح الانتقام في المجتمع.

وكان الربا منهيا عنه في الشرائع السابقة قال تعالى ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾[١٦٠] وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٢)

ولما بزغ نور الاسلام تصدى لهذه الآفة الخطيرة قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٣) وقال ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(٤)

وقد كان المرابون يدعون كذبا بأن الربا يساوق البيع فلا حرمة في تعاطيه في معاملتهم حتى يبرروا لأنفسهم أكل اموال الناس بالباطل فردّ القران ادعائهم وكشف زيفهم وتوعدهم بالنار اذا لم ينتهوا قال تعالى﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ۗ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۚ فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ

(١) سورة المائدة: ٦٣
(٢) النساء: ١٦١
(٣) آل عمران: ١٣٠
(٤) سورة البقرة: ٢٧٨

فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [1].

ووعد الله تعالى المرابين بان أموالهم التي كسبوها من الربا سوف يمحقها ولن يبارك فيها ولن تربوا وتزيد عند الله انما الصدقات هي التي تربو وتزكى وتضاعف عنده سبحانه قال تعالى﴿ يمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ۗ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾[[2]] وقال ﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِندَ اللهِ ۖ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ [3]

ومن يطلّع على أحوال وظروف المرابين سوف يتيقن بمصداقية القرآن في محق الربا حيث إن المرابين بمرور الوقت يفقدون أموالهم ويصابون بشتى البلايا بسبب أكلهم أموال الناس بالباطل.

ولا تزال هذه الافة منتشرة بشكل كبير وعجيب في البلاد الاسلامية فضلا عن غيرها وخاصة في البنوك الحكومية والاهلية حيث يتعامل بالربا بشكل طبيعي وقانوني غير مبالين بالنهي والوعيد والعقاب الأليم.

المطلب الثالث: اكل مال اليتيم:

ومن موارد أكل المال بالباطل هو أكل مال اليتيم بغير حق، وان من أكل مال اليتامى ظلما فقد اجترح اثما كبيرا قال عز وجل﴿ وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلا تَتَبَدَّلُوا الخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ۖ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾[4]

---

[1] البقرة: ٢٧٥
[2] البقرة: ٢٧٦
[3] سورة الروم: ٣٩
[4] النساء: ٢

والحوب الكبير هو الاثم العظيم الذي يتسبب الى العقاب الاليم الذي بينه قوله تعالى﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [1]

وقد اكدت آيات كثيرة على ضرورة الحفاظ على مال اليتامى حتى يبلغوا الرشد ثم تدفع اليهم أموالهم من دون نقيصة بل نهى القران من الاقتراب منها خشية الوقوع في محذور الاكل قال تعالى﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا[2] وقوله تعالى ﴿ وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۚ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولا﴾ [3] وقوله ﴿ وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾[4]

وقد اعتنت شرائع الاسلامية قبل البعثة النبوية وبعدها باليتامى وحثت على وجوب مداراتهم وإعانتهم والإنفاق عليهم وقد اخذ الله الميثاق على بني اسرائيل على الاحسان الى اليتامى ومن الآيات التي أشارت إلى ذلك قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ ..﴾[5] وقوله ﴿ مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾[6] وقوله ﴿ وَاعْلَمُوا أَنمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ

[1] النساء: ١٠
[2] النساء: ٦
[3] الإسراء: ٣٤
[4] الأنعام: ١٥٢
[5] البقرة: ٨٣
[6] سورة الحشر: ٧

الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الجَمْعَانِ ۗ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [1] وقوله سبحانه ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلا مَّعْرُوفًا﴾[2]

وقد نهى القران الكريم ان يُدّع ويزجر اليتيم او ان يقهر ولو بكلمة قاسية، وأُمر بالصلاح لهم في الخير في المعيشة والمعاشرة قال تعالى ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ﴾ [3] وقال تعالى ﴿ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾[4] وقال عزوجل (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى ۗ قُلْ إِصْلاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ)[5]

فكيف بمن قهر اليتيم بأكل ماله بغير حق فلا ريب أنه ارتكب حوبا كبيرا واجترح إثما عظيما واستحق بذلك عذابا اليما إلا أن يتوب قبل نزول الموت وارجاع الحق الى ذويه.

---

[1] سورة الأنفال: ٤١
[2] سورة النساء: ٨
[3] سورة الضحى: ٩
[4] سورة الماعون: ٢
[5] سورة البقرة: ٢٢



الوقفة الثامنة

جحود النعمة والاستئثار بالمال

جحود النعمة والاستئثار بالمال

قال تعالى (قَالَ إِنمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي) [1]

هذا جواب قارون المغرور بنفسه وماله لما نصحه بعض المؤمنين قال تعالى ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ ۖ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[2]

فأخذه التكبر وغرته ثروته وزبانيته ولم يعبأ بقولهم ولم يصغ لنصيحتهم حاله حال الكثير من المستكبرين في الأرض الذين لا يرون سوى أنفسهم ويظنون ان الدنيا وجمالها مستوسقة لهم وان ثروتهم تغنيهم اذا نزل القدر.

ومن الملفت ان قومه الذين اوعزوا ما عند قارون من الكنوز والاموال الى الله تعالى (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ) وليس الى ذات قارون وسلطانه الموهوم فقد كان قولهم يوافق قول الله تعالى عندما قال (وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ) هذا يكشف على ان القائلين له كانوا يتمتعون بوعي وايمان.

فالله تعالى هو الذي يعطي وهو الذي يمنع، ولا العطاء دليل الاستحقاق والرضا قال تعالى ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنمَا نمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾(٥٥)﴿ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الخَيْرَاتِ بَل لا يَشْعُرُونَ﴾[3].

ولا الحرمان والمنع دليل السخط قال تعالى(﴿ فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ (١٥)﴿ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾[4]

فالجميع في دائرة الفتنة والاختبار قال تعالى (وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[5].

---

[1] القصص: ٧٨
[2] القصص: ٧٧
[3] سورة المؤمنون: ٥٦
[4] سورة الفجر١٦
[5] الأنبياء: ٣٥

لكن قارون تجاهل النصيحة والموعظة ولم يعبأ بقولهم وأخذه الغرور والأنفة وتكبر على النعمة والمنعم واوعز كل ما يمتلك من الكنوز الى تدبيره وعلمه وحنكته فقال (قَالَ إِنمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي).

ان المال سلاح ذو حدين اما ان يقتل صاحبه ويذله رغم أنفه إذا ما طغى وبغى في الأرض بغير حق وأفسد فيها وجحد نعمة ربه، وأما ينجيه ويكرمه إذا ما شكر ربه وأنفق منه لأخرته.

ومن الملفت أن الإنسان يتمنى نيل المال الوفير والكثير قال تعالى ﴿ وَتحِبُّونَ المَالَ حُبًّا جَمًّا﴾[1]

ويدعو الله لاستمطاره عليه لكنه يُزوى عنه ولا يبسط له في الرزق انما ينزل عليه بقدر ما ينفعه رحمة به لكي لا يطغى في الأرض ويفسد فيها قال تعالى ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾[2] وقال سبحانه﴿ كَلا إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى﴾[٦] ﴿ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾[3]

وان استئثار قارون بمال الله الذي اتاه، والتفاخر به ولم ينفق منه في سبيل الله، هو كاشف عن عدم ايمانه بالأخرة ولذا نصحه المؤمنون لعله يتذكر او يخشى ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ)

ولذا خُصّ نعيم الاخرة بالذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا قال تعالى ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[4] وقال (إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ) [5]

---

[1] الفجر: ٢٠
[2] الشورى: ٢٧
[3] سورة العلق: ٧
[4] القصص: ٨٣
[5] القصص:٧٦

والبغي هو التجاوز لحدود الله والتعدي على حرماته ومن آثاره الاستئثار بالمال وسحق الطبقة الفقيرة وخمط حقوقهم وتجاهل معاناتهم وبالتالي يؤدي الى الفساد في الأرض.

وهو محرم في الشرائع لأنه ينافي تعاليم الاسلام الحنيف الذي يدعو الى التراحم والانصاف والانفاق وفي نفس الوقت حذّر من مغبة عاقبته (كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ) [1] وقال عزوجل(وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[2] وقال سبحانه(الَّذِي جَمَعَ مَالا وَعَدَّدَهُ﴾[3]

ومن ابتلاه الله بكثرة المال فلم يشكر بل جحد وبغى واوعز ذلك الى تدبيره وفطنته وتجارته وغير ذلك من الوسائل فإنه يصيبه ما أصاب قارون من الخسف والخسران والخذلان قال تعالى ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾[4] وقال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم ۖ مَّتَاعَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[5]

ان قارون لم يتعظ بمن كان قبله من الذين كانوا على شاكلته من الغنى والغرور والدعة وقد أخذهم الله اخذ عزيز مقتدر ولم يتخذهم عبرة حتى يخشى ولا يطغى لكنه خدعته الدنيا بمالها وجمالها قال تعالى(أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلا يُسْأَلُ عَن

---

[1] الحشر: ٧

[2] التوبة: ٣٤

[3] سورة الهمزة: ٢

[4] سورة القصص: ٨١

[5] يونس: ٢٣

ذُنُوبِهِمُ المجْرِمُونَ﴾ [١] يقول امير المؤمنين عليه السلام (وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً! أَيْنَ الْفَرَاعِنَةُ وَأَبْنَاءُ الْفَرَاعِنَةِ!
أَيْنَ أَصْحَابُ مَدَائِنِ الرَّسِّ الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيِّينَ، وَأَطْفَؤُوا سُنَنَ (سير) المُرْسَلِينَ، وَأَحْيَوْا سُنَنَ الجَبَّارِينَ! أَيْنَ الَّذِينَ سَارُوا بِالجُيُوشِ، وَهَزَمُوا بِالأُلُوفِ، وَعَسْكَرُوا الْعَسَاكِرَ، وَمَدَّنُوا المَدَائِنَ! [٢]

فاصبح قارون بعد ذلك عظة وعبرة لمن خلفه، يتمحص الشاكر لنعمة ربه من الكافر لها فتنال نعمة الشاكر زيادة وزكاة وبقاء ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ) [١]﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾[٢] اي ابقاها وحفظها وصانها بعد الغنى قال تعالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ.[٣] .

بينما تصبح نعمة الجاحد وبالا وحجة عليه ويتمنى بعد فواتها لو استغلها لدار الاخرة قال تعالى﴿ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾[٤] ويعضّ يديه ندما وحسرة ويتمنى لو اصغى لمن وعظه﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ) لكن هيهات هيهات قال تعالى﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾[٥]
ان بغي واستكبار قارون في الأرض الذي دلّ عليه قوله تعالى (وقارون وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾[٦] وقوله عز وجل(إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ)؟[٧]

---

[١] القصص:٧٨
[٢] شرح نهج البلاغة ابن ابي الحديد ج ١٠ص ٩٢
[٣] إبراهيم:٧
[٤] الفجر: ٢٤
[٥] المنافقون: ١٠
[٦] العنكبوت: ٣٩
[٧] القصص:٧٦

هو نظير وشبيه قول ابليس ونمرود وفرعون وغيرهم من الطغاة والمستكبرين الذين ادعوا لأنفسهم الكبرياء والعظمة بغير حق فقال ابليس اللعين ﴿ قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾[1] ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾[٧٥]﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[2] وقال نمرود (قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ... فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [3] وقال فرعون ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾[4] وقال ﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾[5].

فكان عاقبتهم الرجم واللعن والخذلان والهوان ويوم القيامة ينالون أشد العذاب.

ولهذا امرنا الله تعالى بلزوم السير في احوالهم والنظر في عاقبتهم حتى يكونوا لنا عبرة قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى) [6] وقال ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [7] وقال ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾[8]

---

[1] سورة الحجر: ٣٣
[2] ص: ٧٦
[3] البقرة: ٢٥٨
[4] سورة النازعات: ٢٤
[5] الشعراء: ٢٩
[6] يوسف ١١١
[7] الانعام: ١١
[8] سورة ص: ٣



الوقفة التاسعة: مفهوم احباط العمل وبطلانه في القرآن وفيها مطلب:

موجبات حبط الاعمال

- معصية الله ورسوله
- المن والاذى
- الارتداد عن الدي
- النفاق
- الشرك بالله
- الكفر بالله
- عدم التأدب عند حضرة النبي (ص)
- قتل الانبياء والآمرين بالقسط

مفهوم احباط العمل وبطلانه في القرآن

الإحباط هو البطلان وأحبط الله عمله أي أبطله.

إن مسألة حبط الأعمال من المسائل التي تناولها القرآن الكريم بشكل واضح وصريح في مناسبات عديدة ومختلفة.

وان نزول الآيات في مسألة الإحباط اما للتحذير او التهديد او تبين مآل الاعمال التي تؤول الى الاحباط والخسران بسبب أغراض ودواعي سيئة.

ونذكر في هذا العنوان جملة من المصاديق والامثلة التي ذكرها القران الكريم في حبط الأعمال حتى تكون ذكرى للذاكرين وموعظة للمتقين.

موجبات حبط الاعمال

معصية الله ورسوله:

وقد امر الله تعالى المؤمنين بوجوب إطاعته وإطاعة رسوله ونهاهم عن ابطال اعمالهم قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [1]

فكما ان ﴿إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبنَ السَّيِّئَاتِ﴾[2] كذلك توجد سيئات تبطل العمل الصالح وتجعله هباء منثورا.

المن والاذى:

قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالمَنِّ وَالأَذَى ﴾[3]

فالمن بالإحسان على الآخرين وإدخال الأذى عليهم من الأسباب التي تبطل الصدقات، ومن الملفت ان الإنسان عندما ينزل به الموت يتمنى ان يؤخر الى اجل قريب حتى يتصدق لكن لا تنفعه التمنيات والتوسلات قال تعالى ﴿

---

[1] محمد: ٣٣

[2] هود: ١١٤

[3] البقرة: ٢٦٤

وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾[1]

فعلى المؤمن ان يحافظ على صداقاته من الاحباط والبطلان لأنها زاده الثمين في الاخرة ولا يرسل عليها نيران المن والاذى فيحرقها.

الارتداد عن الدين:

قال تعالى ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [2]

والآية صريحة في بيان مسألة حبط أعمال المرتد عن دينه فهو قد خسر دنياه وآخرته بسبب ارتداده بعد اسلامه.

النفاق:

قال تعالى ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾[3]

فقد كان يتستر المنافقون بالإيمان ويجهدون أنفسهم بالأيمان المغلظة من أجل خداع المؤمنين وتحقيق أهدافهم الشريرة.

فالآية تتوعدهم بحبط أعمالهم وخسارة اخرتهم قال تعالى ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ۚ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾[4]

---

[1] المنافقون: ١٠
[2] البقرة: ٢١٧
[3] المائدة: ٥٣
[4] سورة الأحزاب: ١٩

الشرك بالله:

قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ (1).

فالآية الكريمة تبين بان الشرك بالله يؤدي إلى حبط الأعمال والخسران، فالله تعالى يريد ان يعبد كيفما يشاء لا من حيث يشاء الناس، فاذا خالفوا أوامره واشركوا بعبادته فقد زاغوا عن الصراط والهدى وحبطت أعمالهم قال تعالى ﴿ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا لحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(2)

الكفر بالله:

وفي هذا العنوان آيات كثيرة نذكر منها قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ۚ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ (3) وقال ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ (4)

وإذا حبطت أعمال الكفار فلا شك لا وزن لهم قال تعالى ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾(5) وقال ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾[8]﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾(6)

---

(1) **الزمر: ٦٥**

(2) الأنعام: ٨٨

(3) سورة التوبة: ١٧

(4) الكهف: ١٠٥

(5) سورة الفرقان: ٢٣

(6) سورة محمد: ٩

عدم التأدب عند حضرة النبي (ص):

قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾[1] وهذا التحذير والنهي القرآني ينبغي أن يكون معمولا به حتى بعد رحيله فلا يجوز رفع الأصوات عند قبره الشريف إجلالا له وتعظيما لشأنه وخشية من حبط الاعمال قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[2]

قتل الانبياء والآمرين بالقسط:

قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٢١] ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾[3]

ولا يزال يُقتل الذين يأمرون بالقسط من قبل الطغاة وحكام الجور والفسقة من أهل الدنيا فلا ريب ان الله تعالى سيحبط أعمالهم يوم القيامة ولن تغني عنهم زبانيتهم وجلاوزتهم ووعاظهم من الله شيئا ولن تنفعهم الألقاب المبتدعة والسيرة الحسنة المصطنعة بسبب قتلهم المصلحين في الأرض.

---

[1] الحجرات: ٢

[2] سورة الحجرات: ٣

[3] آل عمران: ٢٢



الوقفة العاشرة

اسماء يوم القيامة في القران

اسماء يوم القيامة ـ في القران

كثيرة هي اسماء يوم القيامة ـ في القران الكريم وكل اسم يدل على معنى وكل معنى فيه مغزى، وان الغالب ـ في هذه الأسماء هي كاشفة عن احوال واهوال عظمى تحدث يوم القيامة لعل الانسان يتذكر او يخشى ويستعد بزاد التقوى ويتوب وينوب الى ربه قبل نزول الطامة الكبرى وسنقف على جملة منها ـ في هذا العنوان مع شرح مختصر حتى لا نطيل ـ في المقام.

اليوم الاخر

الاخر ـ في مقابل الاول والمراد من الاخر هو اخر ايام الدنيا قال تعالى (لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ [1]

والاخرى وهي النشأة الثانية قبال النشأة الاولى وهي الدنيا قال تعالى ﴿ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الأُخْرَى﴾[2] والحياة الاخرة ـ في قبال الاولى قال تعالى﴿ وَهُوَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ ۖ لَهُ الحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [3]

فإذن ان اليوم الاخر هو اسم من اسماء يوم القيامة الذي لا يليه يوم من ايام الدنيا وـ في ذلك اليوم يقوم الناس للحساب فأما نعيم لا زوال له واما عذاب لا انقطاع له.

وهذا الاسم كثير ما يقرن بالإيمان بالله والنبيين والكتاب والعمل الصالح بخلاف الاسماء الاخرى قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[4] قال تعالى﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ

[1] البقرة: ١٧٧
[2] سورة النجم: ٤٧
[3] القصص: ٧٠
[4] البقرة: ٦٢

قِبَلَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ..) [1] وقوله تعالى ﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[2]

يوم القيامة

وان هذا الاسم من اكثر الأسماء شيوعا في القران الكريم وقد تكرر سبعين مرة وهو مأخوذ من القيام والمراد من القيام هو القيام للحشر والنشور قال عز وجل ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلا مَن شَاءَ اللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[3]

ويوم يقوم الناس للحساب توضع لهم الموازيين بالقسط لإيفاء اجورهم قال تعالى ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[4] وقال تعالى ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الحِسَابُ﴾[5] وقوله تعالى [وَنَضَعُ المَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ [6] وقال سبحانه [كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ وَإِنمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ [7] وقال (وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ . [8]

ومن الملفت ان هذا الاسم في الغالب يقرن معه الوعيد والعذاب الشديد والفصل والحكم والتمثيل والتبيين لعل الانسان يتوب الى ربه وينقلع عن ذنبه ويستيقظ من غفلته قال تعالى (خِزْيٌ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ

---

[1] البقرة: ١٧٧
[2] آل عمران: ١١٤
[3] الزمر: ٦٨
[4] سورة المطففين: ٦
[5] إبراهيم: ٤١
[6] الأنبياء: ٤٧
[7] آل عمران: ١٨٥
[8] سورة البقرة: ٢٨١

إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [1] وقال تعالى ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[2] وقال عزوجل ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[[3]] قال تعالى﴿ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [4] وقال عزوجل ﴿ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾[5] وقال تعالى ﴿ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾[6]

يوم البعث

البعث هو الارسال والاحياء ومنه قوله تعالى ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾[7] اي ارسلنا وقوله تعالى ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[8].

لكن المراد من يوم البعث الاحياء وكثير ما يقيد باليوم او وجود قرينة تدل على البعث والاحياء قال تعالى﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [9] وقوله تعالى ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾[10] وقوله تعالى ﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ۗ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾[11] ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا

---

[1] البقرة: ٨٥
[2] طه: ١٢٤
[3] سورة السجدة: ٢٥
[4] الحج: ٦٩
[5] مريم: ٩٥
[6] مريم: ٩٥
[7] يونس: ٧٥
[8] سورة البقرة: ٥٦
[9] سورة الحجر: ٣٦
[10] الشعراء: ٨٧
[11] يس: ٥٢

الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ ۖ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[1]

ان التأكيد والتركيز على مسالة البعث في القران الكريم في مناسبات عديدة ردا على منكريه الذين كفروا به جملة وتفصيلا ويجادلون بآيات الله بغير علم وهدى وكذلك تذكرة وموعظة لمن يخشى قال تعالى﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ [2].

يوم الازفة

ومن اسماء يوم القيامة يوم الازفة قال تعالى ﴿ أَزِفَتِ الآزِفَةُ﴾ [3] والمراد بالأزفة هو الاقتراب والدنو اي دنَ واقترب حساب الناس واقتربت الساعة وقوله تعالى ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[4]

وهناك سؤال ينبغي طرحه والاجابة عليه وهو لماذا يعبر الله تعالى في كتابه عن يوم القيامة بالاقتراب والدنو مع علمه تعالى ببقائه ربما لآلاف السنين؟ والاجابة على هذا السؤال نقول: اننا حتى لو سلمنا ان قيام الساعة لا يكون الا بعد مرور الاف السنين فهي عند الله قريبة جدا قال تعالى ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾[5]

ثم ان هذه الحياة الدنيا مهما طال وقتها وعمرها فهي في قبال الاخرة تعد قصيرة وسريعة وقد عبر القران الكريم عن الاخرة بغد وهذا يعني كأنما عمر

---

[1] سورة الروم: ٥٦
[2] سورة الجاثية: ٣٢
[3] سورة النجم: ٥٧
[4] غافر: ١٨
[5] سورة الحج: ٤٧

الدنيا كله عبارة عن يوم سرعان ما ينقضي وينصرم قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[1].

بينما الحياة الاخرة يعبر عنها القران بالدوام والخلود قال تعالى﴿ وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[2]

وان الموت محفوف بالإنسان وقريب منه وبموته تقوم قيامته وان كانت قيامة صغرى لكنها قريبة وتقع بنزول الموت اما نعيم معجل او عذاب معجل ومن الشواهد القرآنية على ذلك قوله تعالى ﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾[٢٦] ﴿ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [3] فهذه جنة البرزخ وقوله تعالى عن آل فرعون ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[4] فهذه نار البرزخ المعجلة قبل نار الخلود.

يوم التناد

ومن اسماء يوم القيامة يوم التناد قال تعالى ﴿ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾[5]

والتنادي من المناداة حيث في ذلك اليوم العظيم والعصيب يكثر المناداة بين اصحاب النار واصحاب الجنة او الملائكة، بين مستغيث ولائم وملام.

---

[1] الحشر: ١٨
[2] العنكبوت: ٦٤
[3] سورة يس: ٢٧
[4] غافر: ٤٦
[5] سورة غافر: ٣٢

فأصحاب النار يستغيثون بالمؤمنين والملائكة في طلب المساعدة بسبب عظيم ما هم فيه لكن لا تغني نداءاتهم وصرخاتهم شيئا، بينما الله تعالى وملائكته والمؤمنون يلقون باللائمة عليهم بسبب كفرهم وجرمهم قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ [1]قال تعالى ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ المَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ۚ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[2] وقال سبحانه ﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [3] وقال تعالى ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾[4].

ان هذه الصور التمثيلية والتقريبية التي يعرضها الله تعالى في كتابه العزيز والتي لا مناص من وقوعها في يوم القيامة ينبغي أن تهز كيان كل إنسان من أعماقه وتنبهه من غفلته، وتوقظه من سباته لا ان يمر عليها مرور الكرام بل عليه ان يعيش تلك اللحظات الرهيبة في وجوده فيدرك مدى فقره وضعفه وحاجته في تلك المواقف المخيفة وفي نفس الوقت ان تبعثه هذه المواعظ الى الطاعة وتزجره عن المعصية قبل حلول الأجل، وفوات المُهل، وفقدان الأمل.

الساعة

ان هذه المفردة القرآنية هي أيضا من أكثر المفردات شيوعا في القرآن الكريم والتي تشير إلى يوم القيامة، وسميت بالساعة لعل لسرعة النشور ,والحساب وهذا دارج عند العرف حينما يعبرون عن الاوقات السريعة والقريبة يقولون ما هي الا سويعات ولحظات قال تعالى ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ۚ

[1]]الكهف: ٥٢[
[2] الأعراف: ٥٠
[3] الحديد: ١٤
[4] سورة الزخرف: ٧٧

وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]

وقال سبحانه ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾[2]

والساعة تشير الى موعد الحساب وشدته قال تعالى ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾[3]

ان تعبير القرآن الكريم عن يوم القيامة بالساعة فيها جملة من الرسائل المهمة الى الناس ومن تلك الرسائل بان الله تعالى لا يعز عليه شيء وقادر على كل شيء فقيام الساعة مع عظمتها وثقلها، وبعث جميع الخلق عند المحشر لا يعز ولا يعظم عليه قال تعالى ﴿ إِنمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[4]

وقال تعالى ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۖ قُلْ إِنمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ۚ لا تَأْتِيكُمْ إِلا بَغْتَةً ۗ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[5]

ومن تلك الإشارات والرسائل بان الانسان سرعان ما يجازى على فعله لسرعة الساعة وقربها وسرعة الحساب والجزاء.

وكذلك من الاشارات لهذه المفردة القرآنية انها ترد على أهل الجحود والمشككين الذين يكفرون بالساعة ويشككون ويستهزئون بها بان لهم موعدا قريبا لا محيص ولا مفر منه قال تعالى ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَا

[1] النحل: ٧٧
[2] الشورى: ١٧
[3] سورة القمر: ٤٦
[4] يس: ٨٢
[5] الأعراف: ١٨٧

ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ ۗ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾[1]

يوم الجزاء

ومن الأسماء يوم القيامة هو يوم الجزاء، والجزاء هو مكافأة ومجازاة العامل على فعله بالخير أو الشر.

والمجازاة الإلهية هو الإيفاء على العمل من دون حيف وظلم فيكافأ المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته ويقتص بإجرامه قال تعالى ﴿ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾[٤٠] ﴿ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾ [2] وقال ﴿ جَزَاءً وِفَاقًا﴾[3] وقال عزوجل (وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[4]

ولقد وعد اللّه تعالى في كتابه أن يجزي المؤمنين الذين آمنوا وعملوا الصالحات وسعوا في تزكية أنفسهم من امراض القلوب بالثواب الجزيل ونذكر جملة من الآيات:

جنة الخلد: وقال ﴿ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾[5] وقال عز وجل ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾[6]

وتيسير الامور: قال سبحانه ﴿ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾[7]

---

[1] سورة الشورى: ١٨
[2] النجم: ٤١
[3] سورة النبأ: ٢٦
[4] الكهف: ٤٩
[5] الفرقان: ١٥
[6] طه: ٧٦
[7] الكهف: ٨٨

قّرة اعين: قال تعالى ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1]

لهم ما يشاءون: قال سبحانه ﴿ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾[2] جزاء الضعف والأمن: قال تعالى ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾[3]

وقد توعد الله تعالى ان يجزي الذين كفروا وعملوا السيئات بشتى أنواع العذاب الجسدية والمعنوية نذكر منها:

الخزي والعذاب: قوله تعالى ﴿ إِنمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. [4]

الخلود في النار: قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[5]وغير ذلك .

الحاقة

توصف الساعة بالحاقة قال تعالى ﴿ الحَاقَّةُ﴾[١] ﴿ مَا الحَاقَّةُ﴾ [٢] ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الحَاقَّةُ﴾[٣]

والمراد بالحاقة هو ثبوت يوم القيامة ووقوعه بحيث لا يتخلف أبدا فيوم الآخر حقيقة لا ريبة فيها.

[1] السجدة: ١٧
[2] الزمر: ٣٤
[3] سبأ: ٣٧
[4] المائدة: ٣٣
[5] سورة يونس: ٢٧

إذن فالحاقة هو ثبوت الشيء وامر لازم وقد صرح القرآن الكريم في مواضع عديدة الى هذا المعنى.

فحينما يتطرق الى طاعة السماء والأرض لأمر الله وانقيادهما له فهذا الانقياد والانصياع حقيقة ثابتة لا تتخلف ابدا قال تعالى ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [١]﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [٢] ﴿ وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ﴾[٣] ﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾[٤]﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [1]

وهكذا في جميع الاحكام والقضايا التي تذكر في القران فما يقوله تعالى هو حق لا ريب فيه سواء في نزول العذاب بحق الظالمين او في كشف عقائدهم واسرارهم ومآلهم قال تعالى﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الحَقُّ المُبِينُ﴾[2]

فهذه الحقائق ثابتة لا تقبل التخلف قال تعالى ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[3] وقال عز وجل ﴿ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [4].

إذن فالساعة اتية لأنها حقيقة ثابتة في قضاء الله وحكمه لا تقبل التبدل والتخلف قال سبحانه ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ﴾[5]

---

[1] سورة الانشقاق: ٥
[2] سورة النور: ٢٥
[3] الزمر: ٧١
[4] يونس: ٣٣
[5] غافر: ٥٩

الصاخة

والصاخة هي الصيحة والصوت الشديد التي يأخذ بالأذان ويصمّها لقوته قال تعالى ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾[1].

وهذه الصيحة الرهيبة تكون عند قيام الساعة قال تعالى ﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الخُرُوجِ﴾[2]

يوم الجمع

ومن أسماء يوم القيامة هو يوم الجمع الذي يجمع الله تعالى الأولين والآخرين من الجن والإنس للحساب والمجازاة على الأعمال قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾[3].

الطامة

يوصف كذلك يوم القيامة بالطامة والمراد بالطامة هي الداهية والمصيبة الكبرى لعظيم ما يقع فيها من اهوال ومواقف لا تخطر على قلب احد قال تعالى ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾[4].

القارعة

توصف كذلك الساعة بالقارعة وسميت بالقارعة لأنها تقرع قلوب الخلائق بأهوالها ومواقفها الشديدة قال تعالى﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾[٢] ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾[5]

---

[1] سورة عبس: ٣٣
[2] ق: ٤٢
[3] الشورى: ٧
[4] النازعات: ٣٤
[5] القارعة: ٣

الواقعة

ومن اسماء يوم القيامة الواقعة فهي حادثة وواقعة لا محيص منها قال الله سُبحانَه(إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ [1] .

الفزع

والفزع هو الخوف والذعر الذي يصيب قلوب الناس لشدة ما يرون ويسمعون من اهوال يوم القيامة قال تعالى ﴿ لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ المَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[2] وقال ﴿ وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾[3]

يوم الفصل:

والفصل هو الحكم بين الناس بالحق قال تعالى ﴿ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالأَوَّلِينَ﴾ [4] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالمجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[5]

الغاشية:

وسميت بالغاشية لأنها تغشى الناس بأهوالها قال تعالى ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾[١] ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾[6]

يوم الوعيد

يوم الوعيد هو يوم المضروب في يوم القيامة الذي يتحقق فيه وعيده من القصاص من أعداء الله بعدما انذر وحذر قال عزوجل ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ

---

[1] الواقعة: ١-٢

[2] الأنبياء: ١٠٣

[3] سورة سبأ: ٢٣

[4] سورة المرسلات: ٣٨

[5] الحج: ١٧

[6] سورة الغاشية: ٢

ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾[1] وقال سبحانه ﴿ قَالَ لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ﴾. [2] ومن الأسماء يوم الفتح والنشور والخروج والبروز والتغابن ويوم الدين وغير ذلك . [3]

---

[1] ق: ٢٠
[2] ق: ٢٠
[3] سورة ق: ٢٨



الوقفة الحادية عشرة

تحمل القاتل آثام المقتول

تحمل القاتل آثام المقتول

قال تعالى (إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِك)[1]

من المسائل التي ذكرها الله عز وجل في كتابه العزيز أن يبوء ويرجع القاتل بآثام المقتول ويتحملها عنه لأنه بقتله قد سلب منه حياته فيلزم التعويض.

ومن الشواهد على هذه المسالة قول هابيل ابن نبي الله آدم عليه السلام لما عزم أخوه قابيل على قتله قال تعالى﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾) [2]

أراد هابيل من هذا البيان والحجة البالغة أن يذكر أخاه لعله يتذكر او يخشى ويرتدع عن نيته السيئة بأنه في حال الإقدام على قتله سوف يتحمل إثمه وإثم نفسه ويكون مصيره المشؤوم والمحتوم في النار وتكون عاقبته الخسران وذلك جزاء الظالمين.

ويعدّ دم هابيل أول دم سفك ظلما من ذرية آدم، يقول تعالى بعد هذه الجريمة ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا). [3]

ومن الملفت اننا نلاحظ العقوبة المغلظة والشديدة التي لم ترد في القران مثلها جزاء لمن يقتل مؤمنا متعمدا قال تعالى﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[4]

حيث ذكرت الآية خمس عقوبات أولها الدخول في جهنم وثانيها الخلود فيها وثالثها استحقاق الغضب ورابعها اللعن وخامسها العذاب العظيم.

---

[1] المائدة: ٢٩

[2] المائدة:٢٩

[3] المائدة: ٣٢

[4] **النساء: ٩٣**

هذا الوعيد والتهديد والعقاب الشديد لأجل الردع والزجر لمن يقتل مؤمنا متعمدا، وبيان عظيم حرمته عند الله تعالى، وصيانة لدماء الأبرياء، وليسود الأمان بين الناس.

ومن اللطيف ان هابيل لم يقابل أخاه بالمثل حينما هدده بالقتل وقد بين وجه الحكمة من ذلك بأمرين:

الاول: لأنه أراد ان يرجع اخوه بإثمه وإثم نفسه.

والثاني: أنه يخاف الله رب العالمين قال تعالى ﴿ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾[1]

فيا لها من كلمة (إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) لا يعلم قدرها الا اهلها من العلماء (إِنمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ). [2]

فالخشية من الله هي ملازمة مع العالم الرباني الذي امتلئ ايمانا ويقينا وخوفا من الله في كل أحواله فلا ينساق الى لذة دنيوية مهما قلت او صغرت مخافة العقاب والعتاب قال امير المؤمنين (عليه السلام) (هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ الْبَصِيرَةِ، وَبَاشَرُوا رُوحَ الْيَقِينِ، وَاسْتَلاَنُوا مَا اسْتَوْعَرَهُ الْمُتْرَفُونَ وَأَنِسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الجَاهِلُونَ، وَصَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالمحَلِّ الأَعْلَى، أُولئِكَ خُلَفَاءُ اللهِ فِي أَرْضِهِ، وَالدُّعَاةُ إِلَى دِينِهِ، آهِ آهِ شَوْقاً إِلَى رُؤْيَتِهِمْ.[3]

فخوف الله قد أخذ بجميع كيان هابيل لعظمة إيمانه بالله ولعلمه بأن الله هو الذي رباه وهداه وأعطاه وأكرمه بالإيمان فأنى يسفك الدم الحرام؟ ويطيع الشيطان؟ ويعصي الرحمن؟

---

[1] المائدة: ٢٨

[2] فاطر: ٢٨٧

[3] شرح نهج البلاغة لابن الحديد ج ١٨ص ٣٤٧

وقد تألم وتأثر رسول الله (صلى الله عليه واله) كثيرا لما بلغه ان أسامة قد قتل رجلا قد تشهد الشهادتين فكان عذره انه تظاهر بالإسلام ليحقن دمه فقال رسول الله قولته المشهورة (هلاّ شققت عن قلبه) ونزل قوله تعالى (﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا) [1]

فالله تعالى تعبدنا بالظواهر اما السرائر فهو أعلم بها منا وله القضاء والحكم فيها، ولذا لا يسمح الإسلام بقتل النفس على الشبهة والمظنة صيانة للدماء فكيف بقتل الأبرياء ؟

عود على بدء نقول ان اقدام قابيل على قتل اخيه هابيل لم تكن مسالة عفوية وحصلت فجأة انما بسبب وجود النفس الشريرة فيه فلما توفرت موجباتها ظهرت على حقيقتها.

وقد بانَ ذلك حينما لم يتقبل قُربانه لعدم أهليته، وبُعده عن التقوى، وان اصراره على قتل اخيه كاشف عن استحكام النفس الامارة عليه قال تعالى ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ المُتَّقِينَ﴾. [2]

فإن من شرائط قبول الأعمال وجود التقوى والإيمان في النفس حتى تطهر الأعمال من الشوائب والأمراض القلبية والنوايا السيئة.

فمن الشواهد القرآنية ايضا من الذين لم يقبل الله عملهم هم اصحاب مسجد ضرار الذين لم يكن بنيانهم قد أسس على التقوى والنية الصادقة انما لأغراض شيطانية قال تعالى﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلا

---

[1] النساء: ٩٤

[2] المائدة: ٢٧

الحُسْنَى ۖ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[١٠٧]﴿ لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[1]

فان تطهير القلوب من الأمراض أوجب من الاتيان بالعمل! فما قيمة العمل إذا خلا من التقوى والنية الحسنة؟

فالقرآن يبتغي من خلال هذه القصص والحوادث تذكير الناس وتنبيههم وتربية نفوسهم على التقوى حتى يزكى العمل ويقبل ويكون مرضيا عند الله تعالى.

---

[1] التوبة: ١٠٨



الوقفة الثانية عشرة

الإخلاص في الانفاق

قال تعالى﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [1]

ليس من السهولة بمكان أن ينفق الإنسان ماله الذي كدح في تحصيله وكسبه على المساكين والفقراء وفي شتى أعمال البر والإحسان.

فمن العقبات التي تحول دون انفاقه على مستحقيه هو الافتتان بحب المال وجمعه وتكنيزه وعده والاشفاق عليه من نقصه قال تعالى ﴿ وَتحبُّونَ المَالَ حُبًّا جَمًّا﴾[2] وقال ﴿ الَّذِي جَمَعَ مَالا وَعَدَّدَهُ﴾[3] وقال (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[4] وقال﴿ أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ.) [5].

ولا يمكن التخلص من هذه الأغلال والظفر عليها باقتدار كالبخل وخشية الإقتار ومخافة الأقدار الا بعزيمة الابطال وقوة الايمان وهمم الرجال والعمل خلاف ما تريده النفس كالإنفاق وافراغ الذمم وارجاع الحقوق على ذويها.

اذن فالأنفاق يحتاج إلى جهد وجهاد وصلابة إيمان وعزيمة شجعان حتى يفلت من قبضة الشيطان ويظفر برضى الرحمن والفوز بالجنان.

ولذا ليس جزافا جعل الله تعالى المنفق في سبيله في مصاف المجاهدين في سبيله قال تعالى﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ ۚ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[6] وقال ﴿ لا يَسْتَوِي

---

[1] البقرة: ٢٦٥

[2] الفجر: ٢٠

[3] سورة الهمزة: ٢

[4] التوبة: ٣٤

[5] سورة المجادلة: ١٣

[6] التوبة: ٢٠

الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالمجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ) [1] وقوله تعالى ﴿ لا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾[2] وقوله (لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ ۖ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[3] قوله سبحانه﴿ إِنمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[4]

ومن الملفت واللطيف في هذه الآيات تقديم الجهاد في الأموال على الأنفس لعل الحكمة من ذلك لشغفها على القلوب وبالتالي صعوبة التغلب على المحبوب وفي نفس الوقت ان الإنسان في كثير من الأحيان يعرض نفسه للضرر او الحتف لأجل صيانتها من التلف والخسران ومجابهة البغي والعدوان فإذا ظفر بهذه الدوافع والنوازع وأنفقها ابتغاء مرضاة الله فلا ريب انه جهاد وبسالة وصلابة ايمان.

وإذا تحرر المنفق من أغلال البخل والشفقة على المال واجه بعد ذلك المرحلة الأصعب هو الإخلاص في الإنفاق وخلوه من الشوائب والأغيار كالمن والرياء أو لأجل منافع عرضية ومصالح دنيوية.

إذن فالإخلاص من أدق الأمور واحمزها على النفس بسبب حب الظهور والثناء والإطراء والتصفيق والإشارة بالبنان.

والنوايا السيئة هي كاشفة بطبيعة الحال عن القلوب السقيمة والنفوس العليلة ولذا ورد النهي من الشريعة عن تلكم المقاصد لأنها تبطل الصدقات

---

[1] النساء: ٩٥
[2] سورة التوبة: ٤٤
[3] سورة التوبة: ٨٨
[4] الحجرات: ١٥

وتورث الحسرات قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ). [1]

والإخلاص في الانفاق لا يقتصر على قبوله ونيل الاجر المضاعف بل له أثر مهم على المنفق المبتغي مرضاة الله بتثبيته على النية الخالصة والهدى والطاعة.

فمن يراجع القران الكريم سيلاحظ بان الاعمال الطيبة الحسنة لها اثار عظيمة وعجيبة على الفرد ومنها الإنفاق في سبيل الله فضلا عن الثواب كقوله تعالى ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2] وقال ﴿ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾[3] وقد وعد الله عباده المؤمنين الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاته ولتثبيت أنفسهم على الإخلاص بالثواب الجزيل والخير الكثير المضاعف كالبستان في أرض خصبة وفي ارض وربوة مرتفعة يؤتي خيره سواء أصابه الغيث الكثير المعبر عنه في الآية بالوابل او نزل عليه المطر الخفيف المعبر عنه بالطلّ فإنه يؤتي خيره وثمره بإذن ربه.

ففي كل الأحوال لا يُحرم المنفق من الأجر والثواب ولا يبخس حقه من الفضل، فضلا عن آثار الإنفاق الطيبة الحافة به والنازلة عليه.

ولعل الحكمة من تشبيه كثرة نزول المطر وقلته على الجنة بكثرة الثواب وقلته مرده الى مراتب الاخلاص والمعرفة المتوفرة في العبد والسباق الى الانفاق والعمل قال تعالى (وَمَا لَكُمْ أَلا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ۚ لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً

[1] البقرة اية ٢٦٤
[2] التوبة: ١٠٣
[3] سورة الليل: ١٨

مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[1]

إن هذا التشبيه الجميل لأجل تقوية العزائم، وتصحيح النوايا، والترغيب في الإنفاق، والتغلب على الدواعي السيئة والامراض التي تحبط الصدقات وتجعلها هباء منثورا وتجعل المنفق فقيرا في عرصات يوم الجزاء، بينما هو يظن ان لديه كماً عظيما من الحسنات قال تعالى﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾[2] (فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ﴾ [3] .

حيث يشبه القران الكريم عمل المرائي في إحباطه كحال التراب العالق على الصخرة اذا أصابه المطر الكثير فلا يبقى على الصخرة شيء منه، والصفوان هو الصخر الاملس.

فمن تعاسة المرء أن ينفق امواله على الفقراء والمساكين والأعمال الخيرية وغير ذلك لكنه يبتغي مرضاة الناس والفات وجوههم إليه او يسعى لاقتناص منافع دنيوية من خلال جعلهم جسرا بالإنفاق عليهم وفي نهاية المطاف لا يجني من ذلك الإنفاق سوى المتاع القليل زائل ثم تعقبه الحسرة على ما أنفق قال تعالى(فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً). [4]

ان الانفاق ابتغاء مرضاة الله هي تجارة مع الله وكل تجارة مع الله هي تجارة رابحة ولن ينالها الكساد والفساد ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾[5]

---

[1] الحديد: ١٠
[2] سورة الفرقان: ٢٣
[3] البقرة اية ٢٦٤
[4] الانفال:٣٦
[5] فاطر: ٢٩

وقد دلنا الله تعالى على هذه التجارة لحبه الخير لنا قال تعالى﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[١٠] تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1]

فالله تعالى هو الذي يهب عبده المال ثم يدعوه لاستقراضه منه ليدّر ويعوضه خيرا مما اعطى ثم يزكى ويربو عنده قال سبحانه ﴿ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾[١١] ﴿ وَيمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾[2] وقال تعالى(وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[3] وقال عز وجل ﴿ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٢] وفي الدعاء (وَأَنْتَ الْوَهّابُ ثُمّ لما وَهَبْتَ لَنا منَ الْمُسْتَقْرِضينَ). قال تعالى ﴿ يمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ۗ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾[4]

وكما أن قبول النفقات مشروط بإخلاص النية بمعنى ان لا تخالطه النوايا السيئة كطلب السمعة والرياء او يتبعه بالمن والاذى، وكذلك مشروطة ان تكون من الطيبات بمعنى ان لا تكون من المحرمات او من الشبهات، فالله تعالى طيب لا يأخذ ويقبل الا الطيب من الصدقات قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَممَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ ۖ وَلا تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[5] قال عز وجل ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ

(١) الصف: ١١
(٢) سورة نوح: ١٢
(٣) سبا اية ٣٩
(٤) البقرة: ٢٧٦
(٥) البقرة: ٢٦٧

الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[(١)] وقال سبحانه ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا عَبْدًا مملُوكًا لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُونَ ۚ الحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾(٢)

أي ينفق العبد من هذا الرزق الحسن الذي رزقه الله إياه من دون ان يمزج معه الحرام او الشبهات حتى يتقبل منه وينال الحسنات ورفيع الدرجات قال تعالى (إِنمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٣)وقال سبحانه ﴿ قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾(٤)

(١) التوبة: ١٠٤
(٢) سورة النحل: ٧٥
(٣) المائدة: ٢٧
(٤) سورة التوبة: ٥٣

الوقفة الثالثة عشرة

الصلاة في القران

قال تعالى ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾[١]
أكثر من ستين آية وردت فيها مفردة الصلاة وكلها جاءت معرفة ولم ترد نكرة لشيوعها وتعيينها ومعرفتها بين الأمم ومن شواهد القرآنية قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[٢]

وهذه الآية المباركة جاءت بعد ذكر اوصاف وخصائص جملة من الأنبياء وهو قوله تعالى﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ المحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[٣] وقوله تعالى﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٤]﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾[٥] وقال ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾[٦]

اذن فلا شك ان تشريعها منذ القدم مع الامم لأهميتها وعظمتها حيث تعبر عن هوية الإنسان المسلم وعلاقته الوثيقة بربه قال تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالمِينَ﴾[٧]

وهي المصداق الأسمى والأكمل في إظهار العبودية لله تعالى ولذا يصدح العبد بها في كل يوم في صلاته قال تعالى (﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٨]

---

[١] طه: ١٤
[٢] الأنبياء: ٧٣
[٣] إبراهيم: ٣٧
[٤] يونس : ٨٧
[٥] مريم: ٣١
[٦] سورة مريم: ٥٥
[٧] الأنعام: ١٦٢
[٨] سورة الفاتحة: ٥

وان أول ما اوصى الله تعالى نبيه عيسى عليه السلام بعد الاقرار له بالعبودية هي الصلاة قال تعالى ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾[٣٠]﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾[١]

أما الاشارة لإقامة الصلاة فقد وردت بصيغ متعددة وللمفرد والجمع والمذكر والمؤنث ما يربو على (٣٠) مفردة قرآنية كقوله تعالى ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾[٢] وقال تعالى (وأقيموا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[٣] وقوله تعالى (وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ [٤] وقوله تعالى ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَممَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [٥]

والمراد من إقامتها أعم من أدائها واتيانها فهي تشمل اقامتها بمقدماتها وآدابها وشروطها وأوقاتها وحضور القلب والخشوع فيها والأنس بها كقوله تعالى (إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي)[٦] وقال ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [٧] وقال ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [٨] وقال (إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾[٩]

وان للصلاة لذة روحية لا يشعر بها إلا أهلها من عباد الله المؤمنين الذين لا يؤثرون عليها أي أنس ولذة أخرى .

---

[١] مريم: ٣١
[٢] هود: ١١٤
[٣] البقرة: ٤٣
[٤] الأحزاب اية ٣٣
[٥] سورة البقرة: ٣
[٦] طه: ١٤
[٧] سورة المؤمنون: ٩
[٨] سورة المؤمنون: ٢
[٩] النساء: ١٠٣

ولذا تجدهم يعظمونها ويكبرونها ويحافظون على آدابها لعلمهم بجلالة قدرها وانها أقرب وسيلة تدنيهم من ربهم فينالون بها الحظوة والزلفة عنده قال عز وجل ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلا عَلَى الخَاشِعِينَ﴾[1] وقال (وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ﴾[2]

والصلاة تمنح العبد العزة والهمة والعزيمة والايمان في مواجهة الفراعنة والطغاة.

فحينما امر الله تعالى موسى وهارون بالذهاب الى فرعون قال لهما ﴿ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾[3] أي لا تضعفا عن ذكري لان ذكره تعالى يورث الطمأنينة والحزم أمام الجبابرة وان اجلى صور الذكر هي الصلاة قال تعالى (وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي) وقوله عز وجل (وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [4]

وموقف آخر حينما بعث الله نبينا (صلوات الله عليه واله) وأنزل عليه القران وما فيه من ثقل دعوة التوحيد وما سوف يواجه من فراعنة زمانه من التكبر والطغيان امره تعالى بملازمة صلاة الليل حتى ينال من هذا الارتباط والاتصال الروحي العزيمة والإصرار قال تعالى ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلا ثَقِيلا﴾[٥] ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلا﴾[5]

وقد امر الله تعالى عباده المؤمنين بضرورة الاستعانة بها عند الشدائد والمكاره لأنها تلهمهم العزيمة والطمأنينة وزيادة في الإيمان قال تعالى ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلا عَلَى الخَاشِعِينَ﴾[6]

---

[1] البقرة: ٤٥

[2] سورة العلق: ١٩

[3] سورة طه: ٤٢

[4] سورة العنكبوت: ٤٥

[5] سورة المزمل: ٦

[6] البقرة: ٤٥

فمن كان خاشعا في صلاته فذاك الذي ذاق حلاوتها وعرف بين يدي من يقف، ونال بذلك الخشوع والخضوع والتواضع والمسكنة لله تعالى لان تعالى يقول (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي) فالصلاة ذكر لله وذكر الله طمأنينة وسكن قال سبحانه ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[1] والنفس المطمئنة هي تنقلب مسرورة وترجع الى ربها راضية مرضية وتدخل النعيم المقيم قال تعالى﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [٢٧]﴿ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [: ٢٨] ﴿ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ [٢٩] ﴿ وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[2] والصلاة سمة الهداة وعلامة التقاة الذين بشرهم ربهم بالفلاح قال سبحانه ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[٣].. ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [3] وقال تعالى﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [١] ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[4]

اما من جهل فضلها وقيمتها وابعادها واثارها وبركاتها فلا شك سوف يقصر فيها ويصاب بالخمول والكسول اتجاهها او يستهزئ ويسخر بمكانتها كما فعل قوم شعيب فقالوا لنبيهم ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾[5]

وبعد الوقوف على بعض خصائصها ومميزاتها وآثارها العظيمة والكثيرة فلا شك من استخف بقدرها وزهد بها ولم يصلها فقد قطع صلته بربه وعرّض نفسه للحرمان والخسران وحجب عن نفسه خيراتها وبركاتها واستحق العقاب ونال الخذلان.

---

[1] الرعد: ٢٨
[2] سورة الفجر: ٣٠
[3] البقرة ٥
[4] المؤمنون: ٢
[5] **هود: ٨٧**

والعبد ينال من بركتها واثارها على قدر اهتمامه بها فكلما حافظ على اوقاتها وشرائطها وكان القلب حاضرا والخشوع حاصلا فقد استمطر الخير من ربه ونال الحظوة والقرب عنده واستجيبت دعوته قال تعالى ﴿ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾[1]

فإذا كان الكدح على العيال الذي يعد من أشرف العبادات لا يحول مانعا أمام هؤلاء الرجال عن ذكر الله وإقام الصلاة في أوقاتها فمن باب أولى لا تشغلهم المسائل اللغوية والعبثية واللهوية لأنهم يعلمون أنهم سيسألون عنها يوم تتقلب القلوب والابصار لذا فهم مشفقون من ذلك اليوم العصيب.

فالمحافظة على هذه الشروط والمقدمات وكيفيتها المطلوبة وتوقيرها وتعظيمها في النفس وصيانتها في الفعل هي التي تنهى مقيمها عن الفحشاء والمنكر قال تعالى(إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ) [2]

فليس كل مصلٍ بالضرورة تنهاه صلاته عن الفحشاء والمنكر بل ان بعضهم قد استخف بدماء الأبرياء وانتهك اعراض النساء واعتدى على الحرمات والمقدسات وفعل أشنع المنكرات وأقبح الموبقات لأنه لم ينهل من بركاتها ولم يقف على أسرارها ولم يستطعم حلاوتها لاستخفافه بها ومن استخف بها استخف بغيرها، مع التسليم بأدائها ظاهرا فالأداء الظاهري من دون إثر فعلي صالح ونهي عن الفواحش فهي قشر بلا لب وصورة بلا معنى.

فالصلاة تمتاز بمزايا تمنع صاحبها من اقتحام الفواحش وارتكاب المنكرات اذا ما تفاعل وانسجم معها والتأثر بها حتى تؤثر به وتحصنه من المعاصي اما من اعتبر الصلاة مجرد طقوس يومية وتكليف مفروض ويأتي بها بكسل وأدبار

---

[1] النور: ٣٧

[2] العنكبوت: ٤٥

قلب او خشية من العقاب او ملامة الاصحاب والاحباب قال تعالى(وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلا وَهُمْ كُسَالَى وَلا يُنفِقُونَ إِلا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾[1]

فهذه الصلاة بهذه الكيفية سيحرم صاحبها من ثمارها وبركاتها وآثارها الكثيرة نتيجة سوء تعامله مع هذه الفضيلة وزهده بهذه الكرامة والرحمة الالهية التي حباها تعالى على عباده المؤمنين مع أنه تعالى غني عن صلاتهم.

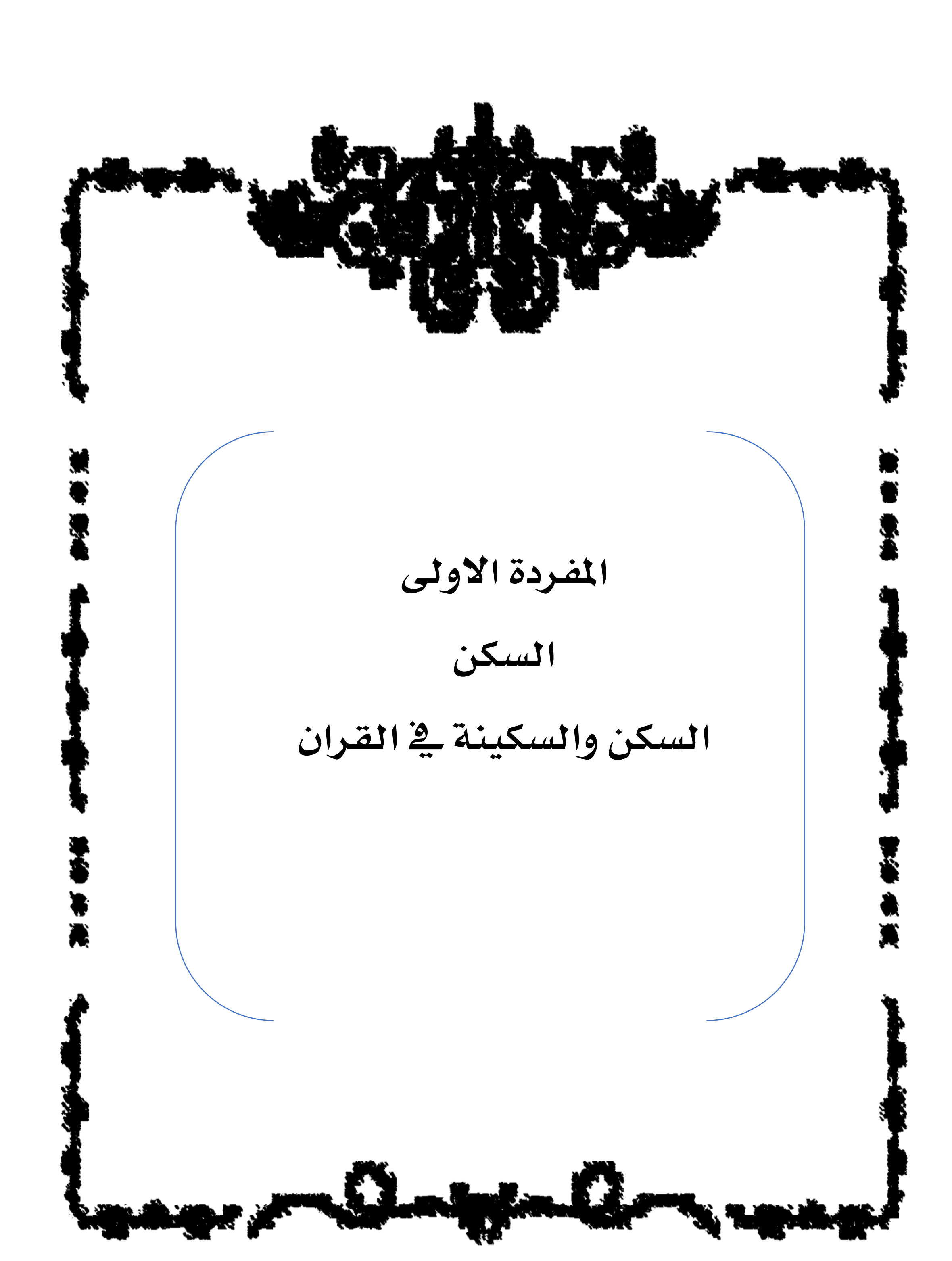
---

[1] التوبة: ٥٤



المبحث الثامن

التدبر في جملة من المفردات القرآنية



المفردة الاولى

السكن

السكن والسكينة في القران

السكن والسكينة في القران

السكينة هي اطمئنان القلب والهدوء والاستقرار النفسي

ومن يتابع الآيات التي وردت في هذه المفردة القرآنية سيجد هناك صيغا متعددة ومختلفة وهذه الصيغ لها معاني تناسب غرض نزول الآيات لكنها تتفق في النهاية بمعنى الطمأنينة والاستقرار والهدوء والراحة.

ومن الجدير بالذكر توجد هناك سكينة او سكن جعلي تكويني أوجده الله تعالى في الموجودات وهناك سكينة ينزلها الله تعالى عند حدوث الشدائد والصعاب على من يشاء من عباده.

ونذكر جملة من الآيات من كلا الموردين:

السكن الجعلي التكويني

الليل سكن

الآية الاولى: قال تعالى(وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا) [1]وقال ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ اي سكن [2]

من رحمة الله المفاضة على الانسان ان جعل له وقتا معينا وهو الليل يسكن فيه الى السبات ويخلد فيه الى الراحة والهدوء والنوم بعد السعي والنشور والحركة والكدح في طلب المعاش والرزق قال عزوجل ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾[3] وقال تعالى ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[4]

فلولا وجود الليل لاضطربت الحياة وزالت السكينة وانعدمت الراحة لان الليل وظلمته يفيض الارتياح النفسي ويسبت فيه الانسان الى الراحة ويخلد الى النوم ويقضي على التعب والارهاق الجسدي.

---

[1] الأنعام: ٩٦

[2] سورة الضحى: ٢

[3] سورة النبأ: ٩

[4] القصص: ٧٣

والليل والنهار احدهما مكمل للأخر في تنظيم الحياة في الموجودات فلا يمكن ان يكون احدهما بديلا عن الاخر يقول تعالى ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (١)

وهذا الجعل الالهي لليل وما فيه ثمار وآثار وحكم ينبغي ان يحرك الأذهان والاسماع بأن وراء هذه الظاهرة العجيبة والمنتظمة والآية البديعة يد غيبية وقدرة جبارة قال تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (٢)

فليست المادة الصماء التي تعجز عن خلق نفسها هي من جعلت هذا التدبير الفلكي والنظام التكويني في الليل الذي لا يقبل التخلف والتغيير انما هناك جاعل ومدبر هو الله تعالى ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ) (٣).

وفي نفس الوقت ان الله تعالى قد جعل النهار أيضا سكنا وراحة واستقرارا يسكن اليه الانسان للراحة بعد السعي في طلب الرزق او في اجتماع مع الاهل قال تعالى ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(٤)

ويمكن ان يكون السكن يعود الى الليل والابتغاء من فضله في طلب الرزق يعود الى النهار.

البيت سكن

الآية الثاني: قوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا) (٥)

---

(١) سورة القصص: ٧٢
(٢) يونس: ٦٧
(٣) غافر: ٦١
(٤) القصص: ٧٣
(٥) سورة النحل: ٨٠

ويعد البيت سكنا واستقرارا ووطنا لأنه يأوي الانسان ويحميه من الصيف القائظ والبرد القارص والوحوش والآفات الأخرى وفي نفس الوقت يعد السكن مكانا للراحة والنوم والمآرب الاخرى الكثيرة لكن للأسف الكثير من الناس لا يستشعرون قيمة البيت ولا يقدرون هذه النعمة العظيمة التي أغدقها عليهم رب العالمين.

ولذا جاءت الآية تذكّر الناس بأن الله هو الذي جعل من بيوتكم سكنا واطمئنانا وراحة لكم لعلكم تهتدون وتشكرون.

الزوجة سكن

الآية الثالثة: قوله تعالى ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]

ومن آيات الله في العباد أن خلق لهم من أنفسهم أزواجا حتى يسكن بعضهم لبعض ويأنس أحدهما بالآخر ثم جعل بينهم مودة ورحمة وهذا الجعل الالهي آيات وعلامات لقوم يتفكرون.

فالسكن الجعلي الإلهي هو موجود بين الأزواج ويشعرون به واقعا ويلمسونه حقيقة فيما بينهم ، حيث يشعرون بالسكن والاستقرار عند الازواج بينما قبل ذلك لا استقرار بل اضطراب نفسي وتخبط في الحياة وانغماس في الشهوات لكن عند الزواج تهدأ وتسكن ضغوطات النفس وتستقر النفوس وتعتدل الامزجة ، بعدما كان الاضطراب والفوضى هي الضاربة بين الشباب والافراد قبل الزواج.

---

[1] الروم: ٢١

فأراد الله تعالى ان يذكرهم بهذه الآية الجعلية التي لم تكن وليدة الصدفة إنما بتدبير إلهي ورحمة ربانية على الناس يقول تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا) [1]

ينبغي الالتفات الى ملاحظة جدير بالذكر والنظر أن السكينة والطمأنينة التي جعلها الله سبحانه في الزوجة ليسكن إليها الزوج قد تمتنع من الحصول وقد يقع اضطراب وعدم استقرار نتيجة تصرف السلبي من قبل الأزواج.

فالجعل الإلهي ثابت وموجود لكن حصول مشاكل بين الأزواج تحول دون ذلك فلذا نجد الانفصال وعدم الاستقرار وفقدان المودة والرحمة بين الأزواج بسبب سوء التصرف وسوء الأخلاق او فقدان الانسجام والتفاهم.

اذن فالإنسان بسبب تخبطه وبعده عن الصواب او بسبب اختلاف الامزجة والثقافات تحصل موانع تقف حائلا أمام الشعور والإحساس بالسكينة بين الازواج وبالتالي تفتقد المودة والرحمة.

وهذه الحقيقة ثابتة في القرآن اعني جعل السكينة بين الازواج لا ينافي وجود موانع تحول دون ذلك ولذا يقول تعالى عند حصول خلاف وشقاق بين الأزواج والسعي للإصلاح قال تعالى ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [2]

واما قبل الزواج فالمسالة أوضح حيث يشعر الجميع بوجود اضطرابات نفسية وضغوطات وغرائز جنسية تعصف بالإنسان، وفقدان الشعور بالمسؤولية لكن بعد الزواج تهدأ تلك العواصف الجامحة ويشعر الزوجان بالاطمئنان

---

[1] سورة الأعراف: ١٨٩

[2] سورة النساء: ٣٥

والاستقرار النفسي والاشباع الغريزي وتسود المودة والرحمة بفضل عقد القران الذي جعله الله رحمة للإنسان.

تابوت بني إسرائيل

الآية الرابعة: في قوله تعالى(وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ) [1]

من التحف والنعم التي أنعم الله تعالى على بني إسرائيل ان جعل لهم تابوتا ويسمى صندوق العهد وكان علامة وأثراً من انبياء بني اسرائيل وكان هذا التابوت يشد عزيمتهم وقوتهم أمام الاعداء ويورث السكينة والطمأنينة في نفوسهم فينتصرون ويغلبون لكنه اختفى بعد رحيل موسى عليه السلام، وبعد اصطفاء طالوت ملكا على بني اسرائيل اعيد إليهم تحمله الملائكة وكان علامة على أحقيته وان الله قد اصطفاه ملكا عليهم.

إذن فالله تعالى هو الذي جعل السكينة في التابوت رحمة بهم وحجة وبرهانا على صدق قول نبيهم ولعلهم يؤمنون.

السكينة التي تنزل على عباده المؤمنين

وأما المعنى الثاني للسكينة التي نريد ان نقف عليها هي السكينة التي تنزل على عباد الله كالأنبياء او من آمن معهم لوجود غرض مهم وخطير كتثبيت المؤمنين على نصرة الحق واهله وليزدادوا إيمانا مع إيمانهم.

ومن الآيات القرآنية التي نزلت في المواقف الحرجة والصعبة على النبي (صلى الله عليه واله) قوله تعالى ﴿إِلا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ

[1] سورة البقرة: ٢٤٨

اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1]

وهذا اللطف الالهي بالسكينة قد نزل على النبي في غار ثور عندما أراد قومه قتله وكاد ان يقتل حينها لولا تدخل السماء وإنزال السكينة والطمأنينة عليه في هذه المواطن الصعبة وتأييده بجنود قيل هم ملائكة.

وقوله تعالى في غزوة حنين ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾[٢٥] ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾[2]

فالسكينة رحمة الهية تنزل على من يشاء من عباده في مواطن الشدة وضيق النفوس في مواجهة الأعداء حتى يزدادوا ايمانا، وثباتا على الحق واطمئنانا بالنصر والتسديد والتأييد الإلهي.

ان نزول السكينة والطمأنينة على رسوله وعلى المؤمنين في معركة حنين كان امرا في غاية الاهمية بعد فرار جلّ أصحاب النبي من المعركة قال تعالى (ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ) ولم يثبت معه الا القليل من الافذاذ والابطال حينها.

ومن المواطن التي نزلت السكينة على النبي (صلى الله عليه واله) وعلى المؤمنين في واقعة الحديبية وقد نزلت ثلاث آيات تتحدث عن نزول السكينة. وآيتان من الثلاثة تذكر نزول السكينة على المؤمنين فقط وواحدة على النبي(صلى الله عليه واله) والمؤمنين قال تعالى ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ

[1] التوبة: ٤٠

[2] التوبة: ٢٦

الحَميَّةَ حَميَّةَ الجَاهليَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[1]

ولم يكن غرض النبي(صلى الله عليه واله) القتال عندما تحرك نحو مكة انما لأداء مناسك الحج لكن هذا لا يعني الاستهانة من كيد الاعداء وخاصة بعد ان وصل المسلمون الى تخوم مكة وبعدً المسلمين عن ديارهم فكان من الضروري تجديد البيعة لأجل الثبات على القتال ونصرة النبي(صلى الله عليه واله) فنزلت السكينة عليهم لثبيتهم على الطاعة والولاء قال تعالى﴿ ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[2]

وكانت تسمى هذه البيعة ببيعة الشجرة او بيعة الرضوان.

بعد هذه الآيات التي صرحت بإيجاد السكينة في الموجودات او بنزولها في ظروف معينة للتأييد والطمأنينة في قلوب المؤمنين تعد من أعظم المنح الربانية ولولاها لتعسرت الأمور وصعُب ان يتحملها الإنسان لضعفه.

---

[1] الفتح: ٢٦

[2] الفتح: ١٨



المفردة الثانية

الترف

مفهوم الترف والمترفون في القران

مفهوم الترف والمترفون في القران

المترف هو من يعيش في رفاهية وتنعم والعيش الرغيد وقد ذكر القرآن امرين من علامات الترف وهما كثرة الأموال والأولاد اشارة الى القوة الاقتصادية والبشرية قال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾[٣٤] ﴿ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالا وَأَوْلادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾[١]

ويظهر من خلال التدبر في القرآن في أحوال الشريحة المترفة نلاحظ أنها تعارض الإصلاح والهداية والإيمان وتحارب الأنبياء والمصلحين لأنهم يقتاتون على الطبقة الفقيرة ويستغلون جهلهم وضعفهم وفقرهم فليس من مصلحتهم ان تعي الناس وتبصر الحق والنور.

فلذا هم يخشون على مصالحهم ومكانتهم وترفهم إذا ما تساووا مع الفقراء في الحقوق والواجبات.

مع أن القرآن قد تطرق في مواضع متعددة الى المترفين إلا انه لم يرد فيهم المدح والثناء بل ورد القدح والذم ونزول البلاء والكشف عن عقائدهم الباطلة واخلاقهم السيئة ومواقفهم المنحرفة وفسادهم في الارض وتصديهم للحق وأهله وكذبهم بالأخرة وإليك جملة من الآيات التي تبين مواقفهم السيئة ونفوسهم الخبيثة:

قال تعالى ﴿ وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾[٢]

---

[١] سبأ: ٣٥

[٢] المؤمنون: ٣٣

فنلاحظ كيف ان المترفين يتصدون للأنبياء ويستخفون بشأنهم ويستصغرون قدرهم ويثقفون ضدهم.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾[1]

يكفرون بالنذير وان تيقنوا بصدقه وصدق دعوته لأنهم يخافون على مصالحهم ومكانتهم بين الناس.

وقوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾[2]

يقتدون بالآباء ويبقون يسيرون على آثارهم وإن علموا بصدق دعوة الأنبياء ورأوا المعجزات والآيات بسبب ترفهم وفسادهم.

وإذا نزل بهم العذاب فاذا بهم يستغيثون ويصرخون ويطلبون النجاة والنصرة قال تعالى ﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾[٦٤] ﴿ لا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لا تُنصَرُونَ﴾[٦٥] ﴿ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ﴾[3]

فالظلم والفساد والترف موانع من الإقرار بالحق والانصياع له قال تعالى ﴿ فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلا قَلِيلا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾[4]

وقال عز وجل ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾[5]

---

[1] سبأ: ٣٤

[2] سورة الزخرف: ٢٣

[3] سورة المؤمنون: ٦٦

[4] هود: ١١٦

[5] النمل: ١٤

فكان الحري بهم أن يصغوا لكلام الانبياء ويؤمنوا بآيات الله فإذا بهم يرجعون على أعقابهم وتسامرون في لياليهم بما نكصوا به من القرآن والنبي بالباطل استكبارا في أنفسهم قال تعالى ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾[٤٥] ﴿ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الحِنثِ الْعَظِيمِ﴾ [2]

ومن صفات المترفين انهم يفعلون الذنب العظيم كالشرك بالله ويصرون عليه ويستهزئون بيوم البعث والحساب ﴿ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾[3]

---

[1] سورة المؤمنون: ٦٧

[2] سورة الواقعة: ٤٦

[3] سورة الواقعة: ٤٧



المفردة الثالثة

الكيد

مفهوم الكيد في القران

مفهوم الكيد في القران

جاء في كتاب مفردات القرآن للراغب الأصفهاني في تعريف الكيد انه قال: هو ضرب من الاحتيال.

لكن هذا التعريف لا ينسجم مع الكيد الإلهي لأن الاحتيال او الخديعة من غيره تعالى يفتقر الى العلم والقدرة المطلقة بدليل وقوع الكايد في سوء كيده وعاقبة امره فلو كان يعلم بما تؤول اليه الحوادث والعواقب ضده لما سعى الى حتفه.

اما الله تعالى فهو العالم والقادر وكيده مستجمع لهما وغيرهما من الصفات الالهية فلا يعمد الى الاحتيال والخديعة قال تعالى ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾[1] وقال (أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾[2] وقال عز وجل (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[3]

فالكيد الإلهي نوع تدبير في الأشياء من غير أن ينافي علمه واحاطته بمعنى انه تعالى لا يؤخر الاخذ لجهله بالأمور وضبابية الحوادث انما نوع استدراج وامهال يوقع الكايد في كيده ويجازيه بمكره ، ولا الاملاء نوع عجز لقدرته فلو شاء لعجل العقاب لكن تأخيره لحكمة قال تعالى﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنمَا نمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ ۚ إِنمَا نمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[4] وقال سبحانه ﴿ فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾[5] وقال عزوجل ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[6]

---

[1] سورة الرعد: ٩
[2] فصلت: ٥٤
[3] البقرة: ٢٠
[4] آل عمران: ١٧٨
[5] سورة مريم: ٨٤
[6] النحل: ٦١

فاتضح مما تقدم بأن هنالك كيدا ممدوحاً إذا ما نسبناه إلى اللّه تعالى وأوليائه ومن الشواهد القرآنية على ذلك قوله تعالى ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴾ [١٥] ﴿ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾[١] وقوله تعالى (كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ) [٢] وقال ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴾[٣]

وهناك كيد مذموم كقوله تعالى ﴿ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴾[٤] ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًاإِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[٥]

ومن الملفت بان اللّه تعالى عندما يتحدث عن كيده يصفه بالقوة والمتانة والشدة ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾[٦] بينما يصف كيد الشيطان بالضعف(إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾[٧]

وفي نفس الوقت ان القران الكريم حينما يستعرض جملة من أسماء وصفات الذين يكيدون ويمكرون بالأنبياء والاسلام والمسلمين لعل الغرض من ذلك أخذ الحذر من هؤلاء ومن كيدهم وعدم حسن الظن بهم او التراخي عنهم والميل إليهم ولا بأس نستعرض على نحو الاجمال جملة من الآيات توضح ذلك جليا :

الساحر: قوله تعالى﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾[٨] وقوله تعالى ﴿ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴾[٩]

---

[١] سورة الطارق: ١٦
[٢] سورة الأنبياء: ٥٧
[٣] سورة يوسف: ٧٦
[٤] سورة الصافات: ٩٨
[٥] يوسف: ٥
[٦] سورة الأعراف: ١٨٣
[٧] النساء: ٧٦
[٨] طه: ٦٩
[٩] سورة طه: ٦٤

الخائن: قوله تعالى ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الخَائِنِينَ﴾[1]

النسوة: قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾[2] وقال سبحانه ﴿ وَقَالَ المَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾[3]

الحاسد: قوله تعالى ﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[4]

الكافر: قوله تعالى ﴿ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ المَكِيدُونَ﴾[[5]]

الطغاة: قوله تعالى(وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلا فِي تَبَابٍ﴾[6]

الشيطان: قوله تعالى (إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [7]

ومن اللطيف ان الله تعالى قد تحدى الكائدين والكافرين وتوعدهم بالفشل والخزي بما يمكرون ﴿ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾[8]

وإليك بعض من القصص والحوادث القرآنية التي فيها شيء من التفصيل والتي تبين انتصار الكيد الإلهي على كيد الطغاة والحساد والنسوة والكفرة والفجرة والسحرة والخونة والفسقة، وان كيد الله هو الغالب ولو كان الكائدون بعضهم لبعض ظهيرا ونصيرا وانه تعالى لا يخذل عبده ولا يتركه وحيدا بين الأعداء والكائدين.

---

[1] يوسف: ٥٢
[2] يوسف: ٢٨
[3] يوسف: ٥٠
[4] يوسف: ٥
[5] سورة الطور: ٤٢
[6] غافر: ٣٧
[7] النساء: ٧٦
[8] المرسلات: ٣٩

السحرة: فلما صمّم السحرة على ان يتحدوا نبي الله موسى عليه السلام وعضد بعضهم بعضا واقسموا بعزة فرعون بالنصر والغلبة (وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾[1]

واخذوا بمشورة فرعون اذ قال لهم ﴿ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا) [2] لعل المراد بالكيد هو السحر فقد جاءوا بسحر لا يستهان به لخداع الناس وسحروا اعينهم كما قال تعالى ﴿ قَالَ أَلْقُوا ۖ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾[3]

فكانت النتيجة الذل والهوان والفشل قال تعالى﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾[4] لان الله تعالى قد توعدهم بالفشل (وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾[5]

ومن الملفت ان فرعون كان يتبجح بقوله في قومه ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾[6] ويقول لسحرته ﴿ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾[7]

فهو يدعي الاستعلاء في الارض وبه يتحقق الفلاح على موسى الكليم بينما القران الكريم يخاطب موسى بان لا يخشى من كيد فرعون وسحرته وان العاقبة ستكون للحق قال تعالى ﴿قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَى﴾ [٦٨] إِنمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [8]

---

[1] سورة الشعراء: ٤٤
[2] طه: ٦٤
[3] الأعراف: ١١٦
[4] طه: ٧٠
[5] طه: ٦٩
[6] النازعات: ٢٤
[7] طه: ٦٤
[8] طه: ٦٩

حيث وعد القران بان العلو والفلاح لموسى عليه السلام في قبال قول فرعون، فتحقق الوعد الإلهي بالنصر ﴿فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾[1]

الطغاة: ان فرعون لم يترك كيدا وحيلة الا سخرها في سبيل القضاء على موسى عليه السلام وإفشال دعوته قال تعالى ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى﴾[2] .

فلم يغن كيده شيئا وكان عاقبته الهلاك والضلال قال تعالى (وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلا فِي تَبَابٍ﴾[3] وقال (﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلا فِي ضَلَالٍ﴾[4]

الكفرة والمشركون: لقد اجتهد الكفرة والمشركون على مر التاريخ في استعمال المكايد الكثيرة في سبيل ثني الأنبياء والمصلحين عن رسالتهم ودعوتهم الالهية في نشر التوحيد وإصلاح المجتمعات وإخراج الناس من الظلمات الى النور فمن تلك الحوادث قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام بطل التوحيد الذي اقسم بالله ان يحطم أصنامهم المزعومة وهيبتهم الموهومة لعلهم يفيقون من أحلامهم ويرجعون الى فطرتهم قال تعالى عنه ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾[5]

فعند ذلك اجتمع راي قومه على إحراقه بالنار وأرادوا به كيدا لكنهم رجعوا خائبين وجعل نارهم الملتهبة بردا وسلاما على إبراهيم قال تعالى ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[٦٩]﴿ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ

---

(1) الأعراف: ١١٩
(2)طه: ٦٠
(3)غافر: ٣٧
(4) غافر: ٢٥
(5) الأنبياء: ٥٧

الأَخۡسَرِينَ﴾[1] وقال ﴿ قَالُوا ابۡنُوا لَهُ بُنۡيَانًا فَأَلۡقُوهُ فِي الجَحِيمِ﴾ [٩٧] ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيۡدًا فَجَعَلۡنَاهُمُ الأَسۡفَلِينَ﴾[2]

وكذلك مشركو قريش الذين سعوا بكل جهدهم في سبيل القضاء على دعوة النبي(صلى الله عليه واله) واجهاضها وافشالها من خلال اساليب كثيرة فلما فشلوا ولم يفلحوا اخذوا يقاتلون نبيهم الذي بعث اليهم رحمة لينقذهم من الشرك وينتشلهم من الجهل ويخلصهم من العادات السيئة كتقليد الاباء ووأد البنات ويحررهم من الاصفاد والاغلال التي كانت عليهم لكنهم اخذتهم العزة بالإثم فعمدوا الى الحيل والمكايد لأجل اغتيال النبي ومحاربته فأنجاه الله منهم قال تعالى﴿ وَإِذۡ يمۡكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَ ۚ وَيمۡكُرُونَ وَيمۡكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيۡرُ المَاكِرِينَ﴾[3] قال تعالى﴿ إن تمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٌ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٌ يَفۡرَحُوا بِهَا ۖ وَإِن تَصۡبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[4] وقال ﴿ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدًا﴾[١٥] ﴿ وَأَكِيدُ كَيۡدًا﴾[١٦] ﴿ فَمَهِّلِ الۡكَافِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدًا﴾[5]

الحساد: لما رأى إخوة يوسف عليه السلام أباهم يعقوب عليه السلام أكثر ميلا واعتناء وحبا ليوسف الصديق أخذ يدب الحسد في نفوسهم فأخذوا يكيدون الحيل في سبيل إبعاد أخيهم لكي يخلو لهم وجه ابيهم فاتفقت كلمتهم على القائه في غيابة الجب.

وقد كان نبي الله يعقوب عليه السلام على حذر وتخوف من إفشاء رؤية يوسف عليه السلام التي راها في المنام من سجود اثني عشر كوكبا والشمس والقمر

---

[1] الأنبياء: ٧٠
[2]سورة الصافات: ٩٨
[3] الأنفال: ٣٠
[4] آل عمران: ١٢٠
[5] سورة الطارق:١٧

الى اخوته فيكيدوا له ﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[1]

وقد بشر الوحي يوسف عليه السلام وهو في غيابة الجب بان هذا الكيد والقائك في غيابة الجب سوف تخبرهم به بعد حين وهم لا يشعرون قال تعالى (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾[2]

وفي الختام كان تدبير الله تعالى ليوسف عليه السلام هو الغالب على كيد إخوته وجعل كيدهم سببا من أسباب تمكين ليوسف في الارض ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ ۖ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ المحْسِنِينَ﴾[3]

النسوة: لم تنته معاناة يوسف الصديق عليه السلام فبعد كيد إخوته له ابتلي بكيد امرأة العزيز في مراودته له بالفحشاء فامتنع عن ذلك بلطف الله.

ومن ظاهر قصة يوسف انه لم يكن يعاني فقط من امرأة العزيز في المسالة الدعوة في المراودة بل الكثير من النساء قال تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الجَاهِلِينَ﴾[4].

ومن الملفت في هذه الحادثة العصيبة والابتلاء الشديد الذي قلما ينجو المرء من قبضته الا بلطف الله وتسديده نجد هناك ثلاث اعترافات برأت يوسف عليه السلام من اتهامه بالفاحشة:

---

[1] يوسف: ٥
[2] يوسف: ١٥
[3] يوسف: ٥٦
[4] يوسف: ٣٣

الأولى: من زوج زليخا حينما قال ﴿ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾[1]

والثانية: من النسوة اللاتي راودنه ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ ۚ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ) [2]

والثالثة: من زليخا نفسها (قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾[3] .

هذه الاعترافات والإقرارات هي من تسديد الله ليوسف العفيف الطاهر النقي الذي لم يلوث نفسه بالفاحشة فلذا لم يترك الله عبده في هذه المواجهة الحساسة والتهم السيئة التي تخدش في سمعته وطهارته فجعل في تدبيره ما يلجئهم في الاعتراف قال تعالى(وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[4]

وفي الختام كانت الغلبة لكيد الله تعالى ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الخَائِنِينَ﴾[5] .

ولقد كان هذا الكيد سببا من اسباب التمكين الالهي ليوسف الصديق على خزائن الارض ﴿ وَقَالَ المَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾[6] ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ ۖ إِنِّي

---

[1] يوسف: ٢٨
[2] يوسف: ٥١
[3] يوسف: ٥١
[4] يوسف: ٢١
[5] يوسف: ٥٢
[6] يوسف: ٥٤

حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[(1)] { وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ المحْسِنِينَ[2]

النقطة الجديرة بالاهتمام التي ينبغي التركيز عليها إن الله وعد عباده المؤمنين بالنصر والغلبة وأن كيده فوق كيد من كايده وان ما يحاك وينسج من المكايد هي تبوء بالفشل والخذلان والدليل على ذلك ما مرّ من قصص الانبياء حيث رأينا كيف ان الله يبدل بحكمته وتدبيره كيد الظالمين الى نصر وفوز لعباده الصالحين.

وهذا ما تعهد به على نفسه في آيات كثيرة كقوله تعالى ﴿ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾[3] وقوله تعالى (وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الخَائِنِينَ﴾[4] وقوله عزوجل ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾[5] وقوله تعالى ﴿ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ المَكِيدُونَ﴾[6]

---

[1] يوسف: ٥٥
[2] يوسف: ٥٦
[3] سورة الأنفال: ١٨
[4] يوسف: ٥٢
[5] سورة الأعراف: ١٨٣
[6] سورة الطور: ٤٢



المفردة الرابعة

المعدودات

معاني المعدودات في القران

معاني مفردة المعدودات

جاءت المفردة القرآنية (المعدودات او المعدودة) في جملة من الآيات لتدل على المدة القصيرة والعدد القليل وغير ذلك من المعاني والدلالات فلا بأس أن نستعرض الآيات النازلة في ذلك:

أيام الصيام:

قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [١٨٣] ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾[١]

وجاءت (معدودات) نكرة لتبين ان أيام شهر رمضان هي أيام قلائل معدودات ومدة ميسورة ينبغي على المكلف تحمل صيامهن.

ايام التشريق:

قال تعالى ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ﴾[٢] والمراد من الأيام المعدودات هي أيام التشريق وهي أيام الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من ذي الحجة.

واما ايام المعلومات هي أعمال الحج في بدايته قال تعالى ﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ [٣].

ايام العذاب: قال تعالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [٤] وقال عزوجل ﴿ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا

[١] البقرة: ١٨٤
[٢] سورة البقرة: ٢٠٣
[٣] سورة الحج: ٢٨
[٤] آل عمران: ٢٤

النَّارُ إِلا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[1]

ومن مفتريات اليهود انهم يدعون ان النار لا تمسهم إلا أياما معدودة وتحديد الأيام بالمعدودات للتحقير والتقليل من شأنها بسبب غرورهم في دينهم وتعظيم منزلتهم عند الله كذبا وزورا قال تعالى ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾[2]

المدة المحدودة:

قال تعالى ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ۗ أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[3]

والمراد من الأمة هي المدة الزمنية والمعدودة هي القصيرة

فالله تعالى يؤخر العذاب عن الكافرين الى مدة قصيرة لعلهم يرجعون ويتوبون من ذنوبهم قال تعالى ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[4]

لكنهم يزدادون غيا وتكبرا ويستهزئون بالوعيد والعذاب الالهي فيقولون ساخرين: لمَ لا ينزل علينا العذاب؟ من الذي يمنعه ويحبسه عنا؟

الثمن القليل: قال سبحانه ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ [5] اي بيع يوسف عليه السلام بدراهم قليلة وناقصة.

الاجل المعدود:

قال تعالى ﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلا لأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾[6]

---

[1] البقرة: ٨٠
[2] المائدة: ١٨
[3] سورة هود: ٨
[4] سورة السجدة: ٢١
[5] يوسف: ٢٠
[6] سورة هود: ١٠٤

اي الوقت المضروب والمعدود القائم على العد والحساب فلا يخفى على اللّٰه شيء فكل شيء محسوب ومعدود ومعلوم عنده سبحانه (وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدًا﴾[1]

---

[1] الجن: ٢٨



المفردة الخامسة

التثبيت

انواع التثبيت في القران

مفهوم التثبيت الإلهي في القران

التثبيت بمعنى التأييد الالهي وله مصاديق عديدة نذكر جملة منها:

أنواع التأييد الإلهي في القران

العصمة الإلهية:

وقد خص الله تعالى نبيه بالعصمة واللطف الالهي حيث ثبته بها امام كيد الاعداء كقوله تعالى ﴿ وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلا﴾[1]

انباء الرسل:

وقد ذكر الله تعالى الكثير من انباء الرسل وما جرى عليهم من الحوادث والابتلاءات ما يثبت به الفؤاد قوله تعالى ﴿ وَكُلا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [2]

نزول القران:

ومن لطف الله ورحمته انه انزل القران جملة واحدة على القلب النبي (صلى الله عليه واله) وهو النزول الدفعي لكي يثبّت به فؤاده قال تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلا﴾[3] وكذلك النزول التدريجي لتثبيت الذين امنوا قال سبحانه ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[4]

إنزال الغيث:

ومن رحمة الله انه ايد المؤمنين بالغيث امام الاعداء لكي يثبت اقدامهم ولا يتزلزلوا في مواجهتهم قال تعالى ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم

[1] الإسراء: ٧٤
[2] هود: ١٢٠
[3] سورة الفرقان: ٣٢
[4] النحل: ١٠٢

مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ﴾[1]

التثبيت على القول الثابت:

هو قول الحق الذي لا يتغير ولا يتبدل ولا يغلب قال تعالى ﴿ يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاءُ﴾[2].

ومن يدقق ويتدبر في التثبيت الإلهي سيلاحظ بان الله تعالى لا يترك عباده المؤمنين في مواجهة التحديات الفكرية والعقدية المنحرفة حتى يثبتهم على الهدى من خلال الآيات القرآنية وما فيها من البينات والحكمة والحجج البالغة.

وكذلك لا يدع عباده المؤمنين في مواجهة الصعوبات والشدائد والمؤامرات التي يحيكها اعداء الإسلام فينزل نصره وتأييده عليهم حتى يثبت اقدامهم على الحق خشية من الزلل والقهقرة قال تعالى ﴿ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا ﴾[3]

وهذا التوفيق الإلهي لا يتحقق جزافا من دون مقدمات وشروط ينبغي توفرها ومن مقدمتها النصرة لله تعالى ولدينه والثبات في مواجهة الخصوم قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[[4]] وقال عزوجل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[5].

---

[1] الأنفال: ١١

[2] إبراهيم: ٢٧

[3] سورة النحل: ٩٤

[4] محمد: ٧

[5] سورة الأنفال: ٤٥

فمن كان مع الله كان الله معه ولن يخذله في ساعة العسرة قال تعالى ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾[1].

فالتأييد والنصر الإلهي لعباده المؤمنين هو باق لا يتغير بالزمان ولا بالمكان إنما يتوقف على موجبات واسباب كثيرة كالاستغفار والتوجه والدعاء الى رب الارباب والنصرة والثبات عند ملاقاة الاعداء قال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[2].

فالمؤمن إذا ثبت على الحق واخذ بتعاليم القران وصبر عند الشدة وتضرع الى الله بالثبات فانه تعالى ينزل عليه التأييد ويربط على قلبه بالإيمان.

اما من اعرض عن الهدى وتعاليم السماء او أدبر عن ملاقاة الاعداء فالله تعالى لا يربط على قلبه ولا يثبته عنوة على القول الثابت ولا يثبت قدمه في ساحة الوغى إذا ما أراد الادبار والفرار من الزحف.

اذن فهناك تثبيت إلهي يختص بتثبيت الايمان في قلوب المؤمنين ويتحقق ذلك عن طريق القران وما فيه من الحكمة وتعاليم الإسلام، وهناك تثبيت للأقدام في ساحات الجهاد عند ملاقاة أصحاب البغي والعدوان.

اما مفردة (ليُثبتوك) وردت بمعنى الحبس او السجن في قوله تعالى ﴿وَإِذْ يمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيمْكُرُونَ وَيمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[3]

فقد تعرض الأنبياء والأولياء على مر التاريخ في سبيل الدعوة الاصلاحية الى شتى انواع التهديد والوعيد والإيذاء ومن تلك الأساليب هو الحبس والسجن

---

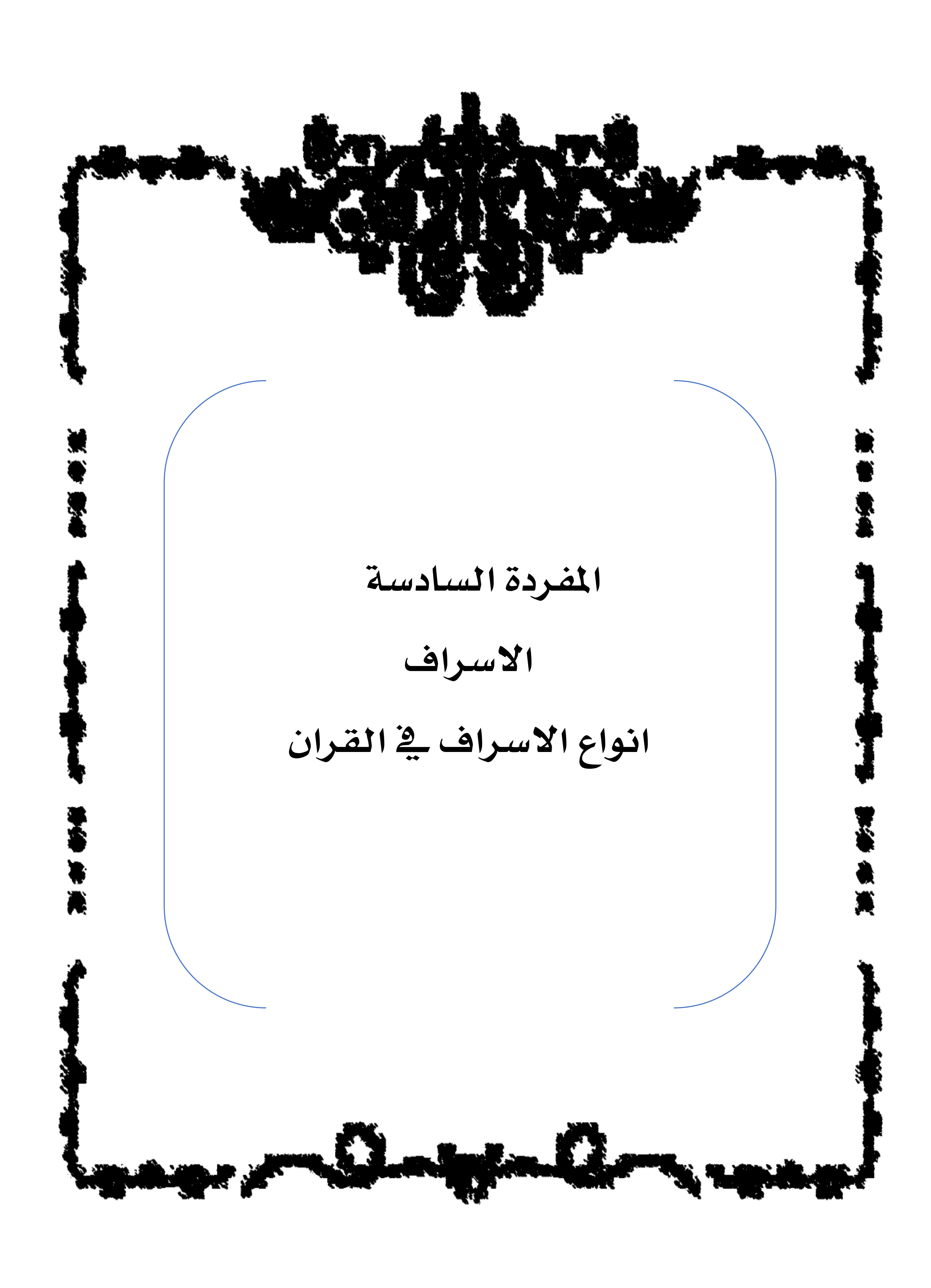
[1] الأنفال: ١٢
[2] آل عمران: ١٤٧
[3] الأنفال: ٣٠

قال (وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾[1] وقال﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ المَسْجُونِينَ﴾[2].

---

[1] يوسف: ٣٢

[2] الشعراء: ٢٩



المفردة السادسة

الاسراف

انواع الاسراف في القران

انواع الإسراف في القرآن

الاسراف هو تجاوز الحد وعدم الاعتدال في الأشياء وقد وردت آيات كثيرة حول الإسراف والنهي عن التخلق بهذه الخصلة الذميمة وهناك امثلة عديدة قد تناولها القرآن نذكر شطرا منها:

الاسراف في القتل:

قال تعالى ﴿ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلا بِالحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِي الْقَتْلِ ۖ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾ [1]

من موارد الاسراف المنهي عنه في القران هو الاسراف في القتل ويكون تطبيقه في حال التجاوز عن القصاص الشرعي.

فالله تعالى قد اعطى الحق في القتل بان النفس بالنفس وان التعدي عن ذلك الحكم يعد ظلما قال تعالى ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ... وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[2]

فالسلطان المجعول من قبل الله للولي المقتول مقيد ومشروط بالحق والاعتدال وعدم التجاوز وهو النفس بالنفس والا عدّ إسرافا وظلما.

وان فرعون لما استباح قتل ابناء بني إسرائيل قال تعالى عنه ﴿ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾[3]

ومع صريح القرآن بحرمة الإسراف في القتل لكنه لا يزال موتوراً ومعمولاً به وخاصة في الحكومات المستبدة والمناطق القبلية حيث لا يرعوي القصاص العادل فيقتل الكثير للغلبة والتشفي والتفاخر بين القبائل ولا زالت النزعة القبلية وثقافة الاسلاف السيئة متجذرة عندهم.

---

[1] سورة الإسراء: ٣٣

[2] المائدة: ٤٥

[3] يونس: ٨٣

الاسراف في الأكل والشرب:

قال تعالى ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [1]

فينبغي الاعتدال في الاكل والشرب والمعاش ولا يصل الى حد الإسراف والتبذير قال تعالى ﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾[2] وقال تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۚ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ۖ وَلا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[3]

الاسراف في الاعراض عن ذكر الله:

قال تعالى { وَكَذَلِكَ نجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى [4]

من أعرض عن ذكر الله ونسي آيات ربه فإنه تجاوز منه عن حد العبودية وكفر بآيات ربه.[5] وقوله تعالى ﴿ وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ ۚ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[6]

---

[1] الأعراف: ٣١

[2] الإسراء: ٢٧

[3] الأنعام: ١٤١

[4] طه: ١٢٧

[5] الميزان ج ١٤ ص ٢٣٢

[6] يونس: ١٢

الإسراف في الشهوات:

قوله تعالى ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾[1]

فالله تعالى خلق النفس الإنسانية من ذكر وانثى وخلق منها زوجها، يغاشها ويسكن اليها وجعل بينهما مودة ورحمة قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى) [2] وقال ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ ۖ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[3]

وقانون الزوجية بين الذكر والانثى قانون سار في الموجودات قال تعالى ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[4]

فعندما يخرج المرء عن هذا القانون الإلهي ويتعدى حدود الله المفروضة ويبتدع قانونا لنفسه لإشباع غرائزه ورغباته وشهواته المفرطة على حساب الافساد في الارض وقطع النسل فقد أوقع نفسه في الإسراف الذي يؤدي به الى الهلاك قال تعالى ﴿ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾[5]

والانكى من ذلك ان يبرر لهذه الافعال الشاذة ويطالب من الاخرين احترام رغبات الشواذ مع أنهم يفسدون النظام الاجتماعي فهم لأجل ارضاء هذه الشريحة الشاذة يضحون بالنظام الاجتماعي من حيث يعلمون أو لا يعلمون ولله المشتكى.

---

[1] الأعراف: ٨١
[2] الحجرات: ١٣
[3] سورة الأعراف: ١٨٩
[4] سورة الذاريات: ٤٩
[5] الأنبياء: ٩

لذا القرآن الكريم نهانا عن طاعتهم لأنه يعلم نتائج أعمالهم وسوء عاقبة أفعالهم قال تعالى ﴿ وَلا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ [1]

الإسراف في أكل أموال يتامى

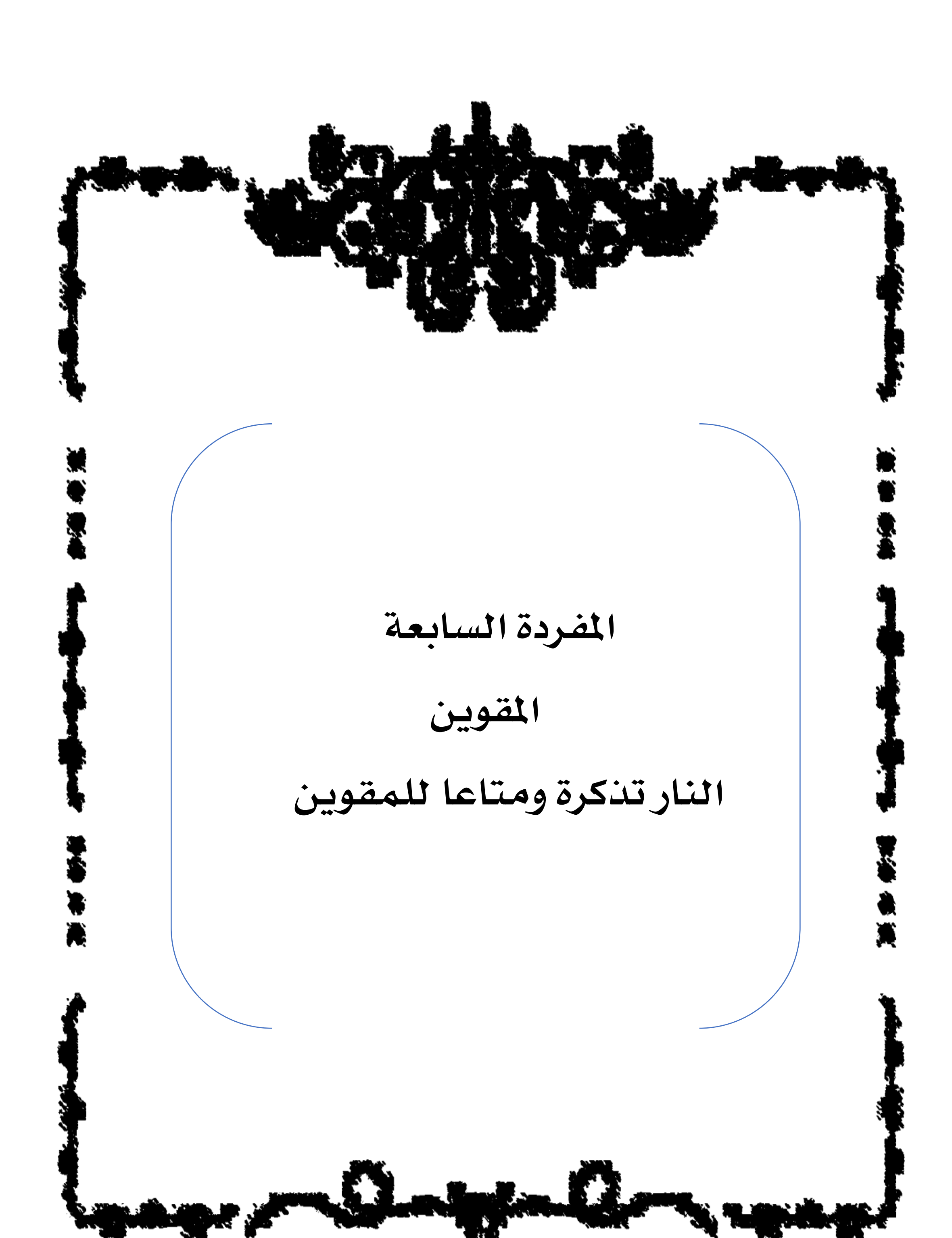
قال تعالى﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا[2]

قد يعمد بعض اولياء اليتامى في التجاوز على أموال اليتامى مسامحة وافراطاً فيخرجون عن دائرة الاعتدال ويقعون في الإسراف فيأكلون أموالهم ظلما وقد نهى الله في كتابه عن ذلك قال تعالى﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [3]

ومع وجود النهي والوعيد في القران المجيد بحق المسرفين لكن يبقى باب التوبة مشرعا للتائبين قال تعالى ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ ۚ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[4]

---

[1] سورة الشعراء: ١٥١
[2] النساء: ٦
[3] النساء: ١٠
[4] الزمر: ٥٣



المفردة السابعة

المقوين

النار تذكرة ومتاعا للمقوين

النار تذكرة ومتاعا للمقوين

قال تعالى (نَحْنُ جَعَلْنَهَا تَذْكِرَةً وَمَتَعًا لِّلْمُقْوِينَ) [1]

يذكّر الله تعالى الإنسان بنعمه التي لا تعد ولا تحصى لعله يشكر ولا يكفر ويهتدي ولا يضل وحتى يزيل الحجب عن قلبه وفكره كالشبهات المنحرفة والمعتقدات الباطلة والخرافات الزائفة كإيعاز النعم التي تحيط به من كل جانب الى الارباب المزيفة والالهة المصطنعة والمادة الصماء.

فالقرآن الكريم يريد أن يثير دفائن العقول ويوقظ الناس من سباتهم العميق والجهل المطبق المنتشر فيهم من خلال تذكيرهم بنعم الله المفاضة عليهم وأن لها خالقا ومدبرا وأنه تعالى سخرها لهم لعلهم يهتدون ويشكرون ويؤمنون ولا يكفرون.

ومن نعمه انه أنشئ الشجر وجعل منها النار ومن النار يوقد الإنسان ما يبتغي ويشاء قال تعالى ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ ﴿ أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُون ﴾ [2]

ثم ذكر الله تعالى بعض خصائص ومنافع النار للحاضرين والسائرين في الأرض رحمة بهم ولعلهم يشكرون وينيبون إليه ويعترفون بعجزهم وضعفهم ويقرون بأن لهذه المنافع إلها عظيما رحيما ويتمتع بالقدرة المطلقة قال تعالى ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾[3]

اي نحن جعلنا في النار منافع متعددة مادية ومعنوية ومن تلك المنافع والنعم:

تذكرة: أي تذكر الإنسان بنار جهنم لعله أن يرتدع عن المعاصي ويخشى الله ويخاف عذاب الآخرة او تذكّره بنعمة النار حيث سخرها له.

---

[1] الواقعة: ٧٣

[2] سورة الواقعة: ٧١

[3] سورة الواقعة: ٧٣

ومتاعا للمقوين: أي للمحتاجين كالمسافرين في الأرض يستفيدون من دفئها ويوقدون عليها ويستنيرون بها وغير ذلك.

ومن الشواهد القرآنية على ذلك ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾[1]

حيث ذكرت الآية سير وسفر موسى بأهله ثم آنس نارا اي أبصرها قال تعالى ﴿إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ [2]

ثم قصدها ليأتي بقبس او جذوة أي شعلة منها للاصطلاء أي لأجل الاستدفاء بها.

---

[1] القصص: ٢٩
[2] سورة طه: ١٠



المفردة الثامنة

السفاهة

معاني السفيه في القران

معاني السفيه والسفاهة في القرآن

السفيه جمع السفهاء قال الراغب الأصفهاني: واستعمل (السفه) في خفة النفس لنقصان العقل وفي الأمور الدنيوية والأخروية.[1]

وقد استعمل القرآن الكريم في مواضع متعددة ومواضيع مختلفة مسألة السفيه والسفاهة، وسنعرضها على شكل عناوين وفق ما تناولتها الآيات القرآنية:

السفيه في عرف الفقهاء:

قال تعالى ﴿ فَإن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَن يمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾[2] وقال ﴿ وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلا مَّعْرُوفًا﴾[3].

فعندما لا يحسن الشخص التصرف في ماله بصورة سليمة وصحيحة ويكون ماله عرضة للتلف والضياع اذا ما تصرف فيه فيقال لهذا الشخص سفيها في الفقه وان كان بالغا ويحسن التصرف في مجالات أخرى، فيحجر على ماله ويكون وليه هو من يدير شؤونه ويصرف عليه من ماله المؤتمن عليه في المأكل والمشرب والكسوة بالحق والاعتدال وصيانة لأمواله من البغي والتقصير قال تعلى (وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ) الى ان يصبح رشيدا فيدفع حينئذ إليه ماله.

السفاهة في الأخلاق والإنسانية:

قال تعالى ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[4]

---

[1] المفردات في غريب القرآن: ٢٣٤.
[2] سورة البقرة: ٢٨٢
[3] سورة النساء: ٥
[4] سورة الأنعام: ١٤٠

فحينما يطمر المرء عقله وانسانيته ويتبع جهله والعادات والتقاليد والعصبية في قتل الأولاد كخشية الفقر او العار او تحريم انفسهم من الرزق الالهي فقد سفه عقله واستصغر قدره واستبدل الخير بالأدنى قال عزوجل (قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ﴾[1] وقال تعالى ﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ ۖ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ [2] وقال ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [٥٨] ﴿ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[3]وقال ﴿ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لا يَطْعَمُهَا إِلا مَن نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[4]

السفاهة في إيثار الكفر على الإيمان:

قال تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لا يَعْلَمُونَ﴾[5] وقال عزوجل ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ۚ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾[6].

فعندما يؤثر المرء الدنيا الفانية على الآخرة الباقية والكفر على الإيمان والعمى على البصيرة والضلال على الهدى فقد باء بالخسران العظيم وذلك هو

[1] البقرة: ٦١
[2] الإسراء: ٣١
[3] سورة النحل: ٥٩
[4] الأنعام: ١٣٨
[5] البقرة: ١٣
[6] البقرة: ١٣٠

السفيه حقا لأنه لم يستفد من نور عقله ورغب عن الهدى بسوء اختياره ورغب بالأدنى بسوء توفيقه.

وبسبب شقاق السفهاء وجدالهم ولجاجهم والعزوف عن طاعة الانبياء والصلحاء ينزل عليهم البلاء قال عزوجل ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلا لِمِيقَاتِنَا ۖ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾[1] وقال سبحانه ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾[2] اي يقول كلاما عن الله بعيد كل البعد عن الحق.

ولذا يعبر القران الكريم عن جبروت فرعون واستكباره في الأرض وادعاءه الربوبية ومحاربته لموسى بان امره ليس برشيد لأنه يؤدي به الى الهلاك وان قومه لما عطلوا عقولهم استخف بها قال تعالى ﴿ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾[3] ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾[4]

فهؤلاء انقلبت عندهم الحقائق والموازين فأصبحوا يرون الحق باطلا والباطل حقا ويجادلون الحق بغير حجة وبرهان بسبب تكبرهم على الحق قال تعالى﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾[٨] ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۖ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [5]

---

[1] الأعراف: ١٥٥
[2] الجن: ٤
[3] هود: ٩٧
[4] الزخرف: ٥٤
[5]سورة الحج : ٩

واخذوا يتهمون اهل الصلاح والحجى بالسفاهة قال تعالى عنهم ﴿ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[٦٦] ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾[(١)] وقال تعالى﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٢).

إذن من خلال هذه الآيات الكثيرة في هذا العنوان يتبين بان السفيه وهو من يشطط عن الحق ويختار الادنى ويتهم اهل الحق بالسفاهة بينما هو متلبس بها لأنه اطفئ نور عقله واضطرب في سيره فأصبح لا يصيب الهدى ويسير في متاهات مظلمة من الأفكار المنحرفة والعقائد الباطلة قال تعالى﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٣)

(١) الأعراف: ٦٧
(٢) سورة البقرة: ١٤٢
(٣) الملك: ٢٢



المفردة التاسعة

السخرية

مفهوم السخرية في القران

السخرية نوع استهزاء وقيل إن كان الغرض من الفعل التقليل من الشأن الآخر او ما يتعلق به فهو استهزاء منه قوله تعالى ﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[1]

وإن كان غرض منه الإذلال فهو سخرية لان السخرية هي اذلال الشيء بمعنى جعل الشيء مقادا ومن الشواهد القرآنية قوله تعالى﴿ ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ)[2] وقوله تعالى ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[3]

والسخرية قد تكون بالفعل او بالكلام او بالإشارة وقد تكون مذمومة اذا ما كانت ابتداء وقد تكون ممدوحة إذا ما كانت مجازاة للطرف الآخر على سخريته وتهكمه ومن الشواهد القرآنية على ذلك قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[4]

وقد ورد في سبب نزول هذه الآية (أن " أبا عقيل الأنصاري " هذا العامل الفقير والمؤمن كان يسهر الليل في حمل الماء من آبار " المدينة " إلى البيوت ويستوفي أجره بتميرات، ثم يأتي بهذه التميرات إلى النبي (صلى الله عليه واله وسلم) في غزوة " تبوك " على أنها مساعدة لجيش الإسلام، فيلتفت المنافقون المستكبرون ويسخرون منه، فتتنزل آيات من القرآن لها وقع الصاعقة

---

[1] الأنبياء: ٤١
[2] لقمان: ٢٠
[3] النحل: ١٢
[4] سورة التوبة: ٧٩

عليهم الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم. [1]

ومن الآيات التي تشير الى الجنبة الممدوحة في السخرية ما جاء على لسان نوح عليه السلام مع قومه في قوله تعالى ﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾[2]

ومن خلال تتبع الآيات التي تناولت مسالة السخرية نلاحظ ان السخرية قد وقعت من ثلاث جهات:

الجهة الاولى: والتي أشرنا إليها آنفا وقلنا ان السخرية تكون ممدوحة إذا ما كانت مجازاة على فعل السخرية التي صدرت من الكفار والمنافقين.

الجهة الثانية: وهي سخرية مذمومة والتي تكون من الكفار والمنافقين والفساق الذين يسخرون بآيات الله وأنبيائه والمؤمنين.

وإن أكثر شريحة تعرضت للسخرية من قبل الجهلة والكافرين على ما ذكره القرآن الكريم هم الانبياء ومن امن معهم بسبب التعالي والتكبر فينظرون إليهم بعين الاستصغار والاحتقار ولعل نبي الله نوح عليه السلام كان أكثر الأنبياء تعرضا للسخرية بسبب طول المدة التي قضاها في قومه، وكثرة جداله في الحق معهم حيث اصبحت السخرية منه ثقافة وخلق سيء في قومه يقول تعالى ﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ) [3] وقال﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[4]

---

[1] تفسير الأمثل

[2] هود: ٣٨

[3] هود: ٣٨

[4] هود: ٣٢

ولقد كان قومه يسخرون منه ومن صنعه للسفينة ومن الذين آمنوا بدعوته قال تعالى (وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ [٢٧] .... (وَلا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللّهُ خَيْرًا ۖ اللّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾[1]

ان التعالي والتكبر يفضي الى الازدراء والتحقير والضحك والاستهزاء وتسخيف الاخر والتقليل من مكانته وشانه.

وقد دخل موسى الكليم على فرعون ليعظه لعل يتذكر او يخشى فلما رآه فرعون قال مستخفا به ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [2]

فالسخرية والاستهزاء ابتداء هي من أخلاق المتكبرين والمتعالين الذين لا يروق لهم من يخالفهم وينصحهم ويرشدهم فمن فعل ذلك كانت السخرية والاستخفاف به هي احدى اساليبهم وأخلاقهم تجاهه قال تعالى ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾[١٠٩] ﴿ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾[3]

ولقد عانى النبي (صلى الله عليه وآله) وأصحابه من بطش قريش حينما تعرضت مصالحهم الى الخطر وبدأت سطوتهم بالأفول والانهيار فكانت السخرية منهجا لإبعاد الناس عن النبي والصد عن الحق والحقيقة وتسخيف شخصه ودعوته المباركة قال تعالى وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ [4] وقال سبحانه

---

[1] هود: ٣١
[2] سورة الزخرف: ٥٢
[3] سورة المؤمنون: ١١٠
[4] سورة الانبياء: ٣٦

وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولا [1] وقال ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ۘ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [2]

وقد كانت عناية الباري تحيط بالنبي (صلى الله عليه واله) في مسيرته الاصلاحية ودعوته الالهية لعلمه تعالى بما يتعرض له من السخرية والاذى والاستهزاء من فراعنة قريش والمنافقين ولذا تكفل بالقضاء على هؤلاء الشرذمة ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾[3]

ان الناس بين جذب ودفع وقبول ورفض أمام آيات الله في الكون والتي تقع على يدي الأنبياء والأولياء فالمؤمن تبهره وتوقظه وتهديه الى سواء الصراط بينما المتكبر يتعاطى معها بالأنفة والسخرية والاستهزاء قال تعالى عنهم ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾[١٢] ﴿ وَإِذَا ذُكِّرُوا لا يَذْكُرُونَ﴾ [١٣] ﴿ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾[4] وقال ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾[5]

الجهة الثالثة: وهي سخرية مذمومة ايضا والتي تكون بين المؤمنين حيث يسخر بعضهم ببعض وقد ورد النهي عن ذلك بقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ) [6].

[1] سورة الفرقان: ٤١
[2] البقرة: ٢١٢
[3] الحجر: ٩٥
[4] سورة الصافات: ١٤
[5] سورة الكهف: ٥٦
[6] الحجرات: ١١

لا يخفى مقدار الآثار السلبية التي تخلفها السخرية بين الناس حيث تولد الضغينة والهجران والانفضاض والاستخفاف بالمؤمنين وتفكك العلاقات الاجتماعية والأسرية والاخوية والرحمية وناهيك عن العصيان.

وان منشأ الاستهزاء هو الجهل ولذا نلاحظ ان موسى عليه السلام يعوذ بالله ان يكون من الجاهلين لما ظنّ قومه انه اراد بذبح البقرة الاستهزاء بهم تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ۖ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[١]

ان عملية الاستهزاء والسخرية بالحق واهله لها ارتدادات خطيرة واثار وضعية كبيرة وسرعان ما يؤدي ذلك الاستهزاء الى نزول العقوبات الإلهية قال تعالى ﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[٢] وقال تعالى ﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[٣]

وان الإملاء والاستدراج والمد الإلهي لأصحاب العصيان والطغيان والمفسدين في الارض هو استهزاء الهي لهم ومجازاة لتكذيبهم واستهزائهم بالآيات الالهية والتعاليم الإسلامية والاستخفاف بمكانة المؤمنين والخوض بما لا ينبغي كاللعب اللهو والاعراض عن الحق قال عزوجل ﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾[٤]وقال سبحانه الله (يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[٥] وقال تعالى﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾[٦]

---

[١] البقرة: ٦٧
[٢] الجاثية: ٣٣
[٣] الأنبياء: ٤١
[٤] الروم: ١٠
[٥] سورة البقرة: ١٥
[٦] التوبة: ٦٥

فإذن تبين من خلال ما تقدم عند النظر في الآيات القرآنية سالفة الذكر بأن السخرية قد تقع في العقيدة والاخلاق:

اما في العقيدة فإن الكفار والمنافقين يسخرون بايات الله والأنبياء والمؤمنين ويستهزئون بنزول العذاب عليهم ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[1]

أما في الأخلاق وهي السخرية والاستهزاء التي تقع بين بعض المؤمنين والتي نهى الله عنها في كتابه.

---

[1] سورة هود: ٨



المفردة العاشرة

المد

مفهوم المد الالهي في القران

مفهوم المد الإلهي في القران

قد يفهم البعض من أول وهلة عند وقوفه على عنوان المد الإلهي انه يختص بالشريحة المؤمنة حيث يمدهم الله تعالى بالنصر والتأييد والتوفيق والتسديد في مجالات لا حصر لها في الحياة الدنيا لكن عند النظر والتتبع في الآيات القرآنية سيتضح جليا بأن المد الإلهي عنوان عام في القرآن وسنة الهية يشمل المؤمن والكافر على حد سواء فلا حظر على احد من الطائفتين وسيتضح جليا من خلال الآيات الاتية ومنها قوله تعالى ﴿ كُلا نمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾[1].

فمن دون ان يمد المؤمن بالعناية الالهية والرعاية الربانية فهو عاجز ان يبلغ الكمال وينال المراتب العليا ويتخلص من الشرك والضلال وينجو من شتى البلايا والانحراف.

فالفقر مكتوب على ناصيته والحاجة مقرونة في كل أحواله وتنقلاته قال تعالى﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الحَمِيدُ﴾[2]

ان التصريح بالمد الإلهي للمؤمن بالآية الكريمة حتى لا يتكئ على قواه ولا يعتمد على ذاته وحتى يتبرأ من حوله وقوته ويستند في كل شؤونه الى قوة الله وحوله فهو الموفق لكل خير، والمُنجي من كل شر وفي نفس الوقت لكي يزداد ايمانا بربه بأن هناك قوة غيبية تمده بالعطاء والنصر ولا تتخلى عنه ولا تخذله عند الشدائد ولا تسلمه للنوائب شريطة التحلي بالصبر والتقوى قال تعالى ﴿ بَلَى ۚ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلاف مِّنَ المَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [3]

---

[1] سورة الإسراء: ٢٠
[2] فاطر: ١٥
[3] آل عمران: ١٢٥

والله تعالى لا يصدف عن عباده الذين يستغيثون به ويلجؤون اليه في البأساء والضراء وحين البأس قال سبحانه ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي ممِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[1]

فالمدد الإلهي للمؤمنين لا حدود له في الفضل والعطاء فهو تعالى يمدهم بالقوة والعزيمة والسكينة والطمأنينة والغلبة على المردة قال تعالى﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ ممَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾[2].

فما اتاني الله من مدده في الملك والسلطة خير من هديتكم التي تمددوني بها لاستمالتي.

وان التصريح بالمد الإلهي للكافر حتى لا يظن أنه غالب في معصيته ارادةَ الله أو ان فعله للمعاصي والعلو في الأرض في معزل عن قوة الله وعلمه، او انه نال المال والبنين والسلطة والتمكين بغير تدبير من الله الحكيم انما الله تعالى بحكمته امده حتى يزداد عُميا وغيا قال تعالى ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنمَا نمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾[٥٥] ﴿ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الخَيْرَاتِ ۚ بَل لا يَشْعُرُونَ﴾[3] وقال عزوجل ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[4] وقال تعالى ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ۚ حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾[5]

ولا ريب ان في المد الالهي حكم كثيرة ومن حكمه تعالى ان يبتلي عباده بالنعم لينظر أيشكرون ويحسنون؟ أم يكفرون ويعصون؟ وهل يوقرون الله او

[1] الأنفال: ٩
[2] النمل: ٣٦
[3] سورة المؤمنون: ٥٦
[4] سورة البقرة: ١٥
[5] مريم: ٧٥

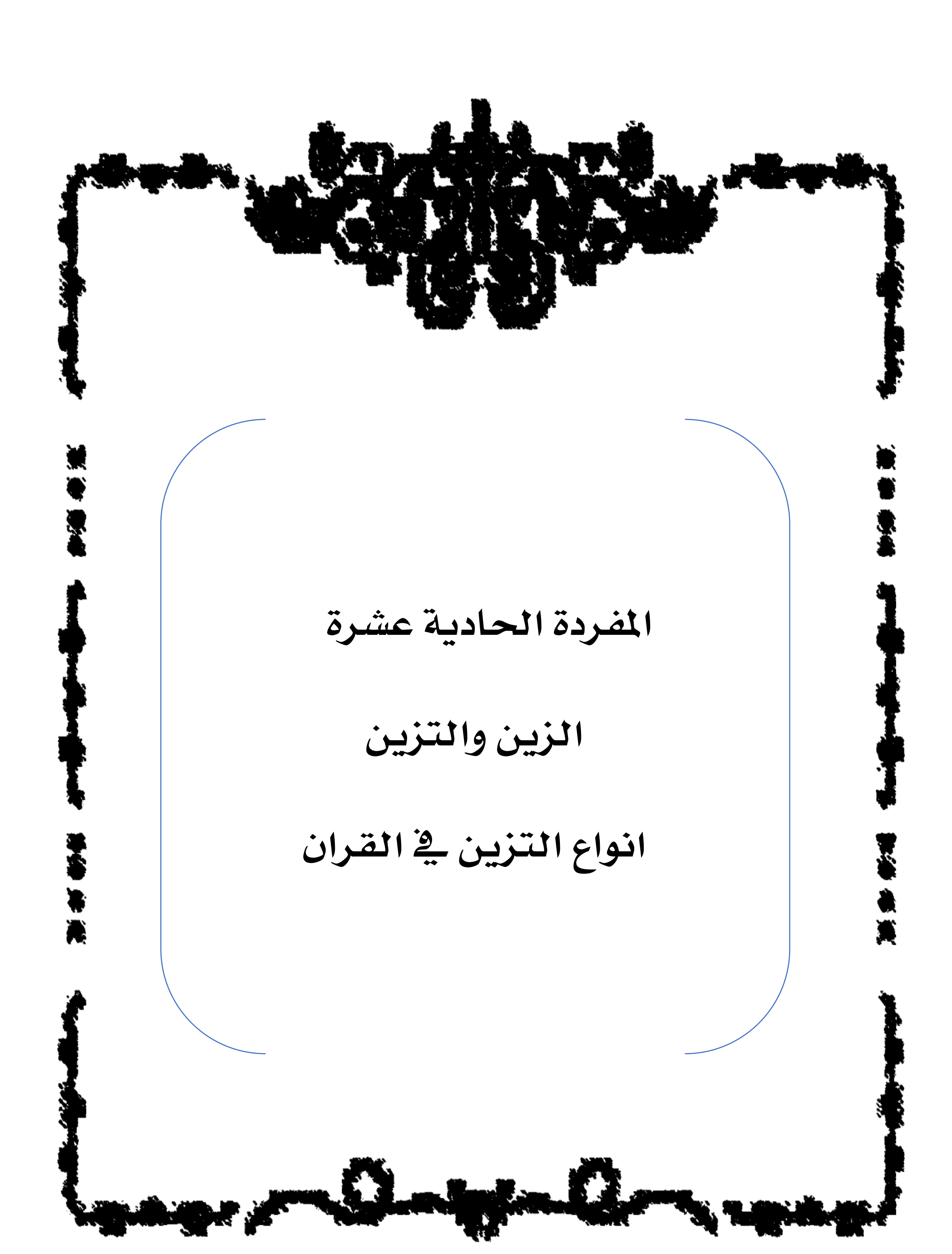
يستخفون؟ وفي نفس الوقت تكون الحجة عليهم ابلغ وآكد ولعلهم يتقون قال تعالى ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾[1] وقال ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾[2] وقال تعالى ﴿ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾[١١]﴿ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾[١٢] ﴿ مَّا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾[3] وقال تعالى ﴿ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ﴾[١٣٢] ﴿ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾[١٣٣] ﴿ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾[4]

ولم يقتصر القران ذكر المد الالهي بل ذكر ايضا مد الشياطين الذين يمدون الكفار والمجرمين بالوساوس حتى يهدوهم الى الغي والضلال قال تعالى ﴿ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ﴾[5]

بينما الله تعالى يمد عبده المؤمن بالتوفيق والتسديد اذا مسّه الشيطان بوسوسته حتى يتذكر ويبصر قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[6]

---

[1] الإسراء: ٦
[2] الإسراء: ٧
[3] سورة نوح: ١٣
[4] سورة الشعراء: ١٣٤
[5] سورة الأعراف: ٢٠٢
[6] سورة الأعراف: ٢٠١



المفردة الحادية عشرة

الزين والتزين

انواع التزين في القران

الزينة والتزين في القران الكريم

الزينة هي الزخرفة الشيء وتجميله، وتحسينه قال تعالى ﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ ﴾ [١]

وقد زين الله تعالى سماء الدنيا بالكواكب والمصابيح قال تعالى﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ [٢] وقال ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ﴾[٣] وقال ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾[٤]

وخرج قارون مفتخرا ومعجبا بزينته وثروته وماله وما لديه من موارد الزينة والزخرفة لأجل الافتخار والاستكبار ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾[٥]

تعد الحياة الدنيا للإنسان ساحة ميدان، وما على الأرض هي زينة للاختبار والامتحان اما الطاعة أو العصيان قال تعالى ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلا﴾[٦]

ولا شك أن هذه الزينة لابد ان تتمتع بالجذب والتغرير والا لم تكن موضع ابتلاء وتمحيص فلا معنى ان يختبر الانسان في اشياء نفسه عازفة ومعرضة عنها ولذا عبر القرآن الكريم عن الزينة بالشهوات لان النفس تهواها وتميل اليها ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾[٧]

---

[١] يونس: ٢٤
[٢] سورة الصافات: ٦
[٣] الملك: ٥
[٤] الحجر: ١٦
[٥] القصص: ٧٩
[٦] سورة الكهف: ٧
[٧] آل عمران: ١٤

والزينة بحد ذاتها ليست محرمة على الإنسان اذا ما كانت طريقا للتكامل واستعملها بالاعتدال وفي سبل الحلال قال تعالى ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[٢١]وقال ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[١]

والملاحظة الجديرة بالذكر والاهتمام في هذا المقام أن القرآن الكريم كما ذكر الكثير من مصاديق الزينة التي هي محل تمحيص واختبار كذلك تعرض الى جملة من الذين يزينون للإنسان واليك بعض الآيات التي تبين وتذكر جملة من المصاديق والجهات التي تزين للإنسان.

التزين الالهي

فمن الآيات قوله تعالى ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ[٢]

فقد ذهب صاحب الأمثل في تفسيره بان المزين فهذه الآية هو الله تعالى قال: بعض المفسرين يرون أن هذه المشتهيات من عمل الشيطان الذي يزينها في أعين الناس، ويستدلون على ذلك بالآية ٢٤ من سورة النمل: وزين لهم الشيطان أعمالهم وأمثالها. إلا أن هذا الاستدلال لا يبدو صحيحا، لأن الكلام في الآية التي نبحث فيها لا تتكلم عن " الأعمال "، بل عن الأموال والنساء والأبناء.

إن التفسير الذي يبدو صحيحا هو أن الله هو الذي زين للناس ذلك عن طريق الخلق والفطرة والطبيعة الإنسانية.

---

[١] سورة الأعراف: ٣٢

[٢] آل عمران: ١٤

إن الله هو الذي جعل حب الأبناء والثروة في جبلة الإنسان لكي يختبره ويسير به في طريق التربية والتكامل، كما يقول القرآن إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا. [1]

فالله تعالى لا يريد من هذا التزين إلا الخير والتكامل للإنسان اذا ما واجهها بالتقوى والإيمان.

ومن الآيات قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾[2]

والآية واضحة الدلالة بإن الله تعالى زيّن للكافرين أعمالهم فيرونها حسنة بسبب العمى الذي أصابهم بكفرهم وقوله تعالى ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[3].

وهذا التزيين هو تزين عقاب بسبب الاعراض عن الله وليس تزين اختبار وهو من أعظم العقوبات الالهية التي تنال الكافرين والمتجبرين والعاصين لان هؤلاء يبقون في عمى وضلال ويرون انفسهم أنها في أفضل حال وكمال وان اعمالهم حسنة بلا جدال يقول تعالى ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۖ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[4] وقال تعالى ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم﴾[5]وقال (وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلا فِي تَبَابٍ﴾[6]

---

[1] تفسير الأمثل: ج٢ص ٤١٨
[2] النمل: ٤
[3] الأنعام: ١٢٢
[4] فاطر: ٨
[5] محمد: ١٤
[6] غافر: ٣٧

بخلاف من يريد الله به خيرا فإنه يوقفه على عيوبه وسيئاته ويبتليه بحكمته بما يشاء او يلقي في روعه زوال الدنيا وقلة متاعها وبقاء الاخرة وكثرة نعيمها حتى يتوب الى ربه قال تعالى ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۚ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾[1]

التزين الشيطاني

قال تعالى ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ﴾[2] وقال (تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3]

ويعد الشيطان العدو اللدود للإنسان ويستعمل كل امكانياته وقدراته في سبيل اضلاله وهلاكه ومن أساليبه الخطرة والقذرة هو تزيين الأعمال السيئة للإنسان فيراها حسنة ويدافع عنها بكل اقتدار بسبب العمى والاغترار واتباع الهوى وطاعة الشيطان.

وقد اتضح الفارق بين تزيين الله عزوجل للإنسان وتزيين الشيطان، فتزيينه تعالى ليميز الخبيث من الطيب ولبلوغ الكمال ونيل الدرجات او عقوبة لإصحاب الضلال بخلاف تزيين الشيطان فانه يورده مورده من الهلاك والخسران ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[4]

---

[1] القصص: ٦٠
[2] النمل: ٢٤
[3] النحل: ٦٣
[4] فاطر: ٦

التزين الصنمي

قال تعالى (وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾[1]

فان نسبة " التزيين " للأصنام تعود إلى أن شدة تعلقهم بأصنامهم وحبهم لها كان يحدو بهم إلى ارتكاب هذه الجريمة النكراء. [2]

أن الأصنام بما لها من الوقع في قلوب المشركين والحب الوهمي في نفوسهم زينت لكثير من المشركين أن يقتلوا أولادهم ويجعلوهم قرابين يتقربون بذلك إلى الالهة. تفسير. [3]

ينبغي الالتفات الى ملاحظة في غاية الاهمية ان الاصنام في الآية هي مصداق لتزيين قلب الانسان لإيقاعه في المهالك والضلال فيرى القبيح حسنا والنقص كمالا والضلال هداية بينما هناك العديد من الاصنام المادية والمعنوية التي تعبد من دون الله وتزيّن للإنسان عمله السيء فيراه حسنا وان له عند الله الحسنى (وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ ﴾[4]

---

[1] سورة الأنعام: ١٣٧

[2] الأمثل ج٤ص ٤٧٦

[2] الميزان ج ٧ ص ٣٦١

[2] فصلت: ٥٠



المفردة الثانية عشرة

الكبر

الكبر والمتكبرون في القران

قال الراغب في مفرداته: والكبر والتكبر والاستكبار تتقارب، فالكبر الحالة التي يتخصص بها الإنسان من إعجابه بنفسه وذلك أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره.

ان وأعظم التكبر التكبر على الله بالامتناع من قبول الحق والإذعان له بالعبادة. (١)

ان من أكثر المواضيع تطرقا وتحذيرا ونذيرا وتشديداً في القرآن الكريم هو موضوع الكبر والمتكبرين حيث ذكر القران جملة من أسماء المتكبرين وسرد نعوتهم ومواقفهم ولجاجهم وعنادهم وأفعالهم وإفسادهم وأخلاقهم واستكبارهم وكيدهم ومكرهم وكذبهم وافترائهم وعاقبة أمرهم.

ولا ريب ان هذا السرد الكثير فيه حكم ودروس وعبر، كالحذر من آفة الكبر، وان هذا الداء يردي ويخزي ذويه، ويحول بينهم وبين قبول الحق والانصياع إليه.

وان المبتلى بداء العظمة يضحي بآخرته ويؤثر الجحيم على النعيم ولا يتنازل عن كبريائه وغروره، ولا يذعن للآيات الله تكبرا، ويزداد إصرارا في استكباره، وعلوا في الأرض بفساده واسرافه، ومجابهة الحق وأهله، وتغرير حزبه ليكونوا من امثاله، وعونا له في إفساده كإبليس ونظائره.

اذن فلا عذر للإنسان بعد النذر واقامة الحجة والبينة قال تعالى﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. (٢)

وبما أن التكبر والاستكبار قد وقع من الإنسان في قضايا عديدة ومسائل مختلفة وفق ما ذكرتها آيات كثيرة نحاول تلخيصها في جملة من العناوين.

---

(١) مفردات القران الراغب الاصفهاني ج١ص ٤٢١

(٢)سورة الأنفال: ٤٢

التكبر عن عبادة الله

ان من اشرف مفاخر الانبياء العبودية لله تعالى لان بها تحقق الغاية المنشودة من خلق الانسان قال تعالى﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾ [1] .

ولذا يصفهم القرآن في مواضع متعددة بعباد الله قال تعالى﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ﴾ [2]وقال ﴿ سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ [٧٩] ﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [3] وقال ﴿ سَلامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾[١٢٠] ﴿ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [4]وقال ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلا ﴾. [5]

ومن مصاديق التكبر ان يستنكف الإنسان عن عبادة الله او يؤثر عبادة غيره قال تعالى ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾[6] وقال تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [7]وقال ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ ﴾[8] وقال ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾[9] وقال ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[10]

---

[1]الذاريات: ٥٦
[2]سورة ص: ٤٥
[3]سورة الصافات: ٨١
[4] سورة الصافات: ١٢٢
[5] الاسراء: اية١
[6] النساء: اية ١٧٢
[7] المنافقون: اية٥
[8] يونس: اية١٨
[9] الفرقان: اية٦٠
[10] غافر: اية٦٠

التكبر عن طاعة الله تعالى

ان من لوازم وسمات العبودية لله تعالى الطاعة له والامتثال لأمره، وبطاعته يهتدي الإنسان وتنزل عليه الرحمة والغفران وبعصيانه يكون الخسران والخذلان قال تعالى ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ۚ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (١) وقال ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٢)

وعلى العبد ان يطيع وفق ما أراد معبوده ﴾ الصغيرة والكبيرة فيما يعلم وفيما لا يعلم وبعبارة واضحة ومختصرة ان يسلم لله تسليما مطلقا، وليس وفق ما تمليه عليه نفسه وتقتنع به قال تعالى ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٣)

فإذا تكبر المخلوق عن طاعة خالقه ومعبوده فقد عبد هواه وضل ضلالا بعيدا لأنه سوف ينسج سلوكا وفكرا منحرفا ويسلك طريقا عوجا ثم يأخذ بالجدال والسجال والارتياب والانكباب على زخارف الدنيا الفانية.

ابليس اول من عصى وتكبر

يعد ابليس اللعين مثالا سيئا لداء الكبر والمتكبرين فقد كان اول من تكبر وعصى وأبى الامتثال لأمر الله بالسجود لادم (عليه السلام) فخرج عن طاعة الرحمن وسقط ﴾ وحل العصيان قال تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ

(١١) غافر: اية٦٠

(١٢) آل عمران: ١٣٢

(١٣) سورة النساء: ٦٥

فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [1]وقال ﴿ يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ [2]

سبب سقوط وفشل إبليس

وإن الذي ادى به الى هذه النتيجة المخزية هو الإعجاب والغرور بالنفس حيث كان يرى نفسه افضل واكمل من آدم عليه السلام فأبى عن السجود بكل صلافة قال عزوجل ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾[٣٢] ﴿ قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [3]وقال تعالى ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [٧٥] ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [4]

نتائج العصيان والاستكبار

وبهذا العصيان والتكبر استحق الرجم واللعن والصغار والهبوط من الجنة واخرج منها مذموما مدحورا قال تعالى﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾[٣٤] ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ [5]وقال ﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [6]وقال ﴿ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾. [7]

ان سرد هذه النتائج المخزية وتبينها في كتاب الله حتى يتعظ أولوا الألباب ويأخذوا منها الدروس والعبر، ولا يقعوا بما وقع به إبليس من العصيان والكبر.

[11] البقرة: ٣٤
[12] سورة مريم: ٤٤
[13] سورة الحجر: ٣٣
[14] ص: اية ٧٦
[15] سورة الحجر: ٣٥
[16] الأعراف: ١٣
[17] الأعراف: ١٨

ولذا جاء القران محذرا من اتباعه والسقوط في اشراكه قال تعالى ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الجَنَّةِ ﴾ [١]وقال ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إنمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [٢]

كفران إبليس

قد ذكر القرآن ان إبليس كان من الكافرين قال تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [٣]

والسؤال الذي ينبغي الإجابة عنه هو لماذا عبر القرآن الكريم عن إبليس أنه كان من الكافرين مع اننا نجد آيات كثيرة إقرار ابليس بربوبية الله ومطالبته بأن ينظره الى يوم يبعثون؟ قال تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [٤]وقال ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [٥]

ان إباء ابليس عن السجود لادم يكشف عن جحوده وكفره بعدالة الله وحكمته حينما أكرم آدم بسجود الملائكة له قال تعالى ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلا قَلِيلا﴾ [٦].

وان قول إبليس انا خير من ادم كما حكى عنه القران ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [٧].

يكشف ايضا بانه كان يعتقد بان الله تعالى قد ظلمه حينما فضّل ادم عليه فلذا اخذته العزة بالإثم وتعاظم على امر الله مع ايمانه بان ورائه يوم عصيب ومصيره الى الجحيم ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [٨]. قال تعالى﴿

---

[١] الأعراف: ٢٧
[٢] فاطر: ٦
[٣] البقرة: ٣٤
[٤] سورة الحجر: ٣٩
[٥] سورة الحجر: ٣٦
[٦] سورة الإسراء: ٦٢
[٧] ص: ٧٦
[٨] الحجر: اية ٣٦

فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ [٩٤] ﴿ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ (١)وقال ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢)

فهذا مصير من يتكبر على طاعة اللّه ويتبع هواه ويعبد الشيطان ويتولاه ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (٣)

التكبر على آيات الله

ومن انواع التكبر التي ذكرت في كتاب اللّه هو التكبر على آيات اللّه قال تعالى ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا ﴾ (٤).

سواء اكانت هذه الآيات في الآفاق او في الأنفس او المعجزات او الآيات القرآنية فمن يجحدها ويكذب بها ويعرض عنها فهو من المتكبرين قال تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٥). وقال تعالى ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (٦).وقال ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ ۚ وَكَذَلِكَ نَجْزِي المجْرِمِينَ﴾ (٧)وقال ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَى

---

(١١) سورة الشعراء: ٩٥
(١٢) إبراهيم: ٢٢
(١٣) يس: ٦٠
(١٤) الأعراف: ١٤٦
(١٥) فصلت: ٥٣
(١٦) يوسف: ١٠٥
(١٧) الأعراف: ٤٠

وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [1]وقال ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [2]وقال ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ۙ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ ۚ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [3]

وما أكثر نظائر هؤلاء في كل زمان، يقتاتون من مائدة الله ويرون آياته في أنفسهم وفي الآفاق، وعلموا ان ما نزل على النبي(صلى الله عليه واله) هو الحق لكنهم يكذبون ويجحدون استكبارا في انفسهم ، ويسعون لإعماء الناس واضلالهم وصدهم عن الحق قال تعالى ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۖ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [4]

التكبر بالإفساد في الأرض

ومن مصاديق التكبر والاستعلاء هو الإفساد في الأرض وإهلاك الحرث والنسل وقد ذكر القران تكبر فرعون وقارون وهامان وافسادهم في الأرض بغير حق قال تعالى ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [5] وقوله تعالى ﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾[6] وقال ﴿ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ﴾

[1] يونس: ٧٥
[2] لقمان: ٧
[3] غافر: ٥٦
[4] سورة الحج: ٩
[5] القصص: ٤
[6] يونس: ٨٣

[1] وقال ﴿ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾ [2]

وقوم شعيب الذين افسدوا في الارض بعد اصلاحها بسبب تكبرهم وطمعهم قال تعالى ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٨٥] .. ﴿ قَالَ المَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ [3]

التكبر على الناس

ومن الكبر المذموم الذي نهى القرآن عنه هو التكبر على الناس وله أمثلة عديدة كالتكبر بالمال والحسب والنسب والجمال والأولاد والمكانة والعلم وغير ذلك.

وكل واحدة من هذه الامراض كفيلة بأن تسقط الانسان وترديه إلى أسفل السافلين ولذا ورد التحذير والوعيد من هذا الداء الخطير قال تعالى ﴿ وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [4] وقال ﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [5]

[1] القصص: ٣٩
[2] العنكبوت: اية ٣٩
[3] سورة الأعراف: ٨٨
[4] لقمان: ١٨
[5] الكهف: ٣٤



المفردة الثالثة عشرة

السلطان

مفهوم السلطان في القران

مفهوم السلطان في القران

ان مفردة السلطان وردت في آيات كثيرة في القرآن وتعددت معانيها بسبب وضعها وموضوعها في الآيات نذكر بعضا من المعاني:

الحجة والبرهان:

وردت آيات كثيرة بهذا المعنى كقوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾[1] وقوله تعالى ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ الْغَنِيُّ ۖ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَذَا ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[2] وقوله سبحانه ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ) [3].

فأية دعوة يراد التصديق والإيمان بها ينبغي ان تعتمد على حجة وبرهان وهذا ما اعتمده القرآن في محاججته مع الانس والجان بأسلوب حكيم وادلة متينة ورصينة تبهر العقول وتجلب القلوب وتزيل الغموض والابهام.

وكذلك دعوات الأنبياء على مر التاريخ فقد كانت تستند على معجزات وآيات واضحة البيان حتى تتم الحجة والبرهان على الإنسان لعله يهتدي ويترك ما ورثه من الآباء والأسلاف من العادات السيئة والبدع المختلقة التي ما أنزل الله من سلطان قال تعالى ﴿ إِنْ هِيَ إِلا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى﴾[4].

(1) المؤمنون: ٤٥
(2) يونس: ٦٨
(3) يوسف: ٤٠
(4) النجم: ٢٣

فالعادات السيئة والافكار والعقائد المنحرفة هي مرفوضة بلا إشكال لأنها أمور مختلقة واقوال مفترية ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [1] .

السلطان بمعنى العلم:

قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ۙ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ ۚ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[2].

القدرة والسلطة:

وقد وردت هذه المفردة القرآنية بمعنى السلطة او القدرة في جملة من الآيات كقوله تعالى ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ۖ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3]

ونلاحظ في الآية اقرار ابليس اللعين على نفسه واعترافه الجلي بأنه لا يمتلك اية سلطة وقدرة على الانسان في الدنيا إنما هي دعوات ووساوس ألقاها عليه فاستجاب لدعوته حتى أضله، وقوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾[4]

---

[1] البقرة: ١١١
[2] غافر: ٥٦
[3] إبراهيم: ٢٢
[4] سبأ: ٢١

ومن لطف الله ورحمته انه وعد عباده المطيعين والذين يتوكلون عليه ان يعصمهم من سلطة الشيطان قال تعالى ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[1] ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ) [2]

ومع ان الشيطان والمتكبرين ينفون سلطانهم على الإنسان قال تعالى (وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ) وقال ﴿ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ﴾[3]

لكن بسبب تبعيته وطاعته وتوليه لهم سوف يسلم نفسه لسلطنتهم وينقاد لأمرهم قال تعالى ﴿ إِنمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾[4].

وبعدما كان الإنسان حرا فإذا به يصبح عبدا للشيطان يوجّهه حيثما يشاء لأنه سلطه على نفسه حتى أحكم قبضته وسلطته عليه، فلن تغني يوم القيامة التبعية الحمقاء للشيطان والركون الى السلطان واتباع الهوى والعصيان قال سبحانه ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[5] قال سبحانه ﴿ وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾[6].

وفي ذلك اليوم تنقطع جميع العلائق والوسائط التي لم تكن مرتبطة بالله سبحانه ويتمنى المرء حينها لو لم تكن هذه الخلة والعلقة والتبعية موجودة في دار الدنيا لكن لن ينفع الندم والتمني قال عزوجل ﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ

---

[1] سورة النحل: ٩٩
[2] الحجر: ٤٢
[3] سورة الصافات: ٣٠
[4] النحل: ١٠٠
[5] **يس: ٦٠**
[6] هود: ١١٣

فُلانًا خَلِيلا﴾[٢٨] ﴿ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولا﴾[1]

ولن ينفع الإنسان يوم القيامة خلق المعاذير وإلقاء اللائمة على الشيطان والمتكبرين في الأرض من اجل الفرار من المسؤولية والتخلص من نار جهنم لان الانسان يمتلك الارادة والاختيار في اتخاذ القرار في طاعة الرحمن او طاعة الشيطان.

فمن أراد العصمة من كيد الشيطان والتحصن من السلاطين وحكام الجور عليه بطاعة الرحمن وتقوية الإيمان والتوكل على المنان.

---

[1] سورة الفرقان: ٢٩



المفردة الرابعة عشرة

النفخ

النفخ والفزع في القران

قال تعالى (وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلا مَن شَاءَ اللَّهُ ، وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ([١]).

النفخ هو ادخال الهواء في بعض الأشياء لإخراج صوت معين، والصور هو البوق كهيئة قرن الحيوان وسُمي بالناقور قال تعالى (فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ) . ([٢]).

وهذا المعنى يتلاءم مع فهم الإنسان المادي الذي يتأقلم ويتفاعل مع المحسوسات اما حقيقته وكيفيته الغيبية فلا يعلمه الا الله وصاحب البوق هو إسرافيل كما في الروايات ينفخ بأمر الله.

والغرض من النفخ في الصور لأعلام الناس عن قيام الساعة، اما الفزع الحاصل هو امر عرضي نتيجة النفخ في الصور، وما تعقبه من أمور مهولة قال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ، إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (٢) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّه شَدِيدٌ ([٣])

والمراد من الفزع هو ما يصيب القلب من قبض وتأثر نتيجة الخوف والرهبة لأمر عظيم يسمعه الجميع ولذا يصعقون يومئذ من شدة وقوعه قال تعالى (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلا مَن شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ. ([٤]).

---

[١] النمل: ٨٧
[٢] المدثر: ٩
[٣] لقمان: ٣٣
[٤] الزمر: ٦٨

وان الفزع ينال القلب مرتين، الأولى عند النفخة الأولى مما يؤدي الى فزعهم وموتهم، والاخرى عند النفخة الثانية عند اخراجهم من قبورهم ليوم البعث والحساب والميزان والصراط ومشاهدة اهوال يوم القيامة، ويتضح هذا المعنى بشيء من التدقيق في الآيات.

وان النفخ أيضا يقع مرتين، فالأولى يصعق من في السماوات ومن في الأرض الا من شاء الله والثانية أحيائهم ليوم البعث.

والأولى تخص الاحياء دون الأموات والثانية تشمل الاحياء والاموات لان الغرض من الأولى اماتتهم بهذا الصعق والفزع، فلا تشمل الأموات لأنه تحصيل للحاصل قال تعالى (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ) ([1]) وقال تعالى (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلا مَن شَاءَ اللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ (٦٨) ([2]). وقد ورد الاستثناء من الفزع ولهم الأمن بمشيئة الله تعالى، فقد بينت سورة النمل المستثنى منه وهو الذي جاء بالحسنة قال تعالى (مَن جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ([3]).

ولعل المراد من الحسنة اعم من العمل الصالح فتشمل العقائد الحقة والاخلاق الفاضلة والورع عن محارم الله تعالى ويؤيده قوله تعالى (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأمنُ وَهُم مُهْتَدُونَ) ([4]).

وكذا ورد الاستثناء للذين سبقت لهم من الله الحسنى والمنزلة الخصيصة قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١) لا

---

[1] يس: ٥٣
[2] الزمر: ٦٨
[3] النمل: ٨٩
[4] الانعام: ٨٢

يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ، وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ المَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ . ([1]).

واذا اردنا ان نعرف من هم أصحاب الحسنى فقد بينت بعض السور مصاديقهم كالمجاهدين في سبيل بأموالهم وأنفسهم والذين استجابوا لربهم فيما امر ونهى قال عز وجل (فَضَّلَ اللَّهُ المجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً، وَكُلا وَعَدَ اللَّهُ الحُسْنَى ، وَفَضَّلَ اللّهُ المجاهدينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ([2]) وقال تعالى (لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الحُسْنَى ، وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المهاد. ([3]). وقال تعالى (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إنمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا([4]).

فالإخلاص في العمل الصالح لوجه الله تعالى يكون سببا في وقاية فاعله من شر ذلك اليوم العبوس القمطرير.

اما المراد من المفردة القرآنية (الداخر) في ذيل الآية التي بدأنا بها الكلام في قوله تعالى (وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ)

ففيها معنيان:

الأولى: الذلة والصغَار قال تعالى (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ . ([5]). أي اذلاء

---

[1] الأنبياء: ١٠٣
[2] النساء: ٩٥
[3] الرعد: ١٨
[4] الانسان: ١١
[5] غافر: ٦٠

والثانية: يراد منها المطاوعة والاستجابة والتلبية الجبرية كما في الآية التي نحن فيها وقوله تعالى (أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (١٦) أَوَ آبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ (١٧) قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ [١]).. ومثله قوله تعالى (أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالسَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ [٢]).

فظلال المخلوقات خاضعة وساجدة لله وفق النظام الكوني الذي وضع لها وهي الاستجابة والمطاوعة القهرية لعظمته وهو المعبر عنه بالداخرين.

فلما كان الحشر كليا لا يستثنى منه أحد فيكون المعنى الثاني للمفردة داخر هو الأنسب والصحيح فالجميع يستجيب ويلبي قهرا لأمر الإلهي عند النفخ والحشر.

والحمد لله رب العالمين

[١] الصافات: ١٨

[٢] النحل: ٤٨

جدول المحتويات